

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق
الدكتور إحسان عبّاس
الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثالث عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

13

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[230] ـ أخبار أبي الطَّمَحان القَيْنيّ[1]

[نسبه]

أبو الطَّمحان اسمه حنظلة بن الشَّرْقيّ ، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قُضاعة . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم .

[أدرك الجاهلية والإسلام]

وكان أبو الطّمحان شاعراً فارساً خارباً[2] صُعلوكاً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر . وكان تِرْباً للزُّبير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له . أخبرنا بذلك أبو الحسن الأَسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة .

[حمل خبر أسر قيسبة السكوني إلى قومه]

وممّا يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج قَيْسَبَة بن كلثوم السَّكونيّ ، وكان ملِكاً ، يريد الحجّ ، وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض ، فمرّ ببني عامر بن عُقَيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، وألقوه في القِدّ ، فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن أن الجنّ استطارته . فبينا هو في يوم شديد البرد في بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق[3] عليها فقد أَضَرّ بي القُرّ ؟! فقالت له نعم . وكانت عليه جُبة له حِبَرة[4] لم يُترك عليه غيرها ، فتمشَّى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمةَ ، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتَغشاه عَبرةٌ فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ساكن السماء فرِّج لي مما أصبحتُ فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ، فأشار إليه أن أَقْبِلْ ، فأقبل الراكب ، فلمّا وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو الطَّمَحان القَيني ، فاستعبرَ باكياً . فقال له أبو الطَّمحان : مَن أنت ؟ فإنّي أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك . قال : أنا قَيْسبة بن كلثوم السَّكوني ، خرجتُ عام كذا وكذا أُريد الحجّ ، فوثب عليّ

1 لأبي الطمحان ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 304 والمؤتلف والمختلف : 149 والسمط 332 والإصابة 2 : 66 والخزانة 8 : 94–96 والمحاسن والأضداد والاشتقاق : 542 وذكر الآمدي : وجدت نسبه في ديوانه المفرد : أبو الطمحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر . وانظر شرح الحماسة للمرزوقي : 1266 .

2 الخارب : سارق الإبل خاصة ثم أصبح يطلق على اللص .

3 تشرق : جلس في موضع تشرق عليه الشمس .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

هذا الحيُّ فصنعوا بي ما ترى ، وكشف عن أغلاله وقيوده ؛ فاستعبرَ أبو الطمحان ، فقال له قَيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك ! قال : فأنِخْ ، فأناخ . ثم قال له : أمعك سِكِّينٌ ؟ قال نعم . قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخِره ، فكتب عليها قَيسبة بالمُسند ، وليس يكتب به غير أهلِ اليمن : [من الخفيف]

بَلِّغــا كِنْــدَةَ الملــوكَ جميعــاً ... حيثُ سارت بالأكرمين الجِمالُ
أنْ رِدُوا العَيْنَ بالخميسِ عِجالاً ... واصدُروا عنــه والرَّوايــا ثِقالُ[1]
هَزِئَــتْ جارتِــي وقالت عجيباً ... إذ رأَتْنــي في جيدِيَ الأغلالُ
إن تَرَيْنــي عــارِي العِظامِ أسيراً ... قــد بَراني تَضَعْضُعٌ واختلالُ
فلقد أقْــدُم الكَتِيبــةَ بالسيــ ... ــفِ عــليَّ السلاحُ والسرْبالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمحان مائة ناقةٍ . ثم قال له : أَقْرِئ هذا قومي ؛ فإنّهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء . فخرج تسير به ناقته ، حتى أتى حضرمَوت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قَيسبة حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرون قَيسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَوْن بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمّه ، فقال له : يا هذا ، إنّي أدلُّك على قَيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلمّا قرأه الجَون أمر له بمائة ناقةٍ ، ثم أتى قيس بن معديكرب الكِنديّ أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقَيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلاّ فامض راشداً . فقال له الجَون : مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهون عليَّ ممّا خيَّرتَه . وضجَّت السَّكونُ[2] ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك من هذا ! هو ابن عمّك ويطلب لك بثأرك ! فأَنعَمَ له بذلك . وسار قيس وسار الجَون معه تحت لوائه ، وكِندة والسَّكون معه ؛ فهو أوّل يومٍ اجتمعت فيه السَّكون وكِندة لقَيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قَيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صُبَيح الكِنديّ : [من الخفيف]

لا تَشْتُمونا إذ جَلبنــا لكــم ... أَلْفَيْ كُمَيتٍ كلُّهــا سَلْهَبَهْ[3]
نحــن أَبْلْنا الخيلَ في أرضِكم ... حتــى ثَــأَرْنا منكــمُ قَيْسَبَهْ

---

1 الروايا : جمع راوية وهي مزادة الماء .

2 السكون : بطن من كندة .

3 السلهب والسلهبة : الطويل من الخيل والناس .

واعترضتْ من دُونِهم مَذْحِجٌ فصادَفــوا مــن خيلِنا مَشْغَبَهْ

[أدنى ذنوب أبي الطمحان]

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال : بلغني أنّ أبا الطَّمحان القينيّ قيل له ، وكان فاسقاً خارباً ، ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيْرانيّةٍ فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً بلحم خنزير ، وشربتُ من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ثم انصرفتُ عنها .

[لجوءه إلى فزارة]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قـال : جنى أبـو الطمحان القَينيّ جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمْخٍ ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه . فأقـام مـدة ، ثـم تشوّق يومـاً إلى أهله وقد شرب شراباً ثمِل منه ، فقال لمالك : لـولا أنّ يدي تقصرُ عن دية جنايتي لعُدْت إلى أهلي . فقال له : هذه إبلي فخذ منها دِية جنايتك واردد[1] ما شئت . فلمّـا أصبح ندِم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالِكاً فأنشده : [من الوافر]

سأمدح مالِكــاً في كلِّ ركبٍ لَقِيتُهــمُ وأتــرُكُ كل رَذْلِ
فمــا أنا والبِكارةُ أو مخاضٌ عِظـامٌ جِلَّـة سُدُسٌ وبُزْل[2]
وقــد عرفــتْ كلابُكم ثيابي كأنّي منكــمُ ونَسيتُ أهلي
نَمَتْ بكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زِنادٌ لها مــا شئتَ من فَرْعٍ وأصلِ

قال فقال مالك : مرحباً ! فإنّك حبيب ازداد حبّاً ، إنّما اشتقتَ إلى أهلك وذكرتَ أنه يحبِسك عنهم ما تُطالَب به من عقلٍ أو ديةٍ ، فبذلتُ ما بذلتُ ، وهو لك على كل حال ، فأقِم في الرُّحب والسعة . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

[اعتذر لامرأته لركوبه الأهوال]

قال أبو عمرو في هذه الرواية : وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحويّ صِهرُ المبرّد ، قال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال : عاتبتْ أبا الطمحان القينيّ امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه ، وكان لصّاً خارباً خبيثاً ، واكثرتْ لومه على ركوب الأهوالِ ومخاطرته بنفسه في مذاهبه ، فقال لها : [من الطويل]

---

1 لعلّها «وازدد» .

2 البكارة : جمع بكر وهو الفتي من الإبل والأنثى بكرة . المخاض : النوق الحوامل . وجلة الإبل : مسانها . والسدس : جمع سديس وهي ما دخل في السنة الثامنة . والبزل : من الإبل ما دخل في سنته التاسعة .

لــو كنتُ في رَيْمانَ تحرُس بابَه ... أراجيــلُ أُحْبوشٌ وأَغْضَفُ آلِفُ[1]
إذاً لأتَتْنــي حيــثُ كنتُ مَنِيَّتي ... يَخُــبُّ بهــا هــادٍ بأمرِيَ قائفُ
فمِنْ رَهْبَــةٍ آتِي المَتالِفَ سادِراً ... وأيَّةُ أرض ليس فيهــا مَتــالِفُ[2]

[مدح بجير بن أوس الطائي لاطلاقه إياه من الأسر]

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنّ فيه لعريب صنعةً وهو :

أضاءَتْ لهــم أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ

فإنّه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان أسيراً في يده . فلمّا مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته ، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد . وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا قيــل أيُّ النّــاس خَيرٌ قَبيلةً ... وأصبَرُ يومــاً لا تَوارى كَواكِبُهْ
فإنَّ بني لأم بن عَمْــرٍو أُرُومةٌ ... عَلَتْ فوقَ صَعْب لا تُنالُ مَراقِبُهْ[3]
أضاءَتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهمْ ... دُجى الليلِ حتى نَظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ[4]
لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدى ... إذا مَرْكبُ المعروف أجْــدَبَ راكبُهْ[5]

[حرب جديلة والغوث الطائيين]

وأمّا خبر أسره والوقعة التي أُسِر فيها فإن عليَّ بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : كان أبو الطمحان القينيّ مجاوراً في جَديلة من طيىء ، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»[6] وتحزَّبت حزبين : حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة . فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصِفة» . وأمّا الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حُوق[7] و«يوم البَيْضة»[8] و«يوم عِرْنان»[9] وهو آخرها وأشدُّها وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحة ، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة .

---

1 ريمان : حصن باليمن . الأغضف : المسترخي الأذن من الكلاب ، والآلف : المستأنس بمَن يحرسهم .
2 السادر : الذي لا يبالي .
3 المراقب : جمع مرقبة وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن .
4 الجزع : الخرز اليماني .
5 أي لا يبخلون .
6 سمّيت كذلك لما ارتكب فيها من الفظائع والأهوال .
7 حوق : موضع ويعرف هذا اليوم أيضاً بيوم اليحاميم .
8 البيضة : ماء لبني دارم .
9 عرنان : جبل .

[شعر أبي الطمحان في الأسر]

وأسِر بو الطمحان في هذه الحرب : أسره رجلان من طيِّىء واشتركا فيه ، فاشتراه منهما بُجير بن أوس بن حارثة لمّا بلغه قوله : [من الطويل]

أَرِقتُ وآبَتْني الهمومُ الطَّوارِقُ ولم يلقَ ما لاقَيتُ قبليَ عاشقُ
إليكم بني لأُمٍ تَخُبُّ هِجانُها بكلِّ طريق صادَفَتْه شَبارِقُ[1]
لكم نائلٌ غَمْرٌ وأحلامُ سادةٍ وألسِنةٌ يومَ الخِطاب مَسالقُ
ولم يَدْعُ داعٍ مثلَكم لعَظِيمةٍ إذا وَزَمتْ بالساعدَيْن السَّوارقُ[2]

السوارق[3] : الجوامع ، واحدتها سارقة .

قال فابتاعه بُجير من الطائيَّين بحكمهما ، فجزّ ناصيته واعتقه .

[تيسه يقتل غلاماً]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدّثنا أبو أيوّب المديني قال : حدّثني مصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان أبو الطمحان القينيُّ مجاوراً لبطن من طيِّىء يقال لهم بنو جديلة ، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله ، فتعلّقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدَّى ديتَه مائةً من الإبل . وجاءَهم نزيله ، وكان يدعى هشاماً ، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله ؛ فقال له أبو الطمحان : [من الطويل]

أتاني هِشامٌ يَدفَعُ الضَّيمَ جاهِداً يقول ألا ماذا تَرى وتَقولُ
فقلت له قُمْ يا لَكَ الخَيرُ أدِّها مُذلَّلةً إنّ العَزيزَ ذَليلُ
فإن يكُ دُونَ القَيْن أغبرُ شامخٌ فليس إلى القَيْن الغَداةَ سبيلُ

[انتعاش المأمون ببيتين لأبي الطمحان في ساعة اكتئابه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن إسحاق قال : دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط ، فأخذت أحدّثه بمُلَح الأحاديث وطُرَفها ، أستَمِيله لأن يضحك أو يَنْشط ، فلم يفعل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته إيّاهما . وهما : [من الطويل]

ألا عَلِّلاني قبلَ نَوْح النَّوائحِ وقبلَ نُشوز النفس بين الجَوانحِ[4]
وقبل غدٍ ، يا لَهْفَ نفسي على غدٍ إذا راح أصحابي ولستُ برائحِ

فتنبّه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينيّ يا أمير المؤمنين .

---

1 الشبارق : جمع شِبرق وهو نبات شوكي الثمر أحمره .

2 وزمت : عضت .

3 السوارق : الجوامع وهي القيود .

4 أي قبل الموت .

قال : صدق والله ، أعِدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب . وأمر لي بعشرين ألف درهم .

[استشهاد خالد بن يزيد يعتذر بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : [حدّثني] المدائنيّ قال : عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمّك وتزيلَ عن قلبك ما قد أشربتَه إيّاه ؟ أمَا سمعتَ قول أبي الطمحان القينيّ : [من الطويل]

إذا كان في صدرِ ابنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ فـلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدو دَفينُها
وإنْ حَمْأةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها فخُــذْ عَفْوَه لا يَلْتبِسْ بك طِينُها

[عند الزُّبير بن عبد المطّلب]

قال المدائنيّ : ونزل أبو الطمحان على الزُّبير بن عبد المطّلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مقامه لديه ، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم ، فلم يأذن له . وسأله المُقام ، فأقام عنده مدّة ، ثم أتاه فقال له : [من الطويل]

ألا حَنَّتِ المِرْقـالُ وائْتَبَّ ربُّهـا تَذَكَّــرُ أوطاناً وأُذْكُرُ مَعْشَري[1]
ولـو عَرَفتْ صَرْفَ البُيوع لَسَرَّها بمكــةَ أن تَبْتاعَ حَمْضا بإذْخرِ[2]
أَسَرَّكِ لــو أنــا بجَنْبَيْ عُنَيزةٍ وحَمْضٍ وضُمران الجنابِ وصَعْتَرِ[3]
إذا شاء راعيهـــا استقَى من وَقيعةٍ كعَــينِ الغُرابِ صَفْوُها لم يُكدَّرِ[4]

فلمّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف ، وكان نديماً له .

صوت

[من المنسرح]

لا يَعْتَري شَرْبَنا اللَّحاءُ وقَدْ تُوهَــبُ فينـا القِيانُ والحُلَلُ
وفِتيـــةٍ كالسّيوفِ نادَمتُهــمْ لا حَصَرٌ فيهـــمُ ولا بَخَلُ

الشعر للأسود بن يَعفُر ، والغِناء لسُلَيم ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبِنصر .

---

1 ائتب : تجهز للمسير . ويروى «تذكر أرماماً» ، وهو موضع له يوم .
2 الحمض : كل نبات حامض أو مالح . والإذخر : نبات طيب الرائحة .
3 هذه أسماء مواضع .
4 الوقيعة : مكان يمسك الماء .

[231] ـ أخبار الأسود بن يعفر ونسبه[1]

[نسبه]

الأسود بن يعفر ـ ويقال يُعفر بضم الياء ـ ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمُّ الأسود بن يعفر رُهم بنت العَبّاب ، من بني سهم بن عجل . شاعر متقدّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير ، والمخبَّل السعديّ . والنَّمِر بن تولب العُكْليّ . وهو من العُشْي ـ ويقال العُشْوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة[2] : [من الكامل]

نــامَ الخَليُّ وما أُحِسُّ رُقادي ... والهمُّ مُحتَضِرٌ لــدَيَّ وسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مفضَّلية مأثورةٌ .

[دارمي لا يعرف شعر الأسود بن يعفر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسديُّ قالا : حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوّار بن عبد الله ليُقيم عنده شهادةً ، فصادفه يتمثَّل قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

ولقــد علمتُ لَوَ انّ عِلميَ نافِعي ... أنّ السَّبيلَ سَبيــلُ ذي الأعْوادِ[3]

إنَّ المَنِيَّــةَ والحُتُــوفَ كلاهمــا ... يُوفي المَخــارِمَ يَرْمِيــانِ سَوادي[4]

مــاذا أُؤَمِّــلُ بعــد آلِ مُحَرِّقٍ ... تَركــوا مَنازِلَهُـــمْ وبعدَ إيادِ[5]

أهــلِ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وبــارِقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ[6]

---

1 للأسود ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 176 وطبقات ابن سلام : 123 وشرح المفضليات : 445 وهو المعروف بأعشى نهشل . وقد جمع غويار شعره في ديوان الأعشين 293–310 وإليه نشير . وتختلف رواية بعض الأبيات في المفضليات والديوان عما هنا .

2 هي المفضلية 44 وانظر ديوانه القطعة 17 .

3 ذو الأعواد : من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم كان له سرير يحمل عليه لمّا أسنّ .

4 يوفي : يعلو . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل . سواد المرء : شخصه .

5 آل محرق : ملوك الحيرة ، ويطلق أيضاً على ملوك الغساسنة . وإياد : هي من معد بن عدنان .

6 الخورنق والسدير : القصران المشهوران بالحيرة . بارق : ماء أو نهر بالعراق من أعمال الكوفة . سنداد : منزل لأياد ، وهو سواد الكوفة .

نزلوا بأنْقُرةٍ يَفيض عليهمُ ماءُ الفُرات يَفيض من أطْوادِ
جَرَتِ الرياحُ على محلِّ ديارهم فكأنّما كانوا على مِيعادِ

ثم أقبل على الدارميّ فقال له : أتروي هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرِفُ مَن يقوله ؟ قال : لا . قال : رجلٌ من قومك له هذه النباهةُ وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه ! يا مزاحم ، أثبِت شهادته عندك ، فإنّي متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسأل عنه ، فإنّي أظنّه ضعيفاً .

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الرياشيّ عن أبي عبيدة بمثله .

[الرشيد يعرض جائزة لمن يروي دالية الأسود]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحَكَم بن موسى السَّلوليّ قال حدّثني أبي قال : بينا نحن بالرافقة[1] على باب الرشيد وقوفٌ ، وما أفقِدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وصيفٌ كأنّه درّةٌ فقال : يا معشر الصحابة ، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر : [من الكامل]

نام الخَليُّ وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحْتَضِرٌ لَديَّ وِسادِي

فليدخل فيُنشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ . فنظر بعضنا إلى بعضٍ ، ولم يكن فينا أحدٌ يرويها . قال : فكأنّما سقطتْ والله البَدرة عن قربوسي . قال الحكم : فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عبدُ الله بن عبد الرحمن المدائنيّ قال : حدّثنا [أبو] أميّة بن عمرو بن هشام الحرانيّ قال : حدّثنا محمد بن يزيد بن سنان قال : حدّثني جدِّي سِنان بن يزيد قال : كنت مع مولاي جرير بن سهمٍ التميميّ وهو يسير أمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول : [من الرجز]

يا فَرَسي سِيري وأُمِّي الشاما وخَلِّفي الأخوالَ والأعماما
وقطِّعي الأجْوازَ والأعلاما وقاتِلي مَن خالفَ الإماما
إنّي لأرجو إن لَقِينا العاما جَمْعَ بني أُمَيَّةَ الطَّغاما
أن نَقتُلَ العاصيَ والهُماما وأن نُزِيلَ من رِجالٍ هاما

فلمّا انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا ، فتمثَّل مولاي قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

---

1 الرافقة : مدينة على الفرات غلب عليها اسم الرقة .

جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهِمْ   فكأنّمــا كانــوا عــلى مِيعـادِ

فقال له عليٌّ عليه السلام : فلِمَ لَم تقل كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُون . وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ . ونَعْمةٍ كانوا فِيها فاكِهِين . كذلك وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾ . ثم قال : يا ابن أخي ، إن هؤلاء كفروا النعمة ، فحلّت بهم النِّقْمةُ ، فإيّاكم وكُفر النعمة فتَحِلَّ بكم النقمة .

[عند قصر لآل جفنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : مرَّ عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفنة ، وقد خرِب ، فتمثَّل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِم   فكأنّمــا كانــوا على ميعادِ
ولقد غَنُوا فيهــا بأنْعَمِ عِيشةٍ   في ظِـلِّ مُلْكٍ ثابـتِ الأَوْتادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ مـا يُلهى به   يومــاً يَصِيرُ إلى بِلًــى ونَفادِ

فقال له عمر : هلاّ قرأتَ : ﴿كَمْ تركُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾ ، إلى قوله جلّ وعزّ : ﴿كذلكَ وأَوْرَثْناها قَوماً آخَرين﴾ .

[يقامر بإبله ويخسر]

نسختُ من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيِّ عن المُفَضَّل قال : كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرّة بن عباد بالقاعة[1] ، فقامرهم فقمروه ، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً ، فقالت لهم أمّه وهي رُهم بنت العبّاب : يا قوم ، أتسلبون ابن أخيكم مالَه ؟ قالوا : فماذا نصنع ؟ قالت : احبسوا قِداحه .

فلمّا راح القوم قالوا له : أمْسِك . فدخل ليُقامِرهم فردّوا قِداحه . فقال : لا أقيم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح ؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرُم ، فأخذت إبله طائفةٌ من بكر بن وائل ؛ فاستسعى الأسود بني مرّة بن عباد وذكّرهم الجوار وقال لهم[2] : [من الطويل]

يالَ عُبادٍ دَعــوةً بعــد هَجْمةٍ   فهل فيكُم من قــوّةٍ وزماعِ[3]
فتَسْعَوْا لجارٍ حلَّ وَسْطَ بُيوتكم   غريبٍ وجاراتٍ تُركــنَ جِياعِ

---

1 القاعة : موضع .
2 ديوانه : 37 .
3 الزماع : العزم على الأمر والمضاء فيه .

وهي قصيدةٌ طويلةٌ ، فلم يصنعوا شيئاً . فادَّعى جِوارَ بني مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان ، فقال[1] : [من الرجز]

قُـلْ لبني مُحَلِّمٍ يَسيروا بذِمَّـةٍ يَسْعى بهـا خَفيرُ
لا قَدْحَ بعد اليوم حتى تُورُوا

ويروى «إن لم تُورُوا» . فسعَوا معه حتى استنقذوا إبلَه ، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

أجارَتَنا غُضِّي مـن السَّيْر أو قفي وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ بالبَيْن فاصْرِفي[3]
أُسائِلْكِ أو أُخبِرْكِ عن ذي لُبانةٍ سَقِيمِ الفُـؤادِ بالحِسانِ مُكَلَّفِ[4]

يقول فيها :

تَدارَكنـي أسبابُ آلِ مُحَلَّـمٍ وقد كِدْتُ أهْوِي بين نِيقَيْنِ نَفْنَفِ[5]
همُ القومُ يُمسي جارُهم في غَضارةٍ سَوِيّـاً سَليمَ اللَّحم لم يُتحوَّفِ[6]

فلمّا بلغتهم أبياتُه ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم .

[طلب منه شخص أن يسعى له في إبله]

قال المفضَّل : كان رجلٌ من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة ، جاراً لبني ربيعة بن عِجل بن لُجيم ، فأكلوا[7] إبله ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفُر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لستُ جامِعَهما لك ، ولكن اختَرْ أيَّهما شئتَ . قال : أختار أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عِجلٍ[8] : [من الكامل]

يـا جارَ طَلْحَةَ هلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ فتكونَ أدْنـى للوَفـاء وأكرَما
تاللهِ لـو جاوَرْتُموه بـأرْضِهِ حتّى يُفارِقكم إذاً مـا أحْرَما

وهي قصيدة طويلة . فبعث أخواله من بني عِجلٍ بإبل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا :

1 ديوانه : 26 .
2 ديوانه : 39 .
3 اصرفي : اعدلي .
4 مكلف : مولع .
5 النيق : حرف الجبل . والنفنف : المهواة بين جبلين .
6 الغضارة : سعة العيش . لم يتحوف : لم ينتقص .
7 أكلوا إبله : أخذوها .
8 ديوانه : 53 .

أمّا إذ كنتَ شفيعَه فخُذها ، وتولَّ ردّها لتُحرِزَ المَكرمة عنده دون غيرك .

[النعمان يحرض على طلب الثأر فيتولاه الأسود]

وقال ابن الأعرابيّ : قتل رجلان من بني سعد بن عِجلٍ يُقال لهما وائلٌ وسَلِيطٌ ابنا عبد الله ، عمّاً لخالد بن مالك بن رِبعيٍّ النهشليّ يقال له عامر بن رِبعيّ ، وكان خالد بن مالكٍ عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يعفُر . فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالكٍ فقال له : أيَّ فارسين في العرب تعرفُ هما أثقل على الأقران وأخفّ على مُتون الخيل ؟ فقال له : أَبَيْتَ اللعنَ ! أنت أعلم . فقال : خالا ابن عمِّك الأسود بن يعفر وقاتِلا عمِّك عامر بن رِبعيّ (يعني العِجْليَين وائلاً وسليطاً) . فتغيَّر لون خالد بن مالك . وإنّما أراد النعمان أن يحثّه على الطلب بثأر عمِّه . فوثب الأسود فقال : أبيتَ اللعن ! عضَّ بهن أمّه مَن رأى حقَّ أخواله فوق حقِّ أعمامه . ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال : يا ابن عمٍّ ، الخمر عليَّ حرامٌ حتى أثأر لك بعمّك . قال : وعليّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم ، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارمٍ يقال له عبيد يتجسَّس لهم الخبر ، فرجع إليهم فقال : جوفُ كاظمة ملآن من حجّاج وتجار ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ متساندان في الجيش . فركبتْ بنو نهشلٍ حتى أتَوهم ، فنادوا : مَن كان حاجّاً فليَمْضِ لحجّه ، ومَنْ كان تاجراً فليمض لتجارته . فلمّا خَلَصَ لهم وائلٌ وسليط في جيشهما اقتتلوا ، فقُتِل وائل وسليطٌ ، قتلهما هِزّان بن زهير بن جندل بن نهشل ، عادى[1] بينهما . وادّعى الأسود بن يعفُر أنّه قتل وائلاً .

[مرضه عند النعمان]

ثم عاد إلى النعمان فلمّا رآه تبسّم وقال : وفي نَذْرُكَ يا أسود ؟ قال : نعم أبيتَ اللعن ! ثم أقام عنده مدّةً ينادمه ويؤاكله ، ثم مرض مرضاً شديداً ، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به ؛ فقال[2] : [من البسيط]

نَفْعٌ قليل إذا نادى الصَّدى أُصُلاً ... وحانَ منه لبردِ الماءِ تَغْرِيدُ

وودَّعوني فقالوا ساعةَ انطلقوا ... أَوْدى فأودى النَّدى والحزمُ والجُودُ

فما أُبالي إذا ما مِتُّ ما صَنَعُوا ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مَرْصودُ

[ابنه يأخذ فرساً ثم يضطر إلى ردّها فيهجو الذي أعان عليه]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : وكان أبو جُعَلٍ

1 عادى بينهما : طعنهما طعنتين متواليتين .

2 ديوانه : 10 .

أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شُذّاذ أسدٍ وتميم وغيرهم ، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة ، فنَذِروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم . فلحِق رجلٌ من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر . والحُرُّ بن شَمِر بن هِزّان بن زهير بن جندلٍ ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرٌو والحارث ابنا حُرَير بن سلمى بن جندل ، فقال لهم الحارثيّ : هلُمَّ إليَّ طُلَقاء ؛ فقد أعجبني قِتالُكم سائر اليوم ، وأنا خيرٌ لكم من العطش . قالوا نعم . فنزل ليُجزَّ نواصيهم . فنظر الجرّاح بن الأسود إلى فرسٍ من خيلهم فإذا هي أجود فرسٍ في الأرض ، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها . فقال الحارثيّ للذين بقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم نحن لك عليه خُفَراءُ . فلمّا أتى جرّاحٌ أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها : العَصماء . فلمّا رجع النَّفَر النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّا خُفَراء فارس العصماء ، فوالله لنأخذنّها ، فأوعدوه . وقال حُرَير ورافع : نحن الخفيران بها . وكان بنو جَرْوَلٍ حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل ، فأعانه على ذلك التَّيْحان بن بلج بن جرول بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه[1] : [من الطويل]

أتـاني ولم أَخشَ الذي ابتُعِثا به ... خَفِيرا بنـي سَلْمى حُرَيْر ورافعُ
هـمُ خَيَّبوني يـومَ كلُّ غَنِيمةٍ ... وأهلكتُهـم لَـوْ أنَّ ذلـك نافعُ
فـلا أنـا مُعْطِيهم عليَّ ظُلامةً ... ولا الحقُّ مَعْروفاً لهـم أنا مانِعُ
وإنّي لأَقرِي الضيفَ وَصَّى به أبي ... وجارُ أبي التَّيْحانِ ظمـآنُ جائعُ
فقُولا لتَيْحانَ ابنِ عاقِرةٍ استِها ... أمُجْرِ فَلاقي الغَيِّ أمْ أنتَ نازِعُ[2]
ولَـوْ أنَّ تَيْحانَ بنَ بَلْجٍ أطاعني ... لأرشدتُـه وللأمـور مَطالعُ
وإنْ يَـكُ مَدلـولاً عَليَّ فإنَّني ... أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ ولا متَجاذِعُ[3]
ولكنَّ تَيْحانَ ابنَ عاقِـرةِ استِها ... لـه ذَنَـبٌ مـن أمْرِه وتَوابعُ[4]

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يُقلِعون عن الفَرَس أو يردّوها ، أحلفَهم عليها فحلفوا أنهم خُفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس إلى صاحبها . ثم أظهر

1 ديوانه : 35 .
2 مجر : قاصد الشر . نازع : كافٌ منتهٍ .
3 مدلول علي : أي مجترىء علي . القحم : الكبير السن . والمتجاذع : الصغير السن .
4 له ذنب من أمره : عواقب .

الأَمهار بعد ذلك ، فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود[1] : [من الطويل]

أحقّاً بني أبنـاء سَلْمى بنِ جَنْدَلٍ ... وَعيدُكُـمُ إيـايَ وَسْطَ المجالسِ
فهـلاّ جَعلتُمْ نحـوَهُ من وَعِيدِكُمْ ... على رَهْطِ قَعْقاعٍ ورهطِ ابنِ حابسِ
هُـمُ مَنعوا منكـم تُراثَ أبيكُمُ ... فصار التُّراثُ للكـرام الأكايسِ
هُمُ أوْردوكُمْ ضَفَّـةَ البحرِ طامِياً ... وهُـمْ تركوكُمْ بين خازٍ وناكسِ[2]

[رثاؤه مسروق بن المنذر النهشليّ]

وقال أبو عمرٍو : كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيِّداً جواداً ، وكان مؤثِراً للأسود بن يعفر ، كثير الرِّفد له والبِرِّ به . فمات مسروق واقتسم أهله مالَه ، وبان فقدُه على الأسود بن يعفُر فقال يرثيه[3] : [من البسيط]

أقـولَ لَمّا أتـاني هُلْـكُ سَيِّدِنا ... لا يُـبْعِدِ اللهُ ربُّ الناسِ مَسْروقا
مَـن لا يشيِّعُه عجـزٌ ولا بَخَلٌ ... ولا يَبِيتُ لديـه اللّحمُ مَوْشُوقا[4]
مِرْدى حُروبٍ إذا ما الخيلُ ضَرَّجَها ... نَضْخُ الدمـاءِ وقـد كانتْ أفاريقا
والطاعنُ الطعنـةَ النَّجْلاءَ تحسَبُها ... شَنّاً هَزِيماً يَمُـجُّ المـاءَ مَخْروقا
وجَفْنـةٍ كنَضيحِ البِئْرِ مُتْأَقةٍ ... تَـرى جَوانبَهـا باللحمِ مفتوقا
يَسَّرْتَـهـا ليتامـى أو لأرْمَلَـةٍ ... وكنـتَ بالبائسِ المتروكِ مَحْقوقا
يـا لَهْفَ أُمِّيَ إذْ أوْدى وفارَقني ... أودى ابنُ سَلْمى نقيَّ العِرْضِ مَرْمُوقا

[عتاب ابنته له على جوده]

وقال أبو عمرو : عاتبتْ سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءَهم ويُعين به مُستمنحهم ، فقال لها[5] : [من الوافر]

وقالت لا أَراك تُليـقُ شيئاً ... أتُهْلِكُ مـا جَمعْتَ وتستفيدُ[6]
فقلـتُ بِحَسْبِها يَسَرٌ وعـارٍ ... ومُرْتَحِـلٌ إذا رَحَـل الوفودُ[7]

---

1 ديوانه : 31 .
2 الخازي : من الخزي إذا ذل وهان . والناكس : المطأطىء الرأس .
3 ديوانه : 41 .
4 يشيعه : يتبعه أو يصحبه . الموشوق : المقدد .
5 ديوانه : 11 .
6 لا تليق شيئاً : لا تمسك شيئاً .
7 اليسر : القوم المجتمعون على الميسر . والعاري : الذي يعرض للقوم ملتمساً المعروف . والمرتحل : الذي يركب البعير بالقتب .

فلُومِـي إنْ بدا لك أو أفِيقي ... فقَبْلَكِ فاتَنِـي وهــو الحَمِيدُ

أبــو العَــوْراء لم أُكْمَدْ عليه ... وقيسٌ فاتَنــي وأخِــي يزيدُ

مَضَوْا لسبيلهم وبَقِيتُ وَحدِي ... وقَـدْ يُغْنِـي رِباعته الوَحِيدُ[1]

فلوْلا الشامِتونَ أخذْتُ حَقّي ... وإنْ كانَــتْ بمَطلبـه كَـؤُودُ

ويُروى : وإنْ كانت لـه عِنْدي كَؤُودُ

[ما قاله في ابنه جراح]

قال أبو عمرو : وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً ، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبيّاً من الحيّ ، وقد صرعه الصبيُّ ، والصبيان يهزءون منه ، فقال[2] : [من الطويل]

سيَجْرَحُ جــرّاحٌ وأعْقِـلُ ضَيْمَه ... إذا كان مَخْشِيّاً من الضَّلَعِ المُبْدِي[3]

فآبــاءُ جــرّاحٍ ذُؤابــة دارِمٍ ... وأخوالُ جــرّاحٍ سَراةُ بنــي نَهْدِ

قال : وكانت أُمّ الجرّاح أَخِيذةً ، أخذها الأسود من بني نَهد في غارةٍ أغارها عليهم .

[أسن وكف بصره]

وقال أبو عمرو : لمّا أسنّ الأسود بن يعفر كُفَّ بصره . فكان يُقاد إذا أراد مذهباً . وقال في ذلك[4] : [من البسيط]

قد كنتُ أَهْدِي ولا أُهْدى فعلَّمني ... حُسْنُ المَقــادةِ أنّي أَفقِدُ البَصَرا

أَمْشي وأَتبَــعُ جَنّابــاً ليَهْدِيَني ... إنّ الجَنِيبــة ممّــا تَجْشَمُ الغَدَرا

الجُنّاب : الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجَنيبة . الجشم : المشي ببطء . والغدر : مكان ليس مستوياً .

[شعر لأخيه حطائط]

وذكر محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضَّل : أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطائط بن يعفر شاعر ، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً . قال : وأخوه حطائط الذي قال لأُمّهما رُهم بنت العبّاب ، وعاتبته على جوده فقال : [من الطويل]

1 الرباعة : الشأن والأمر وتعني أيضاً القبيلة .

2 ديوانه : 13 .

3 أعقل : أتحمل . والضلع : الاعوجاج .

4 ديوانه : 20 .

تقول ابنةُ العبّاب رُهْـمٌ حَرَبْتَني ... حُطائـطُ لم تَتْرُكْ لنفسك مَقْعَدا[1]
إذا مـا جمعنا صِرمة بعد هَجْمةٍ ... تكون علينا كابـن أُمِّك أسودا
فقلتُ ولم أُعْيَ الجـوابَ : تأمَّلي ... أكان هُـزالاً حَتْفُ زيـدٍ وأَربُدا
أريني جَواداً مـات هُزْلاً لعلَّني ... أرى مـا تَرَيْـن أو بخيلا مُخلَّدا
ذَريني أكنْ للمال ربّـاً ولا يكن ... لي المالُ ربّـاً تَحمَدي غِبَّـه غدا
ذريني فـلا أعيا بما حَلَّ ساحَتي ... أسُودُ فأُكْفـى أو أُطيعُ المُسَوَّدا
ذريني يكنْ مالي لعِرْضي وِقايةً ... يَقِي المـالُ عِرْضِي قَبل أن يتبدَّدا
أجارةَ أهـلي بالقَصيمةِ لا يكن ... علـيَّ ، ولم أُظلِمْ ، لسانُكِ مِبْرَدا

صوت

[من الوافر]

أعاذِلَتـي ألا لا تَعذُلينـا ... أَقِلّـى اللـومَ إنْ لم تَنْفَعينا
فقـد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً ... ولستُ بقابـلٍ ما تأمُرينا

الشعر لأرطاةَ بن سُهَيَّة ، والغناء لمحمد بن الأشعث ، خفيف رملٍ بالبِنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

1 في الحماسة 1732 : ابنة العتاب . حربتني : أخذت مالي .

[232] ـ أخبار أرطاة بن سهية ونسبه[1]

[نسبه]

هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غَيْظ بن مُرّة [بن عوف] بن سعد بن ذبيان . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب . وسُهيّة أُمُّه ؛ وهي بنتُ زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حُديج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، سَبِيَّةٌ من كلب ، وكانت لضرار بن الأزْوَر ثم صارت إلى زُفَرَ وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضرارٍ على فراش زُفَر ؛ فلمّا ترعرع أرطاة جاء ضرارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له : [من الرجز]

يـا حارِثُ افْكُكْ لي بُنَيَّ من زُفَرْ

ويروى : «يا حارِ أَطْلِقْ لي» :

في بعضِ مَنْ تُطلِقُ مِن أَسْرى مُضَرْ إنّ أبـاه امـرُؤٌ سَوْءٍ إن كُفـرْ[2]

فأعطاه الحارث إيّاه وقال : انطلق بابنِك ، فأدركه نهشل بن حرّي بن غَطَفان فانتزعه منه وردَّه إلى زُفَرَ . وفي تَصْداق ذلك يقول أرطاةُ لبعض أولاد زُفَرَ : [من الكامل]

فإذا خَمَصْتم قلتـم يا عمَّنا وإذا بَطِنتم قلتُم ابنَ الأَزْوَرِ

قال : ولهذا غلبتْ أمّه سُهَيّة على نَسبه فنُسب إليها . وضرار بن الأزوَر هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه مُتَمِّم : [من الكامل]

نِعْمَ القتيـلُ إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ تحت البيوت ، قَتلتَ يا ابنَ الأَزْوَرِ

[منزلته في الشعر]

وأرطاة شاعرٌ فصيح ، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أميّة لم يسبقها ولم يتأخر عنها . وكان أمرأ صِدْقٍ شريفاً في قومه جَواداً .

[مناقضته]

أُخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان رُفَيع بن سلمة الملقّب بدَماذ ، قال :

---

1 ترجمة أرطاة بن سهية في الشعر والشعراء 1 : 427 والإصابة 1 : 104 والسمط : 299 ، 630 وألقاب الشعراء : 308 ، 359 .

2 كفر : جحد حقّه .

حدّثنا أبو عبيدة قال : دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشده شيئاً ممّا كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فأنشده : [من الطويل]

أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يَزَل ... جَنيباً لآبائي وأنت جنيبُ[1]

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبتَ ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده : [من الطويل]

وما زلتُ خيراً منك مذ عَضَّ كارِهاً ... برأسك عاديُّ النِّجاد رَسوبُ[2]

[معرفة عبد الملك مقادير الناس]

فقال له عبد الملك : صدقت ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد الملك مَن حضر ومن معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قال : كان شبيب أشرفَ أباً من أرطاة ، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونَفْساً من شبيب .

[وصفه حاله عندما أسنّ وضعف]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظ ودَماذ أبو غسان ، قالا جميعاً ، قال أبو عبيدة : دخل أرطاة بن سُهيّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ ، وقد كان أسنّ ، فقال : ضعُفتْ أوصالي ، وضاع مالي ، وقلَّ منّي ما كنت أُحِبّ كثرته ، وكثُر منّي ما كنت أُحِبّ قِلّته . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهبُ ، وما يكون الشعر إلاّ من نتائج هذه الأربع ، وعلى أنّي القائل : [من الوافر]

رأيتُ المرءَ تأكُلُه اللّيالي ... كأكْلِ الأرضِ ساقِطةَ الحديدِ
وما تَبْغي المَنيَّةُ حينَ تأتي ... على نَفْسِ ابن آدمَ من مَزيدِ
وأعْلَمُ أنّها ستكُرُّ حتّى ... تُوَفِّي نَذْرَها بأبي الوَليدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بَلْ تُوفّي نذرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال : لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين ، فإنّما عَنَيْتُ نفسي ، وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد فسَكَن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لتلُمّنّ بي .

أخبرني به حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيل[3] معنًى .

---

1 جنيب : طائع منقاد .

2 رسوب في ل : ركوب . عادي النجاد : قديم يرجع إلى زمن عاد .

3 يحيل : يغير ويفسد .

[تهنئته مروان لمّا ولي الخلافة]

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشيّ الهشاميّ بأنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لمّا اجتمع له أمر الخلافة ، وفرغ من أمر الحروب التي كان بها متشاغلاً ، وصمد[1] لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزُّبير لمحاربته ، فهنّأه وكان خاصّاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده : [من المتقارب]

تَشَكَّى قَلُوصِي إليَّ الوَجى ... تَجُرُّ السَّرِيحَ وتُبْلي الخِداما[2]
تَزُورُ كريماً له عندها ... يدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِي السَّلاما
وقَلَّ ثواباً له أنَّها ... تُجيدُ القَوافِيَ عاماً فعاما
وسادَتْ مَعَدّاً على رَغْمِها ... قُرَيشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاما
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً ... فما زال غَمْزُك حتى استقاما[3]
لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتَها ... فجرَّدتَ فِيهنَّ عَضْباً حُساما
تَشُقُّ القَوانسَ حتى تَنا ... لَ ما تحتَها ثم تَبري العِظاما[4]
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقاً ... فما زادَكَ النَّزْعُ إلاّ تَماما[5]
فزاد لَكَ اللهُ سُلطانَهُ ... وزاد لك الخيرَ منه قَداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزَبيباً وشعيراً .

[هجاؤه شبيب بن البرصاء]

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكلٍّ واحد منهما في صاحبه هجاءٌ كثير ، وكان كلٌّ واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، وكانت بنو مرّة تألفُه وتنتجعه لصهره فيهم . فلمّا افترقا سَبَعه[6] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم ؛ فقال أرطاة له : [من الطويل]

---

1 صمد : قصد .

2 الوجى : الحفاء . السريح : القيد الذي تشدّ به الخَدَمَة فوق الرسغ . الخدام : جمع خَدَمَة وهي السير من الجلد .

3 صغا : ميل .

4 القوانس : جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد .

5 نزعت : جريت .

6 سبعه : شتمه وقال فيه قولاً قبيحاً .

رَمتْكَ فلــم تُشْو الفؤادَ جَنوبُ ... وما كلُّ مَن يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ[1]
ومــا زَوَّدَتْنا غيرَ أن خَلَطتْ لنا ... أحاديثَ منهــا صادقٌ وكَذوبُ
ألا مُبْلِــغٌ فِتيانَ قَوْمِــيَ أنَّني ... هَجاني ابنُ بَرْصاء اليَدَينِ شَبيبُ
وفي آل عَــوْفٍ من يَهودَ قَبيلةٌ ... تَشابَـهَ منهــا ناشِئون وشِيبُ
أبِي كان خَيراً من أبيكَ ولم يَزَلْ ... جَنيباً لآبائــي وأنــت جَنِيبُ
وما زلتُ خيراً منكَ مذ عضَّ كارهاً ... برأسك عادِيُّ النِّجاد رَسوبُ[2]
فمــا ذَنْبُنا إن أُمُّ حمـزةَ جاورتْ ... بيَثْــرِبَ أتياساً لهــنَّ نَبِيبُ[3]
وإنَّ رجــالاً بــين سَلْعٍ وواقِمٍ ... لأيْــرِ أبيهم في أبيكَ نَصيبُ[4]
فلو كنتَ عَوْفيّاً عَمِيتَ وأَسْهلتْ ... كُداكَ ولكــنَّ المُريـب مُريبُ[5]

فأخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال: لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ يتمنّى أن يَعمى، وكان العَمى شائعاً في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عمِي، فعُمِّر أرطاة ولم يَعْمَ، فكان شبيبٌ يعيِّره بذلك. ثم مات أرطاة وعَمِي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلَمَ أنّي عَوفيّ.

[ردّه على شبيب حين تمنى لقاؤه في قتال]

ونسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال: كان شبيب بن البرصاء يقول: وددت أنّي جمعني وابن الأَمَة أرطاة بن سُهيّة يوم قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطاة فقال له: [من البسيط]

إنْ تَلْقَني لا تَـرى غيري بناظِرةٍ ... تنسَ السلاحَ وتَعرِفْ جبهةَ الأَسدِ
مــا ذا تظنُّكَ تُغني في أخي رَصَد ... من أُسْد خفّان جابِي العَين ذي لبدِ

جابي العين وجائب العين: شديد النظر.

1 فلم تشو في ل: فلن تشفِ. ولم تشو: لم تصب مقتلاً.
2 رسوب في ل: ركوب.
3 النبيب: صياح التيوس عند هياجها.
4 سلع: جبل متصل بالمدينة، وواقم أطم من آطامها.
5 كدى: جمع كدية وهي الأرض الغليظة.

أبــي ضَراغِمَــةٍ غُبْــرٍ يُعَوِّدُهــا أكلَ الرجـال متى يَبْدأ لها يَعُدِ
يــا أيّها المتمنّــي أن يُلاقيَنــي إن تَنـأْ آتِكَ أو إن تَبْغنــي تَجِدِ
تَقِضِ اللُّبانَــةَ مــن مُــرٍّ شَرائعُــه صَعبِ المَقادة تَخشاه فـلا تَعُدِ[1]
متــى تَــرِدْنِيَ لا تَصْدُر لَمصْدرة فيها نجـاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا تَرِدِ
لا تحسبَنّي كفَقْع القــاع يَنقُره جــانٍ بإصبعَــه أو بَيْضةِ البَلدِ
أنــا ابن عُقْفان معروفٌ له نَسبي إلاّ بمـــا شاركت أمٌّ على وَلدِ
لاقى الملوكَ فأثْــأى في دمائهمُ ثم استقرَّ بـلا عَقْـل ولا قَوَدِ[2]
مِن عُصْبة يَطعنُون الخيلَ ضاحِيةً حتى تَبَــدَّدَ كالمَزْؤودة الشُّرُدِ[3]
ويَمنعون نساءَ الحَــيّ إن عَلِمت ويَكشفون قَتــامَ الغـارة العمدِ
أنا ابنُ صِرْمة إن تسأل خِيارَهُم أضربْ برِجليَ في ساداتهم ويَدي
وفي بنــي مالــك أمٌّ وزافِــرةٌ لا يدفع المجد من قَيْس إلى أحدِ[4]
ضربتَ فيهم بأَعْراقي كما ضَربت عُروقُ ناعمــةٍ في أَبطَح ثَئِدِ[5]
جَدّي قُضاعة معـروف ويعرفني جَبا رفيدة أهـل السَّرو والعَددِ[6]

[حبه لوجزة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : كان أرطاة بن سُهَيَّة يتحدّث إلى امرأة من غَنيّ يقال لها وجْزَة ، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة ، ثم اجتمعت غَنيّ وبنو مُرّة في دار ، فمرّ أرطاة بوَجزة وقد هرِمت وتغيَّرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها وتحدّث معها وهي تشكو إليه أمرها ، فلمّا أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال : [من الطويل]

---

1 الشرائع : جمع شريعة وهي مورد الماء .
2 أثأى : طعن وجرح .
3 الضاحية : البارزة . المزءودة : المذعورة . والشرد : النافرة .
4 زافرة : عشير وأنصار .
5 الأبطح : المسيل الواسع . والثئد : الندي .
6 الجبا : الحوض وما حول البئر ، يعني به جمع القبيلة . ورفيده : الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أمه .

مررتُ على حِدْثي برَمّان بعدما تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبا والوَسائلُ[1]
فكنتُ كظبْيٍ مفلِتٍ ثمَّ لم يزل به الحَيْن حتى أُعلِقته الحبائلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزةَ هذه ، ونسب بها في مواضع من شعره ، فقال في قصيدة : [من الطويل]

وداويــة نازعتُهـا الليـلَ زائرا لِوجزةَ تَهْديني النجومُ الطوامسُ[2]
أَعُوجُ بأصحابي عن القصد تعتلي بنا عُرض كِسْريها المطِيُّ العَرامِسُ[3]
فقــد تَرَكتني لا أعيجُ بمشرب فأَروى ولا ألهو إلى مَن أُجالسُ[4]
ومن عجبِ الأيام أَنْ كلّ منزل لوجزةَ من أكناف رَمّان دارسُ[5]
وقد جاورت قصرَ العُذَيْب فما يُرى برمّانَ إلا ساخِــطُ العيش بائسُ
طِلابٌ بعيدٌ واختِلافٌ من النوى إذا ما أتى مِن دون وجزةَ قادسُ[6]
لَئِنْ أنجحَ الواشون بيني وبينها وطال التنائي والنفوسُ النوافسُ[7]
لَقَـدْ طالمـا عِشْنا جَميعاً ووُدُّنا جميعٌ إذا مـا يبتغي الأُنسَ آنِسُ
كذلك صَرْفُ الدّهر ليس بتارِكٍ حبيبا ويبقـى عمـرُه المتقاعِسُ

[مهاجاته حباشة الأسدي]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت بين أرطاة بن سهيّة وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيان مهاجاة ، فاعترض بينهما حُباشة الأسديّ فهجا أرطـاة فقـال فيـه أرطاة : [من البسيط]

أبلِــغْ حُباشةَ أنّي غيرُ تارِكِــه حتــى أُذلِّلَــهُ إذ كان مـا كانا
الباعــثَ القولِ يُسدِيه ويلْحمه كالمُجْتَدِي الثُّكلَ إذ حاورتُ حيانا
إنْ تدعُ خندِفَ بغياً أو مكاثَرَةً أدعُ القبائل مــن قيسِ بنِ عَيْلانا
قَد نَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوِزنا والحــقُّ يحبسنا في حيــثُ يلقانا

1 الحدث : المحدث والمسامر . ورمان : جبل في بلاد طيء .
2 الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . النجوم الطوامس : التي خبا نورها .
3 كسريها : جانبيها . العرامس : جمع عِرمس وهي الناقة الصلبة القوية .
4 لا أعيج : لا أكترث .
5 منزل في ل : مجلس .
6 قادس : القادسية .
7 النوافس : جمع نافس وهو الحاسد .

نبنـي لآخِرِنـا مَجْـداً نُشَيِّدُه إنّـا كـذاك ورِثْنا المجـدَ أُولانا

[أعداؤه يرجفون بموته]

وقال ابن الأعرابيّ : وفَدَ أرطاةُ بن سُهَيَّةَ إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة ، وقد هنّـأه بالظَّفَر ، ومدحه فأطال المُقام عنده ، وأرجفَ أعداؤه بموته ، فلمّا قدم ، وقدْ ملأ يديه ، بَلَغَه ما كان منهم ، فقال فيهم : [من الطويل]

إذا مـا طَلَعْنا مـن ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ فخبِّرْ رجـالاً يَكرهُون إيابي
وخبِّرْهُمْ أنّي رجعـتُ بغبطة أُحَدِّدُ أظفاري ويَصْرُفُ نابي
وإنّي ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني كلابُ عدوّي أو تهِـرُّ كلابي

[تلاحيه مع زميل قاتل ابن دارة]

وقال أبو عمرو الشيباني : وقع بين زُمَيلٍ قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سُهيّة لِحاءٌ ؛ فتوعده زُمَيل ، فقال : إنّي لأحسبك ستَجرعُ مثل كأس ابن دارة . فقال له أرطاة : [من الكامل]

يا زِملُ إنّي إنْ أكُنْ لك سائقا تَرْكُضْ برِجْلَيْك النجاة وتَلْحَقِ
لا تحسَبَنِّي كامـرىءٍ صادفتَه بمَضيعَـة فخدشتَـهُ بـالمِرْفَقِ
إنّي امـرؤٌ أُوفي إذا قارعتكُمْ قَصَبَ الرِّهانِ ومـا أشاُ أَتعرَّقِ[1]

فقال له زميل : [من الكامل]

يـا أرطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتَهُ والمـرء يَسْتَحيي إذا لم يَصْدُقِ
فافعل كما فعـل ابنُ دارةَ سالمٌ ثـم امش هَوْنَك سادراً لا تَتَّقِ
وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَيْ شابكِ الـ ـأنياب فارْعُد ما بدا لك وابرُقِ

[عبثه بالربيع بن قعنب]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثنا الرياشيّ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة للربيع بن قَعَنبٍ : [من البسيط]

لقـد رأيتُك عُرْيانا ومؤْتَزِراً فما عرفتُ أأُنْثى أنتَ أمْ ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع : لكنْ سُهَيَّةُ قد عرفَتْني . فغلبه وانقطع أرطاة .

[عبد الرحمن بن سهيل وأم هشام وعمر بن عبد العزيز]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزي قـال : حدّثنا قَعنبُ بن المحرّز عن

---

1 أتعرق : أذهب .

الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلةَ الباهليّ قال : تزوّج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أمّ هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يجد بها وَجْداً شديداً ، فمرِض مرضَته التي هلك فيها ، فجعل يُديم النظر إليها وهي عند رأسه ، فقالت له : إنّك لتنظر إليّ نظر رجلٍ له حاجة . قال : إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرتُ بها لهان عليّ ما أنا فيه . قالت : وما هي ؟ قال : أخاف أن تتزوّجي بعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثّقي لي بالأيمان المغلّظَة . فحلفتْ له بكلّ يمينٍ سكَنَتْ إليها نفسه ثم هَلَك . فلمّا قضت عِدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فأرسلت إليه : ما أراكَ إلاّ وقد بلغتْك يميني . فأرسل إليها : لك مكان كُلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكان كلِّ عِلق عِلقان ، ومكان كلّ شيء ضِعفُه . فتزوَّجته ، فدخل عليها بطالٌ بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلاً من مشيخةِ قريشٍ مغفّلاً ، فلمّا رآها مع عمر جالسة قال : [من الطويل]

تبدلتِ بعد الخيْزرانِ جريدةً ... وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلام نائِمِ

فقال له عمر : جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أمّ هشام : ليس كما قلت ، ولكن كما قال أرطاة بن سهية : [من الطويل]

وكائنْ تَرى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلَةٍ ... بكت شجوها بعد الحنين المُرجَّعِ[1]

فكانت كَذاتِ البَو لمّا تعطفتْ ... على قطع من شِلْوِهِ المُتمزَّعِ

مَتى لا تَجِدْه تَنْصرفْ لِطياتها ... مِنَ الأرض أو تَعمِدِ لإلف فتَربَعِ[2]

عَن الدهرِ فاصفح إنه غيرُ مُعْتِبٍ ... وفي غيرِ مَن قد وارَتِ الأرضُ فاطمَعِ

وهذه الأبيات من قصيدةٍ يرثى بها أرطاة ابنه عمراً .

[أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولا]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ ، قال : حدّثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأرطاة بن سهيّة ابن يُقال له : عمرو ، فمات فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً . ثم إن الحيَّ أراد الرحيل بعد حولٍ لنُجعةٍ بَغوها ، فغدا على قبره ، فجلس عنده حتى إذا حان الرواحُ ناداه : رُحْ يا ابن سلمى معنا ! فقال له قومه : ننشدك الله في نفسك وعقلك ، ودينك ، كيف يروح معك من مات مُذْ حولٍ ؟ فقال : أَنظِروني الليلة إلى الغد . فأقاموا عليه ، فلمّا أصبح ناداه : اغدُ يا ابن

1 بث في ل : شجو .

2 طياتها : مخففة الياء ضرورة . والطية : الوجهة المقصودة .

سلمى معنا ، فلم يزلْ الناس يُذكّرونه الله ويناشدونه ، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره ، وقال : واللهِ لا أُتبعُكُم فامضوا إن شئتم أو أقيموا . فرقّوا له ورحموه ، فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم . وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه : [من الطويل]

وقفتُ على قبرِ ابن سلمى فلم يَكُنْ ... وقوفي عليـه غير مَبْكى ومَجْزَعِ
هل آنتَ ابنَ سلمى إن نظرتُكَ رائحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معي
أأنسى ابنَ سَلْمى وهو لم يأتِ دونه ... من الدهر إلاّ بعضُ صيف ومَرْبَعِ
وقفتُ على جُثمان عمرٍو فلم أجد ... سوى جَـدَثٍ عـافٍ ببيداء بلقعِ
ضربتُ عمودَي بانــة سَمَوا معاً ... فخرَّت ولم أُتبع قَلُوصي بدَعْدَعِ[1]
ولو أنّها حادت عن الرمسِ نلتُها ... ببادرةٍ مـن سيفِ أشهب مُوقَعِ[2]
تركتكِ إن تَحْيَيْ تَكُوسي وإن تَمُتْ ... على الجُهْد تَخذُلْها توالٍ فتُصْرَعِ[3]
فدع ذكرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه ... وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمَعِ

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، فذكر أنّ أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عَشيّاً فيقول : هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى ؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً ، ثم تَمثّلَ قول لبيد : [من الطويل]

إلى الحـول ثمَّ اسمُ السلام عليكُما ... ومن يبكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذَرْ

[مهاجاته الربيع بن قعنب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به : [من البسيط]

لقــد رأيتك عُرْيانــاً ومُؤْتَزِراً ... فما دريتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيع : [من البسيط]

لكن سُهَيَّةُ تـدري إذ أتيتكم ... على عُرَيجاءَ لما احتَلَّت الأُزُرُ[4]

فغلبه الربيع ، وَلَجَّ الهجاءُ بينهما ، فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطاة : [من الوافر]

ومـا عاشت بَنُـو عُقْفان إلاّ ... بأحـلامٍ كأحـلامِ الجوَاري

---

1 شبّه ناقته في ارتفاعها بشجرة البان . دعدع : كلمة تقال للعاثر .
2 موقع : الوقيع ، وهو من السيوف الذي شحذ بالحجر .
3 تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .
4 عريجاء : موضع .

وما عُقْفانُ من غَطَفان إلاّ تَلَمُّس مُظْلم بالليل ساري
إذا نَحَرَتْ بنو غيظ جَزُوراً دَعَوْهُمْ بالمراجل والشِّفارِ
طُهاة اللحم حتى يُنْضِجُوه وطاهي اللحم في شُغْلٍ وعارِ

فقال أرطاة يُجيبه ويعيِّره بأن أمَّه من عبد القيس : [من الوافر]

وهذا الفَسْوُ قد شاركتَ فيه فمَن شاركتَ في أَيرِ الحمارِ
وأيُّ الناس أخبثُ مِنْ هِبَلٍّ فزاريٌّ وأخبثُ ريحَ دارِ[1]

[هجاؤه مسرف بن عقبة]

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ ، قال : قدم مُسرفُ[2] بن عقبة المريّ المدينة ، وأوقع بأهل الحرة ، فأتاه قومه من بني مرّة وفيهم أرطاة فهنّئوه بالظفر واستَرْفَدوه فطردهم ونَهَرَهم ، وقام أرطاة بن سهيّة ليمدحه فتجهَّمه بأقبح قولٍ وطرده . وكان في جيش مسرفٍ رجلٌ من أهل الشام من عذرة ، يقال له عمارة ، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف إقبال معاوية عليه ، ورفده له ، فأومأ إلى أرطاة فأتاه ، فقال له : لا يغرُرْك ما بدا لك من الأمير ، فإنّه عليلٌ ضجرٌ ، ولو قد صَحَّ واستقامت الأمور لزال عمّا رأيتَ من قوله وفعله ، وأنا بك عارفٌ ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين ، يعني معاوية ، ولن تعدم منّي ما تُحِبُّ . ووصَلَه وكساه وحمله على ناقةٍ ، فقال أرطاة يمدحه ويهجو مُسرِفاً : [من الطويل]

لَحا الله فَوْدَي مُسْرف وابنِ عمّه وآثارَ نَعْليْ مسرف حيث أثَّرا
مررتُ على رَبْعَيْهما فكأنَّني مررتُ بجبّارَيْن من سَرْو حِمْيرا[3]

ويروى : «تَضَيَّفْتُ جَبَّارَيْن» .

على أن ذا العَلْيا عُمارةَ لم أجِدْ على البُعْد حُسْنَ العهد منه تَغَيَّرا
حباني بِبُرْدَيْه وعَنْسٍ كأنّما بنى فوق متْنَيْها الوليدان قَعْقَرا[4]

[أرطاة يسب ويضرب امرأة تطاولت على أمه]

وقال أبو عمرٍو الشيبانيّ : خاصمت امرأةٌ من بني مُرّة سهيّة أم أرطاة بن سهيّة ، وكانت

---

1 الهبلّ : الثقيل المسن من الناس والإبل .
2 اسمه مسلم ولقّب مسرفاً لإسرافه في القتل يوم الحرة .
3 سرو حمير : محلتهم .
4 القهقر : بناء طويل من الحجارة يقيمه الصبيان .

من غيرهم أُخيذة أخذها أبوه ، فاستطالت عليها المرأة وسبّتها ، فخرج أرطاة إليها فسبّها وضربها ، فجاء قومه ، ولاموه ، وقالوا له : ما لَكَ تُدْخِل نفسك في خصومات النساء ! فقال لهم : [من الطويل]

يُعَيِّرُني قَومـي المَجاهـل والخَنا … عليهـم وقالوا أنـتَ غيرُ حليمِ
هل الجهلُ فيكم أن أُعاقِبَ بعدما … تُجُـوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حريمي
إذا أنـا لم أَمْنع عَجُوزيَ منكُمُ … فكانت كأُخْرى في النساء عقيمِ
وقـد عَلِمَتْ أفنـاءُ مُـرَّة أننا … إذا مـا اجتدانا الشرَّ كلُّ حميمِ[1]
حمـاةٌ لأحسابِ العشيرة كلِّها … إذا ذُمَّ يـومَ الـرَّوعِ كلُّ مُليمِ[2]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء ، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهيّة ، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلوا يوم بناتِ قينٍ[3] ، هو : [من الوافر]

فَـلا وأبيكَ لا تنفَكُّ نَبْكِي … على قتْـلى هُنالكَ ، مـا بَقِينا
على قَتْـلى هنالك أو جَعَتْنا … وأنْسَتْنـا رِجـالاً آخرينا
سَنَبْكِي بـالرِّماحِ إذا التقينا … عـلى إخواننا وعـلى بنينا
بطعنٍ تَرْعُـد الأحشاءُ منه … يـردُّ البِيضَ والأبدانَ جُونا[4]
كأنّ الخيـلَ إذْ آنسن كَلْباً … يَرَيْـنَ وراءهـمْ مـا يبتغينا

صوت

[من الطويل]

عجبتُ لِمَسْراها وأنّى تَخَلَّصت … إليَّ وبـابُ السجنِ بالقفل مُغْلَقُ[5]
أَلَمَّتْ فحيَّتْ ثم قامت فَوَدَّعتْ … فلمّا تولّـت كادت النفسُ تَزْهَقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثيّ ، والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بنُ بانة أنّ فيه خفيفاً ثقيلاً أوّل بالوسطى لابن سريج . وذكر حمّاد بن إسحاق أنّ فيه خفيف الثقيل للهُذليّ .

1 اجتدانا الشر : طلب إلينا الشر ، أي طلب معونتنا لدفع الشر .
2 المليم : الذي يأتي ذنباً يلام عليه .
3 بنات القين : آكام في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب .
4 الأبدان : الدروع القصيرة . الجون هنا : الحمر من الدم .
5 مغلق في ل : دوني .

[233] ـ أخبار جعفر بن عُلبة الحارثيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو جعفر بن عُلبة بن ربيعة ، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكُلاب ، بن معاوية بن صلاءة بن المُعَقِّل بن كعبِ بن الحارث بن كعبٍ . ويكنى أبا عارِم ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكره في شعره . وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعرٌ مقلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مذكورٌ في قومه . وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً . وكان جعفرٌ قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنّه قتله في شأن أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارةٍ أغارها عليهم . وقيل : بل كان يُحَدّث نساءهم فنهَوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقَتَلَ منهم رجلاً فاستعدَوا عليه السلطان فأقاد منه . وأخباره في هذه الجهات كلّها تُذْكر وتُنسب إلى مَن رواها .

[سكر فحبس]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الربعيّ ، قال : حدّثنا أبو مالكٍ اليمانيّ ، قال : شرب جعفر بن علبة الحارثيّ حتى سَكِر فأخذه السلطان فحبسه ، فأنشأ يقول في حبسه : [من الطويل]

لقد زَعَمُوا أنّي سكرتُ وربّما ... يكونُ الفَتى سَكرانَ وهْوَ حَليمُ
لعمرُك ما بالسّكرِ عارٌ على الفتى ... ولَكِنَّ عاراً أن يُقالُ لئيمُ
وإن فَتًى دامت مواثيقُ عهده ... على دونِ ما لاقيتُه لكريمُ[2]

قال : ثم حُبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعبٍ في ذلك الحبس ، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر : [من الطويل]

إذا بابُ دورانٍ ترنّم في الدُّجى ... وشُدَّ بأغْلاقٍ علينا وأقفالِ
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بِجُلْجُلٍ ... يدورُ به حتّى الصباحِ بإعمالِ[3]
وحراسُ سَوْءٍ ما ينامون حَوْلَهُ ... فكيفَ لمظلومٍ بحيلةِ مُحْتالِ

---

1 ترجمة جعفر بن علبة الحارثي في الخزانة 10 : 310–312 ، وحماسة التبريزي 1 : 28 ومعاهد التنصيص 1 : 120 وفي التذكرة الحمدونية بعض أخباره .

2 فتى في ل : امرأ . دون في ل : مثل .

3 العلج هنا : الرجل الشديد الغليظ . الجلجل : الجرس الصغير .

ويصبرُ فيــه ذُو الشجاعةِ والنّدى على الذّلّ للمأمورِ والعِلْجِ والوالي

[إغارة جعفر على بني عقيل]

فأمّا ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتلِهِ في غارةٍ أغارها على بني عقيل ، فإنّي نسختُ خبرَه في ذلك من كتاب عمرٍو بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : خرج جعفر بن علبة وعليٌّ بن جُعدَبٍ الحارثيّ القنانيّ والنضر بن مُضارب المُعاويّ ، فأغاروا على بني عُقيل ، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق ، فكانوا كلّما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهدٍ ، فرجعتْ عنهم بنو عُقيل ، وقد كانوا قَتلوا فيهم ، ففي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

ألا لا أُبــالي بعــدَ يــومٍ بسَحْبَلٍ إذا لم أُعَذَّبْ أن يجيء حِماميا[1]

تركــت بأعــلى سَحْبلٍ ومَضيقهِ مُراقَ دَمٍ لا يبرح الدَّهــرَ ثاويا

شَفَيْتُ بِــهِ غيظي وجُرِّب موطني وكان سناءٌ آخــرَ الدَّهــر باقيا[2]

أرادوا لِيَثْنوني فقلــت تجنّبــوا طريقي فمــا لي حاجةٌ من ورائيا

فِدًى لبني عــمٍّ أجابوا لدعوتي شَفَوا من بني القَرعاء عمّي وخاليا

كأنّ بنــي القرعــاء يــوم لقيتُهم فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْــراً يمانيا

تركْناهم صَرْعى كأنَّ ضَجيجَهُم ضجيجُ دَبارى النِّيب لاقت مُداوِيا[3]

أقولُ وقد أَجْلَت من اليومِ عركة ليبكِ العُقَيْليِّين مَــن كان باكيا

فــإنّ بُقــرّى سَحْبــل لأمارةً ونَضْحَ دمــاء منهــم ومَحابيا

المَحابي : آثارهم ، حَبَوا من الضعف للجراح التي بهم .

ولم أَتَّرِك لي ريبةً غير أنّني وددتُ مُعاذاً كان فيمن أتانيا

أراد : وددت أنّ مُعاذاً كان أتاني معهم فأَقتُلَه .

شفيتُ غليــلي من خُشَينة بعدما كسوتُ الهُذَيْــل المَشْرِفيّ اليمانيا

أحقّــاً عبادَ الله أن لست رائيا صحاريّ نجــدٍ والرّياحَ الذوارِيا

ولا زائــراً شُمَّ العرانــين أنتمى إلى عامــرٍ يحْلُلْنَ رَمْــلاً مُعاليا

1 سحبل : موضع .

2 موطني : موقفي .

3 دبارى النيب : النوق المسنّة التي أصابها الدبر .

إذا مـا أتيتَ الحارثياتِ فانْعَنِي لهـن وخبِّرْهُـنَّ أن لا تَلاقيـا
وقـوِّد قَلوصي بينهـن فإنّها سَتُبْرِد أكبـاداً وتُبْكِـي بواكيا
أوصِّيكُمُ إن مـتُّ يومـاً بعارم لِيُغْنِيَ شيئاً أو يكـونَ مكانِيا[1]

ويروى :

وعطّل قلوصي في الرّكابِ فإنّها ستبرد أكبـاداً وتبكـي بـواكيا

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الرَّيْب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه . وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً : [من الطويل]

وسائلـةٍ عنّـا بغَيْب وسائـلٍ بمَصْدَقِنا في الحربِ كيف نُحاولُ
عشيّة قُـرّى سَحبل إذ تعطَّفت علينـا السرايا والعـدوُّ المُباسِلُ[2]
ففـرّج عنّـا اللهُ مَرْحى عدوِّنا وضربٌ ببِيض المَشْرفِيّـةِ خابلُ[3]
إذا ما قرى هامَ الرؤوس اعتِرامُها تعاوَرَهـا منهـم أكفٌّ وكاهلُ[4]
إذا ما رُصِدنا مرصداً فرجت لنا بأيماننـا بيضٌ جلتهـا الصياقلُ
ولمّا أبـوا إلاّ المُضِيَّ وقـد رأوا بأن ليس منّـا خشيةَ الموت ناكلُ
حلفتُ يميناً بَـرّةً لم أُرِدْ بهـا مقالَـة تسميع ولا قول باطِلِ[5]
لِيَختَضِمَـنَّ الهُنـْدُوانيّ منهـم مَعاقِـدَ يخشاها الطبيبُ المزاولُ[6]
وقالـوا لنا ثِنتان لا بـدّ منهما صدور رماح أُشْرِعت أو سلاسلُ
فقلنا لهـم تلكم إذاً بعـد كرةٍ تُغادِرُ صرعـى نَهْضُها مُتَخاذلُ
وقتـلى نفوسٍ في الحيـاةِ زهيدةٍ إذا اشتجر الخَطِّيُّ والموت نازلُ
نُراجِعُهُـمْ في قالـة بدأوا بِها كما راجع الخصمَ البذيَّ المُناقِلُ[7]
لهم صدرُ سيفي يوم بَطْحاء سحبلٍ ولي منه مـا ضمَّت عليه الأناملُ

1 أو يكون مكانيا في ل : أو يقوم مقاميا . وعارم : ابنه .

2 المباسل : المصاول .

3 المرحى : الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب .

4 قرى هام المؤوس اعترامها : أكثر فيها الضرب الشديد .

5 تسميع : تشهير وتشنيع . وفي البيت إقواء .

6 يختضم : يقطع .

7 المناقل : الذي يتحدث مع غيره ويراجعه .

[مقتل جعفر بن علبة بحق بني عقيل]

قال : فاستَعدَت عليهم بنو عُقيل السَّريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل مكّة لأبي جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائر مَن كان معهم إليه ، فأمّا النضر فاستُقِيدَ منه بجراحة[1] ، وأمّا عليٌّ بن جُعْدُبٍ فأفلت من الحبس ، وأمّا جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة[2] أنّه قَتَلَ صاحبهم فقُتِل به . هذه رواية أبي عمرو .

وذكر ابنُ الكلبيّ أنّ الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثيّ وإسماعيل بن أحمر العقيليّ اجتمعا عند أَمَة لشعيب بن صامتٍ الحارثيّ ، وهي في إبلٍ لمولاها في موضع يقال له صَمعَر من بلاد بَلْحارث ، فتحدّثا عندها فمالت إلى العقيليّ ، فدخلتْهما مؤاسفةٌ[3] حتى تخانقا بالعمائم . فانقطعت عمامةُ الحارثيّ وخنقه العقيليّ حتى صرعه ، ثم تفرّقا . وجاء العُقيليُّون إلى الحارثيّين فحكَّموهم فوهبوا لهم . ثم بلغهم بيتٌ قيل ، وهو : [من الطويل]

ألم تسأل العبدَ الزياديّ ما رأى … بصمعر والعبـدُ الزياديُّ قائمُ

فغضب إيّاسٌ من ذلك فَلَقِيَ هو وابن عمّه النضر بن مضارب ذلك العقيليّ ، وهو إسماعيل بن أحمر ، فشجّه شجّتين وخنقه ؛ فصار الحارثيّون إلى العُقيليّين فحكموهم فوهبوا لهم . ثم لَقي العُقيليُّون جعفر بن علبة الحارثيّ فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه . وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجّع لجعفر : [من الطويل]

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن … تُغَـرُّ إذا مـا كانَ أمـرٌ تحاذرُهْ

فلا صلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خَفْقَةً … بكفٍّ فَتًى جُـرَّتْ عليـه جرائرُهْ

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جُعْدب ، والنضر بن مضاربٍ ، وإياس بن يزيد ، فلقوا المهديَّ بن عاصم وكعب بن محمدٍ بِحبِرٍ ، وهو موضع بالقاعة ، فضربوهما ضرباً مُبرِّحاً ، ثم انصرفوا فضَلُّوا عن الطريق . فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلّى لهم العُقيليُّون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيلٍ جمعاً آخر بسحبل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقَتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينة ، فاستعدى العُقيليُّون إبراهيم بن هشامٍ المخزوميّ عامل مكّة ، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكّة ؛ ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً ، فأحضرت عقيلٌ قَسامةً حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم . فأقاده إبراهيم بن هشام .

قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يُقتَل وهو محبوس : [من الطويل]

---

1 أي أقتص منه بضربة أو طعنة .

2 القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

3 مؤاسفة : مغاضبة . رفيعهم : أرسلهم إلى الوالي .

عجِبتُ لمسراهــا وأنّي تخلّصت | إليّ وبابُ السجن بالقفل مغلقُ[1]
ألَمّتْ فحيّت ثم قامت فودّعت | فلمّا تولّــت كادت النفسُ تزهَقُ
فــلا تحسبي أنّي تخشّعتُ بعدَكم | لشيء ولا أنّي من الموتِ أفرَقُ
وكيف وفي كفّي حسامٌ مُذَلَّقٌ | يَعضُّ بهاماتِ الرجــال ويعلَقُ[2]
ولا أن قلبــي يَزْدهيه وعيدُهم | ولا أنّني بالمشي في القَيدِ أخرقُ[3]
ولكــنْ عرتنــي من هواكِ صبابةٌ | كما كنتُ ألقى منك إذا أنا مُطْلَقُ
فأمّا الهــوى والــودُّ منّي فطامحٌ | إليــكِ وجُثْمــاني بمكّــة مُوثَقُ

وقال جعفر بن علبة لأخيه [ماعز] يحرّضه : [من الطويل]

وقــل لأبــي عــون إذا ما لقيتَه | ومــن دونــه عرْضُ الفلاة يَحُولُ

في نسخة ابن الأعرابيّ :

. . . . إذا مــا لقيته | ودونه مــن عــرض الفلاة مُحولُ

بالميم ، وبشمّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها ، وهي لغتهم خاصة .

تَعَلَّمْ وَعَــدِّ الشّكَّ أنّي يَشُفُّني | ثلاثــةُ أحــراسٍ معــاً وكُبولُ[4]
إذا رُمتُ مشياً او تبوَّأتُ مَضْجعاً | يبيتُ لهــا فوق الكِعابِ صَليلُ[5]
وَلَوْ بِكَ كانت لابتعثتُ مطيَّتي | يَعُــودُ الحَفــا أخفافَها وتجُولُ
إلى العدل حتى يَصْدُرَ الأمر مَصْدَرا | وتبرأَ منكــم قالــةٌ وعُــدُولُ

ونسختُ أيضاً خبرَه من كتاب للنضر بن حديدٍ ، فخالف هاتين الروايتين ، وقال فيه : كان جعفر بت علبة يزور نساءً من عقيل بن كعبٍ ، وكانوا متجاوِرين هم وبنو الحارث بن كعب ، فأَخذته عقيلٌ ، فكشفوا دُبرُ قميصه ، وربطوه إلى جُمَّته ، وضربوه بالسياط ، وكتَّفوه ، ثم أَقبلوا بـه وأَدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليغيظوهنّ ، ويفضحوه عندهنّ ؛ فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثْلَةٌ ، وأنا أحلفُ لكم بما يُثْلِجُ صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ، ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا منه . فقال لهم : فإنْ لم تفعلوا ذلك فحسبُكم ما قد مضى ، ومُنُّوا عليّ بالكفِّ عنّي فإنّي أعدُّه نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ،

---

1 بالقفل في ل : دوني وكذلك في الحماسة .
2 مذلق : محدد .
3 أخرق هنا : الدهش فزعاً .
4 يشفه : يهزله ويذهب بعقله . والكبول : القيود واحدها كبل .
5 ل : منزلاً .

فأكون آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغْرون به سفهاءهم حتى شَفَوا أنفسهم منه ، ثم خلّوا سبيله . فلم تمض إلاّ أيّام قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلمّا كان في نُقْرةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيلٌ أَقْفى خلقِ الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، والعُقيليُّون مُغترّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عُقَيل السريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل المنصور على مكّة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر بن علبة ، وكان يُحبُّ أن يدرأَ عنه الحدَّ لخؤولة أبي العباس السفّاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفرٍ كانت تحت السريّ بن عبد الله ، وكانت حظيةً عنده ، إلى أن أقاموا عليه قسامةً ، أنّه قتل صاحبهم . وتوعّدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلّم إليه . فحينئذٍ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت عليُّ بن جُعدُبٍ من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة . فلمّا أُخرِج جعفرٌ للقَود قال له غلامٌ من قومه : أسقيك شربةً من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت لا أُمَّ لك ، إنّي إذاً لمهيافٌ[1] . وانقطع شِسْعُ نعله[2] فوقف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال : [من الوافر]

أشدّ قِبالَ نعلي أن يراني ... عدوِّي للحوادث مُسْتكينا[3]

قال : وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نخبةُ بن كليبٍ أخو المجنون ، وهو أحدُ بني عامر بن عقيلٍ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

شفى النفس ما قال ابن عُلبةَ جعفر ... وقَوْلِي له اصْبِر ليس ينفعَكَ الصبرُ
هَوى رأسُه من حيث كان كما هو ... عُقابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكرِ[4]
أبا عارم ، فينا عُرامٌ وشدّة ... وبَسْطَةُ أيمانٍ سواعدها شُعْرُ[5]
همُ ضربُوا بالسيف هامةَ جعفر ... ولم يُنْجِهِ بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ
وقُدْناهُ قَوْدَ البَكْرِ قسراً وعَنْوَةً ... إلى القبرِ حتى ضمّ أثوابَه القبرُ

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً : [من الطويل]

1 المهياف : الذي لا يصبر على العطش .
2 شسع النعل : أحد سيورها ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين .
3 قبال النعل : شسعها .
4 في البيت إقواء .
5 عرام : شدة وقوة وشراسة .

لعمركَ إنّي يوم أسلمتُ جعفراً ... وأصحابَه للموت لما أُقاتِلِ
لمجتنبٌ حبّ المَنايا وإنّما ... يهيج المنايا كلُّ حقٍّ وباطِلِ
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم ... مُغَلَّلَةٌ أيديهُم في السلاسلِ
ورب أخٍ لي غاب لو كان شاهداً ... رآه التباليّون لي غيرَ خاذلِ[1]

وقال علبةُ أيضاً لامرأته أُمِّ جعفرَ قبل أن يُقتَل جعفر : [من الطويل]

لعمرِك إنّ الليلَ يا أُمَّ جعفرٍ ... عليّ وإنْ عَلَّلتني لطويلُ
أُحاذِرُ أخباراً من القوم قد دنت ... ورجعةَ أنقاضٍ لهنَّ دليلُ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقومِ جعفراً ... فَمُتْ كَمَداً أو عش وأنتَ ذليلُ

[بنت يحيى بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته]

قال أبو عمرو في روايته : وذكر شداد بن إبراهيم أنّ بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثيّ حضرت الموسم في ذلك العام لمّا قُتل فكفّنته واستجادت له الكفن ، وبكته وجميع مَن كان معها من جواريها ، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله : [من الطويل]

أحقّاً عبادَ الله أن لستُ رائياً ... صَحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذّوارِيا

وقد تقدّمت في صدر أخباره . وفي هذه القصيدة يقولُ جعفرُ :

وددت مُعاذا كان فيمن أتانيا

فقال معاذٌ يُجيبه عنها بعد قتله ، ويخاطب أباه ، ويُعرِّض له أنّه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلاّ أن غيظهم على جعفرٍ حملُهم على أن ادّعوا القتل عليه : [من الطويل]

أبا جعفر سَلِّبْ بنَجْرانَ واحتسب ... أبا عارمٍ والمُسْمَناتِ العواليا[2]
وقوِّد قَلُوصاً أتلفَ السَّيفُ ربها ... بغير دمٍ في القوم إلاّ تَمارِيا[3]
إذا ذكرتْهُ مُعصِرٌ حارثيَّةَ ... جرى دمعُ عَيْنَيْها على الخدِّ صافيا[4]

---

1 التباليون : المنسوبون إلى تبالة ، بلد باليمن .
2 سلب : ألبس ثياب الحداد السود . المسمنات : السمينات .
3 قوّد : اجعلها تقاد ولا تركب . تماريا : تكذيبا .
4 المعصر : التي بلغت عصر شبابها وأدركت .

فلا تحسَبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلبَ مُنْسأً ولا الثائرَ الحرّانَ يَنْسى التقاضيا
سنقتُلُ منكــم بالقتيــل ثلاثــةً ونُغْــلي وإن كانت دمــاءً غواليا
تمنّيتَ أن تَلقى مُعــاذاً سفاهَــة ستلقى مُعــاذاً والقضيبَ اليمانيا

وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيّة التي فيها الغناءُ في نسخة النّضرِ بن حديدٍ أتمَّ ممّا ذكره أبو عمرو الشيبانيّ . وأوّلها : [من الطويل]

ألا هَــلْ إلى فتيانِ لهــوٍ ولذّةٍ سبيلٌ وتَهْتــافِ الحمامِ المطوقِ
وشربةِ مــاءٍ من خَدُوراء باردٍ جرى تحتَ أظلالِ الأراكِ المُسَوِّقِ[1]
وسيري مــع الفتيان كلَّ عشيّةٍ أُبَــاري نداماهــم بصهباءَ سَيْلَقِ
إذا كَلَحَتْ عن نابها مَجَّ شِدْقُها لُغاماً كَمُــحِّ البيضةِ المُتَرَقْرِقِ[2]
وأصهبَ جَوْنِــيٍّ كأن بُغامَــه تَبَغُّمُ مطرودٍ مــن الوحشِ مُرْهَقِ
بَرى لحمَ دَفَّيْهِ وأدمى أظَله اجــ ــتيابي الفيافي سَمْلَقاً بعدَ سَمْلَقِ[3]

وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهمٌ من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضةٌ . فأتيت بكلّ واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك .

[علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصيح مع النسوة بكاء على جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيُّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لمّا قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه ، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادها ، وألقاها بين أيديها وقال : ابكينَ معنا على جعفر ! فما زالت النوقُ ترغو والشاءُ تثغو والنساءُ يصِحن ويبكين وهو يبكي معهنّ ؛ فما رُئي يومٌ كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ .

صوت

[من الرمل]

عَلّلاني إنّمــا الدنيــا عَلَلْ واسقياني عَلَــلا بعــد نَهَــلْ
أَصْحبُ الصاحب ما صاحبني وأكُــفُّ اللومَ عنــه والعذلْ

الشعر للعُجير السلولي . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبيشٍ . وذكر الهشاميُّ أنّه من منحول يحيى المكّيِّ .

---

1 خدوراء : موضع .
2 كلحت : كشرت في عبوس . اللغام : زبد أفواه الإبل .
3 دفا البعير : جنباه . السملق : الأرض المستوية الجرداء .

[234] ـ أخبار العُجَير السلوليّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر محمد بن سلاّم ، العجيرُ بنُ عبد الله بن عبيدةَ بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابر بن عبد الله بن سلول . ونسختُ نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال : هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول[2] بن مرّة بن صعصعة ، أخي عامر بن صعصعة . شاعرٌ مقلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . وجعله محمد بن سلامٍ في طبقة أبي زبيدٍ الطائيّ ؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام .

[ماء مطلوب]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلاّمٍ الجُمحيُّ ، قال : حدّثنا أبو الغرّاف قال : كان العجير السَّلوليّ دلَّ عبد الملك بن مروان على ماءٍ يقال له مطلوبٌ ، وكان لناسٍ من خثعم ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

لا نــومَ إلاّ غِرارُ العينِ ساهِرةً إن لم أُرَوِّعْ بغيظٍ أهلَ مَطْلوبِ
إن تَشْتُمُوني فقد بدّلْتَ أيكتكُم ذَرْقَ الدَّجاجِ بحَفَّــان اليعاقيبِ[3]
وكنتُ أُخبِرُكُم أن سوف يعمُرها بَنُــو أميّــة وعداً غيرَ مكذُوبِ

قال : فركب رجلٌ من خثعم يقال له أُميّة إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سأّل . وحَرَّبه[4] عليه . فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد . فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا عندك فاحتبِسني وابعث مَن يبصر الأرضين والضياع ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ وبِلٌّ[5] ، فبعث فاتّخذ ذلك الماء ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أميّة .

[هجا بني حنيفة فأباح الوالي حدّه]

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : هجا

1 ترجمة العجير السلولي في طبقات الشعراء : 615–625 والسمط : 92 وحماسة التبريزي : 2 : 193 و79–80 والمؤتلف والمختلف : 166 . والخزانة : 5 : 35–36 .
2 في الخزانة والآمدي ومعارف ابن قتيبة أنّ سلول أسهم .
3 حفان اليعاقيب : فراخ الحجل .
4 حرّبه : حرّضه .
5 حلّ : حلال ، وبلّ : صباح .

العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم ، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكنانيّ ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدَّ ، وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحقّ . فهرب العجيرُ منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ، ثم تعلّق بثوبه وقال : [من الطويل]

إليك سبقنا السوطَ والسجنَ ، تحتنا حيالٌ يُسامين الظلالَ ولُقَّحُ
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا تحومُ علينا السانحاتَ وتبرحُ
فإن أكُ مجلوداً فكن أنت جالدي وإن أكُ مذبوحاً فكن أنت تَذبحُ

فسأله عن المطر وكيف كان أثره ، فقال له : [من الرجز]

يا نافعٌ يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشيّهْ
إنّا لقينا سنةً قَسِيه ثم مُطِرْنا مَطرةً رويّهْ[1]
فنبت البقل ولا رعيّهْ[2]

يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل . فقال له : انجُ بنفسك فإنّي سأُرضي خصومك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم .

[شعره في ابن عمّه]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمر بن إبراهيم السعديّ عن عبّاس بن عبد الصمد السعديّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ : أصدقت فيما قلته لابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي قلت : [من الطويل]

فتًى قُدَّ قَدّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لبَّاتُه وبآدلُهْ[3]

هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطّثريّة ترثيه به . [من الطويل]

جميلٌ إذا استقبلتَه من أمامه وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافلُهْ[4]
طويلٌ سطيُّ الساعدين عَذَوَّرٌ على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُهْ[5]

1 سنة قسية : سنة قاسية .
2 رعية : الماشية الراعية .
3 الرهل : المسترخي لحمه من غير داء . البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة .
4 جافل هنا : كثير الشعر .
5 سطي الساعدين : ذو بطش . العذوّر : السيىء الخلق والمعنى أنه يشتدّ على الحي إلى أن تغضب المراجل ويطمئن على قرى الأضياف .

تـرى جازِرَيْــه يُرعَـدَان ونارُه ... عليها عداميــلُ الهشيم وصاملُهْ[1]

يجران ثِنِيّاً خيرُهــا عظمُ جاره ... على عينه لم تعــدُ عَنها مشاغلُهْ[2]

تركنا أبا الأضيافِ في كلّ شتوةْ ... بمَرٍّ ومِـردى كلِّ خصمٍ يجادلُهْ[3]

مقيمــاً سلبناه دريسيْ مُفاضة ... وأبيضَ هندِيّـاً طــوالا حمـائلُهْ[4]

فقال هشام : هلك والله الرجل .

[شعره حين منعه العامري العطاء]

ونسختُ من كتاب ابن حبيبٍ قال ابن الأعرابيّ : اصطحب العجير وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريُّ العجير شيئاً ، فقال العجير : [من البسيط]

يا ليتني يــوم حزَّمتُ القَلُوصَ لَه ... يَمَّمتُهــا هاشميّــاً غيرَ ممذوقِ[5]

محضَ النِّجار من البيت الذي جُعلت ... فيــه النبوَّةُ يَجْري غير مَسبوقِ

لا يُمْسك الخيرَ إلاّ ريثَ يُسْأَلُه ... ولا يلاطم عند اللّحم في السوقِ[6]

فبلغت أبياته الحسن ، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له : قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له .

[سكر العجير فأمر بنحر جمله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحولُ قال : حدّثني بعض الرواة أنّ العجير بن عبد الله السلوليّ مرّ بقوم يشربون فسَقَوه . فلمّا انتشى قال : انحروا جملي وأطعِمونا منه . فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنّونه بشعر قاله يومئذٍ ، وهو : [من الرمل]

علِّلاني إنّمــا الدنيــا عَلَـلْ ... واسقيــاني عاــلا بعــد نَهَلْ

وانشُلا مــا اغبرّ من قدريكما ... وأصبحاني أبعــد اللّهُ الجملْ

---

1 عداميل : جمع عدمل وهو الضخم القديم من الشجر ، وفي ل : عدولي : نسبة إلى موضع . والصامل : اليابس .

2 الثني : الناقة التي ولدت بطنين ، وابنها الثاني يسمى ثنياً . لم تعد عنها : لم تنصرف .

3 في كل شتوة في ل والحماسة : في ليلة الصبا .

4 الدريس : الخلق من الثياب . وهنا يعني الدرع القديمة . المفاضة : الواسعة .

5 المذق : الخلط ، أي أنه خالص النسب .

6 يعني أنه لا يشتري اللحم من السوق وإنّما يذبح لأضيافه .

أصحبُ الصاحب ما صاحبني وأكفُّ النّوم عنه والعذلْ
وإذا أتلف شيئاً لم أقلْ أبداً يا صاحِ ما كان فعلْ

قال : فلمّا صحا سأل عن جمله فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيراً فارتحله وانصرف إلى أهله .

[حجّ بامرأته فنظرت إلى غيره]

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : حجَّ العجيرُ السلوليّ فنظر إلى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلّمه فقال فيها : [من الطويل]

أيا ربّ لا تغفر لعَثْمة ذنبَها وإن لم يعاقبها العجير فعاقبِ
أشارت وعَقدُ الله بيني وبينها إلى راكب من دونه ألفُ راكبِ
حرامٌ عليك الحجُّ لا تقرَبِنّه إذا حان حَجُّ المسلمات التوائبِ[1]

[فسخ زواج ابنته من مولى بني هلال]

وقال ابن الأعرابيّ : غاب العجير غيبةً إلى الشام ، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها ، وأمره أن يزوّجها بكفء . فخطبها مولًى لبني هلال كان ذا مال ، فرغبت أمُّها فيه وأمرت خال الصبيّة الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ، وبرجالٍ من قومها ، وبابن عمٍّ لها يقال له قَيْل ، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمّها القيل فإنّه ساعد أُمّها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق . فلمّا قدِم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال : [من الطويل]

ألا هل لبَعجان الهلاليّ زاجرٌ وبعجانُ مأْدومُ الطعام سمينُ
أليس أميرُ المؤمنين ابنَ عمّها وبالحِنو آسادٌ لها وعرينُ[2]
وعاذت بِحَقْوَيْ عامر وابن عامر ولله قد بتت عليَّ يمينُ
تنالونها أو يخضِبَ الأرضَ منكم دم خرّ عنه حاجب وجبينُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أتيتَ الخاضبات أكُفَّها عليهنّ مقصورُ الحجال المروّقُ[4]

---

1 المسلمات في ل : المحصنات .
2 الحنو : حنو ذي قار قرب الكوفة .
3 تنالونها : لا تنالونها .
4 المروّق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف .

فلا تدعــونَّ القَيل إلاّ لمشربٍ رَواء ولكــنّ الشجاع الفرزدقُ

هــو ابنٌ لِبَيْضاء الجبين نَجيبةٍ تَلَقَّت بطُهر لم يجيء وَهْو أحمقُ[1]

تداعى إليــه أكرمُ الحــيِّ نسوةً أطفن بكسرى بيتهــا حِين تُطْلَقُ

فجاءت بعُريــانِ اليديــنِ كأنّه مــن الطير بازٍ ينفُض الطّلّ أزرقُ

[قول العجير في رفيقه أصبح]

وقال ابن الأعرابيّ : كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ ، وكانا يصيبان الطريق ، وفيه يقول العجير : [من الطويل]

ومنخـرِقٍ عــن مَنْكِبيــه قميصُه وعن ساعِديــه ، للأخلاّء واصلِ

إذا طــال بالقوم المطــا في تَنُوفَةٍ وطولُ السُّرى ألفيتَه غير ناكلِ[2]

دعوتُ وقد دبّ الكَرى في عِظامه وفي رأسه حتّى جرى في المفاصلِ

كما دبّ صافي الخمر في مخّ شاربٍ يميلُ بِعطْفَيْه ، عــن اللّبِّ ذاهلِ

فلبّــى لِيَثْنيني بثِنْيَــيْ لسانــه ثقيلين مــن نوم غَـلّوب الغياطِلِ[3]

فقلتُ له قم فارتحل ليس هاهنا سِوى وقفةِ السّاري مُناخٌ لنازلِ

فقــام اهتزازَ الرمح يسرُو قميصَه ويحسِر عن عاري الذّراعين ناحلِ[4]

[امرأة العجير تمنعه من مالها]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير امرأة يقال لها أمّ خالد ، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً ، ثم جعل يدّان حتى أُثقِل بالدَّين ومدّ يده إلى مالها ، فمنعته منه وعاتبته على فعله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تقــولُ وقــد غالبتُها أمُّ خالــد على مالهــا أُغرقتَ دَيْنــاً فأقْصرِ

أبى القَصْرَ مَن يأوي إذا الليل جَنَّني إلى ضوء ناري مِــنْ فقير ومُقْترِ

أيا موقدَيْ نــاري ارْفَعاها لعلّها تُشَبُّ لِمُقْوٍ آخــرَ الليــلِ مقفِرِ[5]

---

1 تلقت : علقت به .

2 المطا : التمطي وهو السير الممتد . الناكل : الضعيف الجبان .

3 الغياطل : جمع غيطلة وهي هنا غلبة النعاس .

4 يسرو قميصه : يلقيه عنه .

5 المقوي : الذي لا زاد معه .

أمِن راكـبٍ أمسى بظهـر تَنُوفةٍ ... أُواريكِ أم مـن جـارى الْمُتَنظَّرِ
ولا قِـدرَ دون الجار إلاّ ذميمةٌ ... وهذا المُقاسي ليلـةً ذاتَ منكرِ
تكاد الصَّبـا تبتزُّه مِـنْ ثيابـه ... على الرَّحْلِ إلاّ من قميص ومئزرِ
وماذا علينـا أن يخالِس ضوءَها ... كريـمٌ نشاه شاحبُ المُتَحَسَّرِ

المتحسّر : ما انكشف وتجرّد من جسمه[1] .

فيخبِرنـا عمّـا قليـل ولو خلت ... لـه القِـدر لم نعجب ولم نتخبَّرِ

صوت

[من الطويل]

سلي الطارقِ المعترَّ يـا أُمَّ مالكٍ ... إذا ما أتاني بين قِدري ومَجْزِري[2]
أأبسُط وجهـي أنّه أوّل القِرى ... وأبذلُ معروفي لـه دون مُنْكَري
فلا قصر حتى يَفرِج الغيثُ من أوى ... إلى جنب رَحْلي كلّ أشعث أغبرِ
أقِي العِرضَ بالمال التِّلادِ وما عسى ... أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري
يُـؤدِّي إليَّ النَّيـل قُِنْيانَ ماجِدٍ ... كريـم ومالي سارحاً مـال مقترِ

القُنْيان : ما اقتنى من المال . يقول : إنّه لبَذْله القِرى كأنّه موسر ، وإذا سرح ماله علم أنّه مُقتر .

إذا مُتُّ يوماً فاحضُري أمَّ خالد ... تُراثَكِ من طِرف وسيف وأقدرِ[3]

قال ابن حبيب : من الناس مَن يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أوّلها :

سلي الطارقَ المعترّ يا أمَّ مالك

لعروة بن الورد ، وهي للعُجَير .

[العجير يقيم شهراً بباب عبد الملك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصبّاح عن هشام بن محمدٍ قال : وفد العجير السَّلوليّ ، وسلول بنو مرّة بن صعصعة ، على عبد الملك بن مروان ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك ، ثم وصل إليه

---

1 ل : جلده .

2 المعتر : قاصد المعروف سأل أو لم يسأل .

3 الأقدر : من الخيل هو الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافري قدميه .

فلمّا مَثَلَ بين يديه أنشد : [من الطويل]

ألا تلــك أمُّ الهِبْــرِزِيّ تَبَيَّنَتْ عِظامي ومنهــا ناحِــل وكسيرُ[1]

وقالتْ تضاءلتَ الغداةَ ومَنْ يكُنْ فتًى قبلَ عــامِ الماءِ فَهْــو كبيرُ[2]

فقلــتُ لهــا إنّ العُجيرَ تقلَّبَــتْ بــه أبطـــنٌ أبليْنَــه وظهــورُ

فمنهنّ إدلاجي على كُلِّ كوكبٍ لــه مِــن عُمــانيٍّ النجومِ نظيرُ

وقَرْعي بكفِّي بابَ مَلْك كأنّما بــه القومُ يرجون الأُذِينَ نُسُورُ[3]

ويــومٍ تبارى أَلْسُنُ القوم فيهم وللموت ارحــاءٌ بهــنّ تدورُ

لو انّ الجِبالَ الصُّمَّ يسْمعْن وَقْعَها لَعُــدْن وقــد بانــت بهنّ فُطورُ

فرحتُ جَــواداً والجــوادُ مثابرٌ على جَرْيِــه ، ذو علّــة ويسيرُ

فقال له : يا عجير ما مدحتَ إلاّ نفسك ، ولكنّا نعطيك لطول مُقامَك . وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر ، فكتب له بها .

[المروءة خير لباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا محمد بن سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدّثنا العُمَرِيُّ عن العُتبيِّ قال : نظر أبي إلى فتًى من بني العبّاس يسحب مُطْرف خزٍّ عليه وهو سكران ، وكان فتًى مُتَهَتِّكاً ، فحرّك راسه مليّاً ثم قال : لله درُّ العُجَير السَّلُوليّ حيث يقول : [من المتقارب]

ومــا لبس الناسُ مــن حُلّــة جدِيــدٍ ولا خَلَقــاً يُرْتَدَى

كمثــل المُــــرُوءةِ للاّبسين فدَعني من المُطْرَفِ المُسْتدى[4]

فليسَ يُغَيِّــر فضــلَ الكريــمِ خُلُوقــةُ أثوابـــه والبــلى

وليس يُغيِّــر طبــعَ اللّئيــم مطارِف خــز رِقــاقُ السَّدى

يجود الكريــمُ على كلّ حالٍ ويكبو اللئيمُ إذا مـــا جرى

[قوله لابنه الفرزدق]

أخبرني عمّي قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أبو القاسم اللِّهبيّ عن أبي عبيدة قال : كان العُجيرُ السلوليّ له ابن يقال له الفرزدق ، وفيه يقول العجير : [من الكامل]

1 أم الهبرزي : الحمّى .

2 عام الماء : العام الخصيب .

3 الأذين : الحاجب .

4 المستدى : المنسوج .

ولقــد وضعتُــك غيرَ مُتَّرِكٍ ... من جابــر في بيتها الضّخمِ
واخترتُ أمّكَ مــن نسائهم ... وأبــوك كلُّ عَـذَوّرٍ شهمِ[1]
فلئن كذبتَ المنحَ مــن مائةٍ ... فلتقبلــن بسائــغ وَخمِ
إنّ النــدى والفضل غايتُنـا ... ونجاتُنا وطرِيـقُ مَـن يحمي

[يستنجد بأمير لوفاء دَينه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : قال الحرمازيّ : وقف العجير السلوليّ لبعض الأمراء ، وقد علق به غريمٌ له من باهلة فقال له : [من الطويل]

أتيتــك إنّ الباهــليّ يسوقني ... بدين ومطلوبُ الدُّيـون رقيقُ
ثلاثتُنــا إن يسَّر اللّهُ : فائــزٌ ... بأجرٍ ، ومُعْطًى حقّــه ، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه .

[خطب بنت عمّه ففضلت عليه العامريّ ليساره]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير بنت عمٍّ وكان يهواها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربَه . ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر ، فخيّرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامريّ ليساره ، فقال العجير في ذلك : [من الطويل]

ألِمَّا على دارٍ لزينبَ قـد أتـى ... لها بِلِوى ذي المَرْخ صيفٌ ومَرْبَعُ[2]
وقُولا لهــا قــد طالما لم تَكَلَّمي ... وراعاك بالعـين الفُــؤادُ المُرَوَّعُ
وقولا لهـا قال العجير وخَصَّني ... إليــك ، وإرسال الخلِيلَيْن ينفعُ
أأنت التي استودعتُك السِّرَّ فانتحى ... لي الخَوْنَ مَرَّاحٌ من القومِ أفرعُ[3]
إذا متُّ كان الناس نِصفين : شامتٌ ... ومثنٍ بما قد كنت أُسْدِي وأصنعُ[4]
ولكن ستبكيني خطوب ومجلسٌ ... وشعثٌ أهينوا في المجالس جوّعُ
ومستلحَم قـد صَكَّه القومُ صكّةً ... بعِيدِ الموالي نِيـلَ مـا كان يمنعُ[5]
رددتُ له ما أفرط القتل بالضُّحى ... وبالأمسِ حتى اقتالــه فهو أصلعُ[6]

1 العذوّر : السيىء الخلق ، القليل الصبر .
2 اللوى : منقطع الرمل . ذو المرخ : دار كثير الشجر قريب من فدك .
3 انتحى : قصد . الخون : الخيانة . أفرع : شخص له جمة .
4 الناس في ل : القوم .
5 المستلحم : الذي أُرهق في القتال . صكة القوم : ضربوه ضرباً شديداً .
6 اقتاله في ل : اقتاده .

ولست بمولاه ولا بابـن عمّـه ولكن متى مـا أملك النفعَ أنفعُ

[علق امرأة من عامر فانتهبوا ماله]

وقال ابن الأعرابيّ : كان العجير يتحدّث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فألفها وعَلِقَها . ثم انتجعَ أهلُها نواحي نصيبين ، فتتبَّعَتْها نفسه . فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه منازلاً مُلازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلتَ عنّا ، أو فأذنْ بحرب . فقال : ما بيني وبينها ما يُنكَر ، وإنّما كنتُ أتحدّث إليها كما يتحدّثُ الرجل الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة ، فأمّا الريبة فحاش لله منها . ثم عاود محادثتها ؛ فانتهبوا ماله وطردوه . فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذٍ يتولّى الجزيرةَ لأخيه عبد الملك بن مروان ، فأتاه مُستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عفـا يافِـعٌ مـن أهله فطَلوبُ وأقفَـرَ لـو كان الفؤادُ يثوبُ[1]

وقفتُ بها مِن بعدِ مـا حلّ أهلها نَصيبين والرّاقـي الدموعَ طبيبُ

وقد لاح معروفُ القتِير وقد بدت بك اليومَ من ريب الزمان نُدوبُ[2]

وسالمتُ روحاتِ المطيّ وأحمدت مناسمُ منهـا تشتكي وصُلوبُ

وما القلب أم ما ذكـره أمّ صِبْيةٍ أُرَيْكَةُ منهـا مسكن فهَروبُ[3]

حَصان الحُمَيّا حرّة حال دونَها حليلٌ لها شاكي السلاح غضوبُ

شَموسٌ ، دُنوُّ الفرْقدين اقترابُها ، لغَيٍّ مقاريـف الرجـال سَبوبُ

أحقّاً عبـادَ الله أن لستُ ناظراً إلى وجههـا إلاّ عـليّ رقيبُ

عدَتني العِدا عنهـا بُعَيْدَ تساعفٍ وما أرتجـي منهـا إليّ قريبُ

لقد أحسنت جُملٌ لـو انّ تبيعها إذا مـا أرادت أن تُثِيب يثيبُ[4]

تَصُدّين حتّى يذهبَ اليأسُ بالمنى وحتّى تكادَ النفسُ عنكِ تطِيبُ

هذا البيت يروى لابن الدُّمَينة ، وهو بشعره أشبه ، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه ؛ لأنّه تشكّى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها ، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابيّ : [من الطويل]

---

1 يافع : موضع . طلوب : ماء .

2 معروف القتير : الشيب .

3 أريكة : جبل بالبادية . هروب : من قرى صنعاء باليمن .

4 التبيع : المولى والناصر .

وأنتِ المُنى لو كنتِ تستأنفيننا بخير ولكِنْ مُعْتفاك جديبُ[1]
أيؤكلُ مالي وابنُ مروانَ شاهدٌ ولم يقضِ لي وابن الحُسام قريبُ
فتًى مَحْضُ أطرافِ العروق مساورٌ جبالَ العلا طلقُ اليدين وهوبُ[2]

فأمر محمدُ بنُ مروان بإحضار ابنِ الحسام الكلابيّ فأُحْضِر، فحبسه حتى ردّ مال العجير كلّه، وأمر العجير بالانصراف إلى حيِّه وتَرْك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً، ويصفُ بعيراً: [من البسيط]

هاتيك جُمْلٌ بأرض لا يُقَرِّبُها إلاّ هِبَلٌّ من العِيدِي مُعْتَقِدُ[3]
ودونَها مَعشر خزرٌ عيونُهم لو تُخمدُ النار من حَرٍّ لما خمدوا[4]
عدُّوا علينا ذنوباً في زيارتها ليحجبوها وفي أخلاقهم نَكَدُ
وحالَ مِن دونها شَكسٌ خلائقُه كأنّه نِمرٌ في جلده الرُّبَدُ[5]
فليس إلاّ عويلٌ كلّما ذُكِرَتْ أو زفرةٌ طالما أنَّتْ بها الكبدُ
وتيّمتْنيَ جُمْل فاستمرّ بها شَحطٌ من الدار لا أَمٌّ ولا صَدَدُ
قالوا غداة استقلّت: ما لمقلته أمن قذى هملَتْ أم عارها رمدُ[6]
فقلت لا بل غدت سلمى لِطِيَّتِها فليتهم مثل وجدي بُكرةً وَجَدوا
إن كان وصلُك أَبلى الدَّهرُ جِدّته وكلُّ شيءٍ جديدٍ هالكٌ نَفَدُ
فقد أُراني ووجْدِي إذْ تفارقني يوماً كوجدِ عجوز درعُها قددُ
تبكي على بطل حُمَّتْ منيّته وكان واترَ أعداءٍ به ابترَدوا[7]
وقد خلا زمنٌ لو تَصرِمين له وَصْلي لأيقنتُ أنّي ميّتٌ كَمِدُ
أزمانَ تعجبُني جملٌ وأكتمُه جُملاً حياءً، وما وجدٌ كما أجدُ

---

1 تستأنفيننا: تعودين إلينا.
2 محض أطراف العروق: خالص الأصول طاهرها. المساور: المواثب.
3 يقرّبها في ل: يبلغها. الهبّل: الضخم الطويل. العيدي: المنسوب إلى فحل معروف. المعتقد: الصبور الشديد الصلب.
4 خزر العين: ضيقها، كناية عن العداوة.
5 الشكس: الصعب. الربد: جمع ربدة، وهو السواد المتقطع فيه احمرار، أو الغبرة.
6 عارها: أصابها.
7 ابتردوا: أثلجت صدورهم لموته.

فقــد برِئتُ على أنّي إذا ذُكِرَتْ ينهلُّ دمعـــي وتَحيـا غُصَّةٌ تَلَدُ[1]
من عهد سَلمى التي هام الفؤادُ بها أزمانَ أزمانَ سلمى طِفلةٌ رُؤُدُ[2]
قد قلـت للكاشِحِ المبدِي عداوتَه قد طالما كان منك الغِشُّ والحسدُ
ألا تُبَيِّنُ لي لا زِلـت تُبغِضني حتّامَ أنت إذا مـا ساعفَت ضَمِدُ[3]
وقد تــرى غيرِ ذي شك ومعلمه أن ليس لي إن نأت صبر ولا جلدُ

[عبد الملك يوصي مؤدّب ولده أن يرويهم مثل قول العجير]

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدّب ولده : إذا روَّيتَهم شعراً فلا تروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلوليّ : [من الوافر]

يَبِين الجــارُ حِـين يبِين عنّي ولم تأنسْ إليّ كِلابُ جاري
وتظعنُ جارتي من جَنب بيتي ولم تُستَر بستر مــن جِداري
وتأمـــن أن أُطالع حــين آتي عليها وهـــي واضعةُ الخِمارِ
كذلك هَـدْيُ آبائي قديماً تَوارثــه النِّجـارُ على النِّجارِ
فهديـي هديُهم وهُـمُ افْتَلَوْني كما افْتُلِيَ العتيقُ مــن المِهارِ[4]

[رواية أخرى عن نحره جمله]

وقال ابنُ حبيب أيضاً : نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوه ، فلمّا سكر قام إلى جمله فعقره ، وأخرج كبده وجبَّ سَنامه ، فجعل يشوي ويأكل ويُطعِم ويغنّي : [من الطويل]

علّـــلاني إنّمـــا الدنيا عَلَل واسقياني عَلَـــلا بعـــد نَهَلْ
وانشُلا لي اللحم من قِدْريكما واصبحاني أبعـــد اللهُ الجملْ

فلمّا أفاق سأل عن جمله فأُخبر ما صنع به ، فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم أعطوه جملاً وزوّدوه ، فانصرف حتى لحق بقومه .

أخبرني عمّي بهذا الخبر قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال : حدّثني أبي عن عمّه فقال فيه : مرّ العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم ، وذكر باقي القصّة نحواً ممّا ذكر ابن حبيب ، ولم يقل فيها : فلمّا أصبح جعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! ــ ولكنه قال : فلمّا أصبح ساق قومه إليه ألفَ بعير مكان بعيره .

1 تلد : لغة في التلاد ، وهو القديم .
2 رؤد : شابة حسنة .
3 ضمد : حاقد .
4 افتلاه : فطمه . وهنا فطموني عن جهل الصبا .

[سليمان بن عبد الله يعجب بشعر العجير]

أخبرني عمّي وحبيب بن نصرٍ المهلّبيُّ قالا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني الحكم بن موسى بن الحسين السلوليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه قال : عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف ، وعلى العجير بُردان يساويان مائةً وخمسين ديناراً ، فانقطع شِسعُ نعله فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال : [من الطويل]

ودَلَّيتُ دلوي في دِلاء كثيرة إليك فكان الماءُ ريّـان مُعلما

فوقف سليمان ثم قال : لله درُّه ما أفصحه ، والله ما رضي أن قال ريّان حتى قال معلما ، والله إنّه لَيُخَيَّلُ إليّ أنه العجير ، وما رأيته قطّ إلاّ عند عبد الملك . فقيل له : هو العجير . فأرسل إليه : أن صِرِ إلينا إذا حللنا . فصار إليه ، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

[رثاء العجير لابن عمّه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني هارون بن موسى الفروي قال : كان ابن عمّ للعجير السلوليّ إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في لَبَّتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير[1] ، ثم يصبحون على ذلك ، فلما مات ، قال العجير يرثيه : [من الطويل]

تركنا أبا الأضيافِ في ليلة الصَّبا بمَرٍّ ومِردى كلّ خصم يجادلُهْ[2]

وأرعيـه سمعـي كلّما ذُكِر الأسى وفي الصّدرِ منّي لوعـةٌ ما تزايلُهْ

وكنت أعِيرُ الدّمعَ قبلك مَن بكى فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُهْ

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر ، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشّمردلِ بنِ شَرِيك لا يُشَكُّ فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته في أخباره .

صوت

[من المتقارب]

فتـاةٌ كأن رضابَ العبيرِ بفيها يُعَلُّ بـه الزنجبيلُ[3]

قتلتُ أباهـا على حبِّهـا فتبخلُ إن بخِلَت أو تُنيلُ

الشعر لخُزيمة بن نهدٍ ، والغناء لطويس ، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكّيّ .

---

1 قدير : ما يطبخ في القدر .

2 مر : ماء لبني أسد . مردى الخصم : الصبور على الخصم .

3 يعل هنا : يخلط .

[235] ـ أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

[نسبه]

هو خُزَيمةُ بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر مقلّ من قدماء الشعراء في الجاهلية . وفاطمة التي عناها في شعره هذا : فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إيّاها ، فقتله غيلة . وإيّاها عنى بقوله : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أُردفَت الثُّريّا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

أخبرني بخبره محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزُّبيريّ قال : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي ، أظنّه عن الزهريّ ، قال : كان بدءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج مَن خرج منهم عن نسبه ، أنّه كان أوّل مَن ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معدّ . وكان سبب خروجهم أنّ خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً ، متعرِّضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، واسم يذكر عامر ، فشبّب بها وقال فيها : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أردفت الثُّريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك مِن همومي همومٌ تُخرِج الشجن الدّفينا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت ، فحلَّت جَنوبَ الحَزْن يا شَحَطاً مبينا

[مقتل يذكر بن عنزة]

قال : فمكث كذلك زماناً ، ثم إنّ خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة : أحبّ أن تخرج معي حتى نأتي بِقَرَظ . فخرجا جميعاً ، فلمّا خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله ، فلمّا رجع ، وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : لست أدري ، فارقني وما أدري أين سلك . فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعة ونزار ابنَي معد ، وتكلّموا فيه فأكثروا ، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به ، حتى قال خزيمة بن نهد : [من المتقارب]

فتاة كأنَّ رضابَ العبير بفيها يُعَلّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها فتبخلُ إنْ بخِلت أو تنيلُ

فلمّا قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نزار بن معد وكندة

وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد . وحاءٌ وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاءُ بن عمرٍو بن أُدّ بن أُدَد . وكانت قضاعة تنتسب إلى معد ، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول : عك عدنان بن أدّ ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد . وكانوا يتبدَّون[1] من تهامة إلى الشام ، وكانت منازلهم بالصُّفّاح ، وكان مَرّ وعُسْفان لربيعة بن نزار ، وكانت قضاعة بين مكّة والطائف ، وكانت كندة تسكن من الغَمر إلى ذات عِرق ، فهو إلى اليوم يسمّى غمر كندة . وإيّاه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله[2] : [من المتقارب]

إذا سلكت غمر ذي كنـدة ... مع الصبح قصدٌ لها الفرقَدُ
هنا لك إمّا تُعَزّى الفؤاد ... وإمّـا على إثرهم تكْمَدُ

وكانت منازل حاء بن عمرٍو بن أُدَد ، والأشعر بن أددٍ ، وعكٌّ بن عدنان بن أدد ، فيما بين جُدّة إلى البحر .

[القارظان]

قال : فيذكر بن عنزة أحد القارظَيْن[3] اللذين قال فيهما الهذليّ : [من الطويل]

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما ... ويُنْشَرَ في القتـلى كليبٌ لوائلِ

والآخر من عنزة ، يقال له أبو رُهْم ، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرف له خبر .

[انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد]

قال : فلمّا ظهرت نزارٌ على أنّ خزيمة بن نهد قَتَلَ يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشدّ قتالٍ ، فهزمت قضاعة وقُتِل خزيمة بن نهدٍ وخرجت قضاعة متفرّقين ، فسارت تيم اللاّت بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حِلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة ، وفرقة من بني رُفيدةَ بن ثور بن كلب بن وبرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحو البحرين حتى وردوا هجر ، وبها يومئذٍ قوم من النبط ، فنزلت عليهم هذه البطون فأَجْلَتْهم ، فقال في ذلك مالك بن زهير : [من الوافر]

نَزَعنا مِن تهامـةَ أيَّ حيٍّ ... فلم تحفِـل بذاك بنو نزارِ
ولم أكُ مـن أنيسكُم ولكنْ ... شرينـا دارَ آنسةٍ بـدارِ

[كهانة الزرقاء بنت زهير]

فلمّا نزلوا هَجَرَ قالوا للزرقاء بنت زهيرٍ ، وكانت كاهنة ، ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت :

---

1 يتبدون : ينزلون البادية .
2 ديوان عمر : 90 .
3 القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

«سَعَفٌ وإهان[1] ، وتمر وألبان ، خيرٌ من الهوان» . ثم أنشأت تقول : [من الكامل]

ودّع تهامةَ لا وَداعَ مُخالِق ... بذِمامه لكن قِلًى وملامِ
لا تُنْكِري هَجْراً مُقامَ غريبةٍ ... لن تَعدَمي من ظاعنين تَهامِ

فقالوا لها : فما ترين يا زرقاء ؟ فقالت : «مُقامٌ وتَنُوخ ، ما وُلِد مولودٌ وأنْقفَتْ فروخ[2] إلى أن يجيءَ غراب أبقع ، أصمع أنزع[3] ، عليه خلخالا ذهب ، فطار فألهب[4] ، ونَعَق فنَعَب ، يقع على النخلة السَّحُوق[5] ، بين الدُّور والطريق ، فسيروا على وَتِيرة ، ثم الحِيرة الحيرة !» . فسُمِّيت تلك القبائل تَنوخَ لقول الزرقاء : «مقام وتَنوخ» . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ ، ولحق سائرَ قضاعة وبهْرة موتٌ ذريع ؛ وخرجت فرقة من بني حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة يقال لهم : بنو تَزيد ، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة ، فنَسَج نساؤهم الصُّوف وعمِلوا منه الزرابي ؛ فهي التي يقال لها العبقرية ، وعمِلوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك ، فأصابتهم ، وسَبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك : [من الوافر]

ألا لله ليلٌ لَمْ نَنْمهُ ... على ذات الخِضاب مُجَنِّبينا[6]
وليلتُنا بآمِدَ لَم نَنمْها ... كليلتنا بميّافارقينا

[بهراء تلحق بالترك وتهزمهم]

وأقبل الحارثُ بن قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلْوان ، فعرض له أُباغُ بن سُلَيحٍ صاحبُ العين ، فاقتتلا ، فقُتِل أباغ ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك ، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد . فقال الحارث بن قُراد في ذلك : [من الوافر]

كأنَّ الدهر جُمِّع في ليالٍ ... ثَلاثٍ بِتُّهن بشَهْرَزُورِ
صَففْنا للأعاجمِ من مَعَدٍّ ... صفوفاً بالجزيرة كالسّعيرِ

[سليح بن عمرو نزلت ناحية فلسطين]

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو الحاف بن قُضَاعة يَقُودها الحدرجانُ بنُ سَلَمةَ حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أُذيْنة بن السَّمَيْدَع من عاملة . وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذرة ونَهدٌ

1 إهان : عرجون .
2 أنقفت فروخ : ثقبت البيض وخرجت .
3 الأصمع : صغير الأذن . الأنزع : منحسر الشعر من جانبي الجبهة .
4 ألهب : اشتدّ في طيرانه .
5 السحوق : الطويلة .
6 المجنب : الذي انقطعت ألبان إبله .

وحَوْتَكة وجُهينة والحارث بن سعد ، حتى نزلوا من الحِجر إلى وادي القُرى ، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين . ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلْقتا ذهبٍ وهم في مجلسهم ، فسقط على نخلةٍ في الطريق ، فنَعَقَ نَعقات ثم طار ؛ فذكروا قول الزرقاء ، فارتحلوا حتى نزلوا الحِيرة . فهُم أوّل مَن اختطَّها : منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لمّا ابْتَنوا بها المنازل ناسٌ كثير من سقّاط القرى ، فأقاموا بها زماناً ؛ ثم أغار عليهم سابور الأكبر ، فقاتلوه ، فكان شعارهم يومئذٍ : يا آل عباد الله ! فسُمّوا العباد ، وهزمهم سابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَن بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحَضْر ، وهو بناء بناه الساطرون الجُرمُقاني ، فأقاموا به ، وأغارت حِميرُ على بقيّة قضاعة ، فخيّروهم بين أن يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا ، وهم كلبٌ ، وجَرْمٌ والعلاف ، وهم بنو زبّان بن تغلب بن حلوان ، وهو أوّل مَن عمل الرحال العلافية ، وعلافٌ لقب زبّان ، فلحقوا بالشام ، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانهزموا فلحقوا بالسماوة ، فهي منازلهم إلى اليوم .

صوت

[من البسيط]

إنّي امرؤ كفَّني ربِّي ونزَّهني عن الأمور التي في غبِّها وخمُ
وإنّما أنا إنسانٌ أعيش كما عاش الرجالُ وعاشت قبْلِيَ الأمَمُ

الشعر للمغيرة بن حبناء ، من قصيدةٍ مدح بها المهلّب بن أبي صفرة ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وهو من مشهور أغانيه وجيِّدها .

[236] ـ نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره[1]

[نسبه]

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحبناء لقبٌ غلب على أبيه واسمه جُبير بن عمرو ، ولُقِّب بذلك لحبن[2] كان أصابه . وهو شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وأبوه حبناء بن عمرو شاعرٌ ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر ، وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ ، سأذكر منها طرفاً . وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه ، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كلّ واحدٍ منهما من صاحبه .

[مديحه لطلحة الطلحات]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني الحسن بن جَهْوَرٍ عن الحرمازيّ قال : قدِم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعيّ ثم المُلَيْحِيِّ ، أحد بني مُليح ، فأنشده قوله فيه[3] : [من الطويل]

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذلُ نفسي في مواطِن غيرُها أَحَبُّ ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا لِتَجْزِيَني ما لا إخالُكَ جازيا[4]
رأيتُك ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ تقصِّر دوني أو تحلُّ ورائيا
أُراني إذا استمطرتُ منك رَغيبةً لِتُمْطِرَني عادتْ عَجاجا وسافِيا[5]
وأَدْليتُ دلوِي في دِلاء كثيرة فأُبنْ مِلاءً غيرَ دلوي كما هيا

1 ترجمة المغيرة بن حبناء في الشعر والشعراء : 319 والمؤتلف : 105 . ومعجم المرزباني : 369 والسمط : 715 . وقد جمع شعره نوري القيسي في «شعراء أمويون» .
2 الحبن : ورم في البطن .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 107–108 .
4 التمسيك : الصيانة .
5 رغيبة في ل : سحابة .

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدةٍ من القوم حُرّاً بالخسيسة راضيا
فإن تدن منّي تـدنُ منكَ مودّتي وإن تنأ عنّـي تُلْفِني عنـكَ نائيا

قال : فلمّا أنشده هذا الشعر ، قال له : أما كُنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . فأمر طلحة خازِنَه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت ، فقال له : اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهمٍ ! فأمر له بالمال . فلمّا قبضه سأله حجراً منها ، فوهبه له ، فباعه بعشرين ألف درهم . ثم مدحه ، فقال[1] : [من الطويل]

أرى الناس قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى بنـي خلـف إلاّ رِواء المـواردِ
إذا نفعـوا عـادوا لِمَـن ينفعونـه وكائن تـرى مِن نافع غيرِ عائدِ
إذا ما انجلت عنهم غمامةُ غمرةٍ من الموت أجلت عن كرامٍ مَذاوِدِ
تسود غطاريفَ الملـوك ملوكهُم وماجِدهم يعلـو على كلّ ماجِدِ

[مديحه للمهلّب بن أبي صفرة]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبي عن رواة باهلة ، أن المهلّب بن أبي صفرة لمّا هزَم قطريَّ بن الفجاءة بسابور[2] جلس للناس ، فدخل إليه وجوههم يهنّئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده[3] : [من البسيط]

حال الشّجا دونَ طَعمِ العيش والسهرُ واعتاد عينَك مـِن إدمانها الدِّررُ
واستَحقَبتكَ أمـورٌ كنتَ تكرهها لـو كان ينفعُ منها النّأيُ والحذرُ[4]
وفي المـوارد للأقـوام تَهْلُكـةٌ إذا المـواردُ لم يُعْلم لهـا صَدَرُ[5]
ليس العزيزُ بمَـن تُغْشى محارِمُه ولا الكريمُ بمَـن يُجْفى ويُحْتَقَرُ

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العِبادُ بشرٍّ لا غِياثَ لهـم إلاّ المهلّـبُ بعـد الله والمطـرُ

---

1 شعر المغيرة بن حبناء : 85–86 .
2 سابور : كورة ببلاد فارس .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 86–88 .
4 النأي في ل : الرأي . استحقبتك : ادخرتك .
5 تهلكة في ل : مصلحة .

كلاهمـا طيّبٌ تُرْجـى نوافلـه مبـاركٌ سَيْبُـهُ يرجـى ويُنْتظرُ
لا يجْمُدان عليهم عنـد جَهدِهم كِلاهما نافعٌ فيهـم إذا افتقروا[1]
هذا يذود ويحمي عـن ذِمارِهم وذا يعِيش بـه الأنعام والشَّجرُ[2]
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوّ بهم فلا ربيعتُهم تُرجـى ولا مضرُ[3]
وأنت رأسٌ لأهل الدِّين منتخَبٌ والرأسُ فيه يكون السمع والبصرُ
إن المهلَّـب في الأيّـام فضّله على منـازلِ أقـوام إذا ذُكروا
حـزمٌ وجـود وأيّامٌ له سلفتْ فيها يُعَدُّ جسيمُ الأمـر والخطرُ
ماضٍ على الهولِ مـا ينفكُّ مرتحِلاً أسبابَ معضلةٍ يعيـا بهـا البشرُ
سهلُ الخلائقِ يعفو عِنـد قدرتِه منه الحياء ومـن أخلاقه الخفَرُ
شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته يُخْزِي بـه الله أقوامـاً إذا غدروا
تزيدُهُ الحربُ والأهوالُ إن حضرت حزماً وعزماً ويجلو وجهَه السفرُ
مـا إن يزالُ على أرجاء مُظْلِمةٍ لولا يكفكفُها عن مِصرهم دَمَروا[4]
سهلٌ إليهـم حليم عن مجاهلهم كأنّما بينهـم عثمـانُ أو عمرُ
كهفٌ يلوذون من ذُلّ الحياةِ به إذا تكنَّفهـم مِـن هولها ضررُ
أمـنٌ لخائفهـم فيضٌ لسائلهم ينتاب نائِلَـه البـادون والحَضَرُ

فلمّا أتى على آخرها قال المهلّب : هذا والله الشِّعرُ ، لا ما نُعَلَّلُ به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ ، وزاده في عطائه خمسمائة درهمٍ .

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغِناء المذكور بذكره أخبارُ المغيرة ، من قصيدة له مدح بها المهلّب بن أبي صفرة أيضاً . وأوّلها[5] : [من البسيط]

أمِن رسومِ ديارٍ هاجـك القِدم أَقْوَتْ وأقفر منها الطَّفُّ والعلمُ[6]

---

1 لا يجمدان : لا يبخلان .
2 يذود في ل : يجود .
3 العدوّ في ل : البلاء .
4 يكفكفها : يمنعها . دمروا : هلكوا .
5 شعر المغيرة بن حبناء : 99–102 .
6 الطف والعلم : موضعان .

وما يَهيجُك مـن أطـلالٍ منزلة عفّى معالِمَها الأرواح والدِّيَمُ
نِعم الخليفةُ من جارٍ تضنُّ به إذا طربتَ أثافي القدر والحُمَمُ
دارُ التي كاد قلبي أن يُجَنَّ بها إذا ألم به مِن ذِكرها لَممُ[1]
إذا تذكرها قلبي تضيّفه همٌّ تضيق به الأحشاء والكَظَمُ[2]
والبينُ حين يروعُ القلبَ طائِفُه يبدي ويظهرِ منهم بعضَ ما كتموا
إنّي امرؤٌ كفّني ربّي وأكرمني عن الأمور التي في غبِّها وخمُ
وإنّما أنا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبليَ الأممُ

[سبب قوله القصيدة]

وهي قصيدة طويلة ، وكان سبب قوله إيّاها أنّ المهلّب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتال الأزارقة ، وقد شدّت منهم طائفةٌ تُغِير على نواحي الأهواز ، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور ، وكان فيهم المغيرة بن حبناء ، فلمّا طال مُقامه واستقرّ الجيش لحق بأهله ، فألَمّ بهم وأقام عندهم شهراً ، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلّب فقيل له : إنّ الكتّاب خطُّوا على اسمه ، وكُتِبَ إلى المهلّب أنّه عصى وفارق مكتبه بغير إذن ، فمضى إلى المهلّب ، فلمّا لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره ، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه ، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن : [من البسيط]

ما عاقني عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولو أردتُ قفولاً ما تجهَّمَني إذنُ الأمير ولا الكتابُ إذ رقموا
إنّي ليعرفني راعي سريرِهم والمُحْدِجُون إذا ما ابتلّت الحُزُمُ
والطالبون إلى السلطان حاجتَهم إذا جفا عنهم السلطان أو كَزَموا[3]
فسوف تُبْلِغُك الأنباءَ إن سلمت لك الشواحِج والأنفاسُ والأُدُمُ[4]
إنّ المهلّب إنْ أُشتق لرؤيته أو امتدِحه فإن الناس قد علِموا
إنّ الكريم من الأقوامِ قد علموا أبو سعيدٍ إذا ما عُدّت النِّعمُ

---

1 اللمم : الجنون .
2 الكظم : مخرج النفس .
3 كزموا : هابوا .
4 الشواحج : البغال . الأدماء : الناقة التي أشرب لونها سواداً أو بياضاً .

والقائـلُ الفاعـلُ الميمونُ طائره — أبو سعيدٍ وإن أعـداؤه رَغموا
كَمْ قد شهدتُ كراماً من مواطنه — ليست بغيب ولا تقوالِهـم زعموا
أيّامَ أيّامَ إذ عضّ الزمـان بهـم — وإذ تمنّى رجـال أنّهم هُزِموا
وإذا يقولـون : ليتَ اللهُ يُهْلكهم — والله يعلـم لـو زلّت بهم قدمُ
أيّامَ سابور إذ ضاعـت رَباعَتهم — لولاه ما أُوطَنوا داراً ولا انتقموا[1]
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به — إلاّ المغافِـر والأبـدان واللجمُ
وعاترات مـن الخَطِّيِّ مُحصَدَة — نفضي بهـن إليهم ثـم نَدَّعمُ[2]

[مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء]

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ في خبر هذه القصيدة ، ونسخت من كتابه . وذكر أيضاً في هذا الكتاب أنّ سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بن حبناءَ ، أنّ زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ ، اجتمعوا عند المهلّب وقد مدحوه ، فأمر لهم بجوائز وفضّل زياداً عليهم ، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شِعره ، لأنّ زياداً كان ألكن لا يُفْصح ، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله ، فيتكلّف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاته ، فسأل المهلّب يومئذٍ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب ، فوهبه له ، فنفِسوا عليه ما فُضِّل به ؛ فانتدب له المغيرة من بينهم ، فقال للمهلّب : أصلح الله الأمير ، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يُغني غَناءنا في الحرب ، ولا هو بأفضلنا شعراً ، ولا أصدقِنا ودّاً ، ولا أشرفِنا أباً ، ولا أفصحنا لساناً ! فقال له المهلّب : أما إنّي والله ما جهلتُ شيئاً مما قلت ، وإنّ الأمرَ فيكم عندي لمتساوٍ ، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لِسِنِّه وشِعره وموضعه من قومه ، وكلُّكم كذلك عندي ، وما فضلته بما يُنْفَسُ به[3] ، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضّلته به . فانصرف ، وبلغ زياداً ما كان منه ، فقال يهجوه[4] : [من الطويل]

أرى كلَّ قومٍ ينسل اللؤمُ عندهم — ولـؤمُ بنـي حبناءَ ليس بناسِلِ[5]
يَشبُّ مـع المولودِ مثـلَ شبابـه — ويَلقـاه مولوداً بأيـدي القوابلِ

---

1 رباعتهم : الأمر الذي كانوا عليه .
2 العاترة : المضطربة . ندّعم : نتّكىء .
3 ينفس به : يحسد عليه .
4 شعر زياد الأعجم : 52 .
5 ينسل : يسقط كما يسقط ريش الطائر .

ويُرْضَعُـه مـن ثـدي أُمٍّ لئيمةٍ ويُخْلَقُ من ماء امرِىء غير طائلِ
تعالَوا فعدّوا في الزمانِ الذي مضى ، وكلّ أنـاسٍ مجدُهـم بالأوائلِ
لكم بفعالٍ يعرف الناسَ فضله إذا ذُكِـر الأَمـلاء عِند الفضائلِ[1]
فغازيكم في الجيش ألأمُ مَـن غزا وقافِلكـم في النـاس ألأم قافلِ
ومـا أنتم مِـنْ مالكٍ غيرَ أنّكم كمغرورةٍ بالبوّ في ظِـلّ باطلِ
بنو مالك زُهـرُ الوجـوه وأنتمُ تَبيَّنَ ضاحي لؤمِكم في الجحافلِ[2]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء .

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازيّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدّثني المدائنيّ قال : عَيَّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص ، فقال له المغيرة : إنّ عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاح[3] ، ولا تعير بالغررِ والحجُولِ ، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَيَّره بالبرصِ : «إنّما أنا سيف الله جلاه واستلَّه على أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي ، أو تقوم مقامي ؟ ثم نشِب الهِجاء بينهما .

نسختُ من نسخة ابن الأعرابيّ ، قال : كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المُفَضّل بن المهلّب ، فقال له المفضل : [من الطويل]

فلـم أرَ مِثلَ الحنظلِيّ ولونِهِ أكِيلَ كـرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضبا ، ثم قال له[4] : [من البسيط]

إنّي امروٌ حنظلِيٌّ حين تنسبُني لامِ العتِيك ولا أخوالي العَوَقُ[5]

العَوَق من يشكر ، وكانوا أخوال المفضل .

لا تحسبَنَّ بياضاً فِيّ منقصةً إنّ اللّهاميـم في ألوانهـا بلقُ

وبلغ المهلّب ما جرى ، فتناول المفضل بلسانه وشتمه ، وقال : أردتَ أن يتمضَّغ هذا أعراضَنا ، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إيّاه ؟ أمّا إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تُؤْذِه . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم ، واستصفحه عن المفضل ، واعتذر إليه عنه ، فقبِل

1 الأملاء : جمع ملأ .
2 الجحافل : الشفاه .
3 الأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل في القوائم .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 96 .
5 لامِ العتيك : لا من العتيك . والعتيك والعوق : قبيلتان .

رِفده وعذره ، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحدٍ منهم .

رجع الخبرِ إلى سياقته مع زياد والمغيرة ، فقال المغيرة يجيب زياداً[1] : [من الكامل]

أزيادُ إنّك والذي أنا عبدُه ما دون آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ
فالْحَق بأرضِك يا زيادُ ولا تَرُمْ ما لا تطيق وأنت عِلج أعجمُ
أظننتَ لؤْمَكَ يا زياد يسدُّه قوس سترتَ بها قفاك وأسهمُ
علج تعصَّبَ ثم راق بقوسه والعلج تعرفه إذا يَتعمَّمُ
ألقِ العصابة يا زيادُ فإنّما أخزاك ربِّي إذ غدوتَ تَرَنَّمُ
واعلم بأنّك لست منِّي ناجيا إلاّ وأنت ببَظْرِ أمّك ملجَمُ
تهجو الكرام وأنت ألأمُ من مشى حسباً وأنتَ العلجُ حين تَكَلَّمُ
ولقد سألت بني نزارٍ كلّهم والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالَكَ في معدٍّ كلِّها حسبٌ وإنّك يا زياد موَذَّمُ

الموذم مثل توذمة الدلو ، فأجابه زياد فقال : [من الوافر]

ألم تَرَ أنَّني وتَّرت قوسي لأبقعَ من كلابِ بني تميمِ
عوى فرميته بسهامِ موتٍ كذاك يُرَدُّ ذو الحمقِ اللئيمُ
وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كعوبها أو تستقيمُ
هم الحشْوُ القليلُ لكلِّ حيٍّ وهمْ تَبَعٌ كزائدة الظليمِ
فلستَ بِسابقي هَرِما ولما يمرَّ على نواجذك القَدومُ
فحاولْ كيف تَنجُو مِن وِقاعِي فإنّك بعد ثالثةٍ رميمُ
سَراتُكم الكلابُ البُقْعُ فيكم للؤمِكم وليس لكم كريمُ
فقد قَدُمَتْ عُبودتُكم ودُمتم على الفَحْشاء والطبعِ اللئيمِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا المدائنيّ قال :
قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء[2] : [من الوافر]

عجبتُ لأبْيضِ الخُصيينِ عبدٍ كأنّ عِجانه الشِّعرى العبورُ

---

1 شعر المغيرة بن حبناء : 102 .
2 شعر زياد الأعجم : 22 .

فقيل له : يا أبا أمامة ، لقد شرفته إذ قلت فيه :

كأن عجانـه الشعرى العبورُ

ورفعَت منه . فقال : سأزيده رفعةً وشرفاً ، ثم قال[1] : [من البسيط]

لا يبرحُ الدَّهرَ منهم خارىءٌ أبداً إلاّ حسبتَ على بابِ استِه القمرا

قال ، وتَقاوَلا في مجلس المهلّب يوماً ، فقال المغيرة لزياد[2] : [من الوافر]

أقول لـه وأنكَـرَ بعضَ شأني ألم تعـرف رقاب بنـي تميمِ

فقال له زياد[3] : [من الوافر]

بلَـى فعرفتُهـنّ مقصَّراتٍ جِبـاهَ مذلَّـةٍ وسِبـالَ لومِ

[المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة]

نسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ ، قال : كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم : يا زياد ، أنت لساننا ، فاذبب عن أعراضِنا بشعرك ، فإنّ سيوفنا معك . فقال المغيرة بن حبناء فيه ، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له : [من الطويل]

يقولون ذبِّبْ يـا زياد ولم يكن لِيوقِـظَ في الحـربِ الململَّةِ نائما

ولـو أنَّهم جاءوا بـه ذا حفيظةٍ فيمنعَهُـم أو ماجـداً أو مراغما

ولكنّهم جاءوا بأقلَفَ قد مضت لـه حِججٌ سبعون يُصبح رازِما[4]

لئيماً ذميمـاً أعجميّـاً لسانُـهُ إذا نـال دَنّـاً لم يبال المكارما

ومـا خلـتُ عبد القيس إلاّ نُفايةً إذا ذَكَـرَ الناس العُلا والعظائِما

إذا كنتَ للعبدِيّ جـاراً فلا تَزلْ على حـذرٍ منه إذا كان طاعما

أناساً يُعـدُّون الفساء لجارهـم إذا شَبعوا عنـد الجُبـاةِ الدراهما

من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهـم إذا كان غارما

لهم زجَـلٌ فيه إذا ما تجاوَبُوا سمعـتَ زفيراً فيهـم وهَماهِما

لعمرك ما نجَّى ابنَ زروان إذ عَوى ربيعـةُ مـنٌ يـوم ذلك سالما

1 شعر زياد الأعجم : 70 .
2 شعر المغيرة بن حبناء : 104 .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 103–104 .
4 الرازم : الذي لا يقدر على النهوض من الهزال .

أظَـنَّ الخبيث ابنُ الخبيثَين أنَّني أسلِّـم عرضي أو أهــابُ المقاوِما
لعمركَ لا تَهـدِي ربيعـةُ للحجا إذا جعلـوا يستنصِرون الأعاجما

[عبد القيس تعتذر إلى المغيرة]

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، ما لنا ولك ، تعمَّنا بالهجاء لأنْ نَبَحك منّا كلب ، فقال وقلت ، قد تبرأنا إليك منه ، فإن هجاك فاهجُه ، وخلِّ عنّا ودَعْنا ، وأنت وصاحبُك أعلَم ، فليس منّا له عليك ناصر . فقال[1] : [من الطويل]

لعمرُك إنِّي لابنِ زروان إذ عوى لمحتقِـرٌ في دعـــوة الـودِّ زاهدُ
ومــا لــك أصلٌ يا زيـاد تعدُّه وما لـك في الأرضِ العريضة والدُ
ألم تَــرَ عبد القيس منك تبرّأتْ فلاقيتَ ما لم يلقَ في الناسِ واحدُ
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأتْ لُكَيز بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غابَ قرنُ الشَّمسِ حتى تحدَّثت بِنفيك سُكانُ القُرى والمساجدُ

رفع «المساجد» ، لأنّه جعل الفِعل لها ، كأنّه قال : وأهل المسجد ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿واسأل القَرْيَة﴾ . وتحدَّثت المساجد ، وإنّما يريد من يصلِّي فيها : [من الطويل]

فأصبحتَ عِلجاً من يَزُرْك ومن يزر بناتِــك يعلـمْ أنَّهـنّ ولائدُ[2]
وأصبحن قُلفـاً يغترِلْن بأُجـرة حوالَيكَ لم تَجْرَحْ بهن الحدائدُ[3]
نَفَرنَ مــن الموسى وأقررنَ بالتي يقِــرّ عليهــا المقرِفاتُ الكواسدُ[4]
بإصطخرَ لم يَلبَسْنَ من طُولِ فاقةٍ جديــداً ولا تُلقــى لهن الوسائدُ
وما أنتَ بالمنسوب في آلِ عامرٍ ولا ولدَتْــكَ المحصَنـاتُ المواجدُ
ولا ربَّتك الحنظليّــةُ إذْ غذت بنيها ولا جِيبت عليـك القلائدُ[5]
ولكن غـذاكَ المشركون وزاحمت قَفاكَ وخدَّيــك البُظـور العواردُ
ولم أرَ مِثلي يـا زيــاد بِعِرضِه وعِرضِك يستبَّانِ والسيف شاهدُ

---

1 شعر المغيرة بن حبناء : 84-85 .
2 ولائد : من الجواري .
3 قلفاً : أي لم يختن .
4 المقرفات : الهجينات .
5 ولا جيبت : ولا وضعت .

ولو أنّني غشّيتك السيفَ لم يقل ... إذا متّ إلاّ مـات عِلجٌ معاهِدُ[1]

[تلاحي المغيرة مع أخيه صخر]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً ، قال : رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلهِ وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلّبِ وصلاتِهِ والفوائد منه ، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه ، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكر مِثلُه ، ولا يزال يتعتّب عليه في الشيء بعد الشيء مِمّا ينكِره عليه ، فقال فيه صخر بن حبناء : [من الطويل]

رأيتُك لـمّـا نِلت مـالاً وعَضَّنا ... زمانٌ نـرى في حدٌ أنيابه شغْبا

تجنّى عـليّ الدّهـرُ أنّك موسرٌ ... فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه[2] : [من الطويل]

لحا الله أنّانا عن الضّيفِ بالقِرى ... وأقصرَنا عـن عِرضٍ والده ذَبّا

وأجدَرَنا أن يدخُلَ البيتَ باستهِ ... إذا القفّ دلّى من مخارِمِه رَكبا[3]

أأنبـأك الأفّـاك عنّـيَ أنّني ... أحرِّك عرضي إن لعبتَ بـه لعِبا

[أخت المغيرة تشكو إليه صخراً]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً ، وتذكر أنّه أسرع في مالِها وأتلفه ، وإنّها منعته شيئاً يسيراً بقي لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنّفاً[4] : [من الوافر]

ألا من مبلِغٌ صخرَ بن ليـلى ... فإنّـي قـد أتاني مِن نثاكا[5]

رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ ... إذا لم تَـرْعَ حرمتَـه رعاكا

وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ ... تُبـاع ، بمالـه يوماً فَداكا

يرى خيراً إذا ما نلتَ خيراً ... ويَشْجَى في الأمورِ بما شجاكا

فإنّك لا تـرى أسمـاء أختاً ... ولا تَريَنّنِـي أبـداً أخاكا

---

1 غشيتك في ل : قنعتك .

2 شعر المغيرة بن حبناء : 80 .

3 القف : الأرض الغليظة المرتفعة . المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الجبل .

4 شعر المغيرة بن حبناء : 97 .

5 نثاك : أخبارك .

فإن تعنُفْ بهـا أو لا تصِلْها فإنّ لأمِّهـا ولـداً سِواكا
يَبَرُّ ويستجيـبُ إذا دعتـه وإنْ عاصيتَـه فيهـا عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً على بَعضِ الرِّجال وفوق ذاكا
جزاني اللهُ منك وقد جزاني ومِنِّـي في مَعاتبنـا جَزاكا
وأعقَبَ أصدَقَ الخَصْمينِ قولاً ووَلَّـى اللـؤمَ أُولانا بذاكا
فلا واللهِ لـو لم تَعصِ أمري لكنتَ بمعـزِلٍ عمّـا هُناكا

قال : فأجابه أخوه صخر بن حَبناء فقال : [من الوافر]

أتاني عـن مُغِيرةَ ذَرْوُ قـولٍ تَعمَّـدَه فقلـت لـه كذاكا[1]
يعـمُّ بـه بني ليلى جميعاً فولٌ هجاءَهم رجـلاً سِواكا
فإنْ تَكُ قد قطعت الوصلَ منّي فهـذا حـينَ أخلفَنـي مُناكا
تُمنِّيني إذا مـا غبتَ عنـى وتُخلِفنـي منـايَ إذا أراكا
وتُوليني مَلامـةَ أهـلِ بيتي ولا تعطِي الأقاربَ غيرَ ذاكا
فإن تـكُ أختُنا عتبَتْ علينا فـلا تَصْرِمِ لِظِنّتهـا أخاكا
فإنَّ لهـا إذا عتبَـتْ علينـا رِضاهـا صابِرينَ لهـا بذاكا
وإن تكُ قد عتبتَ عليَّ جهلاً فـلا واللهِ لا أبغـي رضاكا
فقـد أعلنتُ قولَك إذ أتاني فأعلِـنْ مِـن مقالي ما أتاكا
سيُغْني عنك صخراً ربُّ صخرٍ كما أغناك عـن صخرٍ غِناكا
ويغنينـي الذي أغنـاكَ عنِّي ويكفِينـي الإلـهُ كما كفاكا
ألَم تَرَني أجودُ لكـم بمالي وأرمِـي بالنَّواقِرِ من رماكا[2]
وأنّي لا أقـودُ إليك حرباً ولا أُعصيك إن رجلٌ عصاكا
ولكنِّـي وراءك شِمَّـريٌّ أحامي ، قد علِمتَ ، على حِماكا[3]
وأدفعُ ألسنَ الأعـداء عنكم ويَعنينـي العـدوُّ إذا عناكا

1 ذرو قول : طرف قول .
2 النواقر : جمع ناقرة ، وهي الداهية .
3 الشمّري : الماضي في الأمور .

وقد كانت قُريبةُ ذات حقّ عليكَ فلَمْ تطالعْها بذاكا
رأيتُ الخيرَ يُقصَر منك دوني وتبلُغني القوارصُ مِن أذاكا

[انتقال حبناء بن عمرو إلى نجران]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً قال : كان حبناءُ بن عمرٍو قد غضِبَ على قومه في بعض الأمر ، فانتقل إلى نَجران ، وحمل معه أهلَه وولدَه ، فنظرت امرأتهُ سلمى إلى غلامٍ من أهل نَجران يضرب ابنه المغيرة ، وهو يومئذٍ غلام ، فقالت لحبناء : قد كنتَ غنياً عن هذا الذّلّ ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزَّ لك ! فقال حبناء في ذلك : [من الطويل]

تقول سُليمى الحنظليّةُ لابنها غلامٌ بنجرانَ الغداةَ غريبُ
رأتْ غِلمةً ثاروا إليه بأرضهم كما هَرَّ كلبُ الدّار بين كَليبِ[1]
فقالت لقد أجْرى أبوك لِما ترى وأنت عزيزٌ بالعراق مَهيبُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمركَ ما تدري أشيءٌ تريده يلِيك أمِ الشيءُ الذي لا تحاولُهْ
متى ما يَشَأْ مستقبِسُ الشرِّ يَلقَه سريعاً وتجْمعه إليه أناملُهْ

[هجاء زياد الأعجم أسرة المغيرة]

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق ، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل النَّضْرِي ، قال : كان المغيرة بن حبناء أبرص ، وأخوه صخرٌ أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً ، وكان بأبيهم حِبْن ، فلقِّب حبناء ، واسمه جبير بن عمرٍو ، فقال زيادٌ الأعجم يهجوهم[2] : [من الخفيف]

إنّ حبناءَ كان يدعى جُبيراً فدعَوه من لؤمه حبناءَ
ولَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجَذ مى ، وذو الداء يُنتَج الأدواءَ

فيقال : إنّ هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به ؛ لأنّ المغيرة قال ، وقد بلغه هذا الشعر : ما ذنْبُنا فيما ذكره ، هذه أدواءٌ ابتلانا الله عزّ وجلّ بها ، وإنما يُعير المرء بما كسب وإنّي لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها ! فبلغ ذلك زياداً من قوله ، وإنّه لم يهجِه بعقب

1 كليب : جماعة الكلاب . في هذا البيت إقواء .
2 شعر زياد الأعجم : 43 .

هذه الأبيات ، ولا أجابه بشيء ، فأمسك عنه ، وتكافآ .

[تفاضل الأخوين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه عن الأصمعي ، قال : لم يقل أحد في تفضيل أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ ، مثلَ قولِ المغيرةِ بن حبناء لأخيه صخر[1] : [من الوافر]

أبوك أبي وأنت أخـي ولكِنْ تفاضلتِ الطّبائعُ والظُّروفُ[2]
وأُمُّكَ حين تُنسَب أُمُّ صدقٍ ولكـــنّ ابنهـا طَبِع سخيفُ[3]

قال : وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ، وكان ضعيفاً ، يتمثّل بهذين البيتين .

[الحجّاج يتمثّل بشعر المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن جُدّان ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن مخلدٍ المهلّبيّ ، قال : نظر الحجّاج إلى يزيد بن المهلّب يخطِر في مشيته ، فقال : لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول[4] : [من الطويل]

جَميــلُ المحيّــا بَختريٌّ إذا مشى وفي الدِّرعِ ضخمُ المَنكبين شِناقُ[5]

فالتفت إليه يزيد ، فقال : إنّه يقول فيها : [من الطويل]

شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى مــن الدِّيــن فتــقٌ حُمِّلوا فأطاقوا
مَراجيحُ في اللَّأْواء إن نزلتْ بهم ميامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا[6]

[مصرع المغيرة]

أخبرني محمد بن مزيدٍ ، قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدّثني مَن حضر ابن حبناء لّما قُتِل ، وهو يجود بنفسه ، فأخذ بيده من دمه ، وكتب بيده على صدره : «أنا المغيرة بن حبناء» . ثم مات .

1 شعر المغيرة بن حبناء : 94 .
2 تفاضلت في ل : تباينت .
3 الطَّبع : دنِيء الخلق لئيمه .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 95 .
5 بختري : حسن المشي . الشناق : الطويل .
6 مراجيح : ذوو أحلام وبصر بالأمور .

صوت

[من الرمل]

بسطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلْنا الحبل منها ما اتسعْ[1]
كيف تَرجُون سِقاطي بَعْدَما جَلَّلَ الرأسَ بياضٌ وصلعْ[2]
رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً صدرَه قد تمنّى لِيَ موتاً لم يُطَعْ
ويحيِّيني إذا لاقيتُه وإذا أمكن من لحمي رَتعْ
ويَراني كالشَّجا في حَلقِهِ عَسِراً مخرجُه ما ينتزعْ
وأبيتُ الليلَ ما أهجَعُه وبعينيَّ إذا النّجْم طَلَعْ

الحبل هاهنا : الوصل ؛ والحبل أيضاً : السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه ، يقال : عَلقتُ من فلانٍ بحبل ؛ والحبل : العهد ، والميثاق ، والعقد يكون بين القوم ؛ وهذه المعاني كلّها تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض . والشّجا : كلُّ ما اغتُصَّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما .

الشعر لسويد بن أبي كاهلٍ اليشكريّ[3] ، والغناء لعَلُّويه ، ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرٍو بن بانة في الأوّلِ والثاني من الأبيات ، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى ، عن علي بن يحيى ، والهشاميّ . ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ أيضاً ، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ ، عن علي بن يحيى .

1 اتسع في ل : انقطع .
2 بياض في ل : مشيب .
3 انظر المفضلية الأربعين .

[237] ـ أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه[1]

[نسبه]

سُوَيد بن أبي كاهل بن حارثة بن حِسلِ بنِ مالك بن عبد سعدِ بن جُشَم بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر . وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب ، ويكنى سويد أبا سعدٍ .

أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ ، عن أبيه ، لسويد بن أبي كاهلٍ شاهداً بذلك : [من الرجز]

أنا أبو سعدٍ إذا اللّيلُ دجا   دخلْتُ في سرباله ثُمّ النّجا

[طبقته بين الشعراء]

وجعله محمد بن سلامٍ في الطبقة السادسة ، وقرَنَه بعنترة العبسيّ وطبقته .

وسويد شاعر متقدّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كذلك ذكر ابن حبيبٍ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً ، وهو الذي يقول : [من البسيط]

كأنّ رحلي على صَقعاءَ حادرةٍ   طَيًّا قد ابتلَّ من طَلٍّ خَوافيها[2]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق البغَويّ ، قال : حدّثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعرَ سويد بن أبي كاهلٍ على الأصمعيّ ، فلمّا قرأ قصيدته : [من الرمل]

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا   فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ

فضّلها الأصمعيّ ، وقال : كانت العرب تفضّلها وتقدّمها وتعدُّها من حِكمها . ثم قال الأصمعيّ : حدّثني عيسى بن عُمَر أنّها كانت في الجاهلية تسمَّى : «اليتيمة» .

[بين سويد وزياد الأعجم]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع ، قال : حدّثني محمد بن الهيثم بن عديّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن عبّاس ، قال : قال زيادٌ الأعجم يهجو بني يشكُر[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة سويد بن أبي كاهل في طبقات ابن سلام : 152–153 والشعر والشعراء : 334–335 والسمط 313 والإصابة 3 : 173 والخزانة 6 : 125–127 . وانظر شرح المفضليات .

2 الصقعاء : التي لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير . طيا : جائعة .

3 شعر زياد الأعجم : 69 .

إذا يشكُريٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه ... فلا تذكرنّ اللهَ حتّى تَطهَّرا
فلو أنَّ مِن لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ ... إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شَكَّ يشكُرا

قال : فأتت بنو يشكُرَ سويد بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً ، فأبى عليهم ، فقال زياد[1] : [من الطويل]

وأُنبِئتُهم يَستصرِخون ابنَ كاهلٍ ... ولِلّؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإنْ يأتِنا يرجعْ سويدٌ ووجهُهُ ... عليه الخَزايا غُبرةٌ وقتامُ
دعيٌّ إلى ذُبيانَ طوراً ، وتارة ... إلى يشكرٍ ما في الجميعِ كِرامُ

فقال لهم سويد : هذا ما طلبتم لِي ! وكان سويد مغلّبا . وأمّا قوله :

دَعيٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً ... إلى يشكر ....

[خبر أمّ سويد]

فإنّ أُمّ سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر ، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بن قيس بن عيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهلٍ ، وكانت فيما يقال حاملاً ، فاستلاط[2] أبو كاهل ابنَها لمّا ولدته ، وسَمّاه سويداً ، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان ، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم .

وذكر عَلاّن الشُّعوبي ، أنّه ولِد في بني ذبيان ، وتزوّجت أمُّه أبا كاهل ، وهو غلام يَفَعة ، فاستلحقه أبو كاهل وادَّعاه ، فلحق به .

[سويد ينتمي إلى قيس]

ولسويد بن أبي كاهلٍ قصيدةٌ ينتمِي فيها إلى قيس ، ويفتخر بذلك ، وهي التي أوّلها : [من الطويل]

أبى قلبُه إلاّ عميرةَ إن دنت ... وإن حضَرت دارَ العِدا فهو حاضرُ
شَموسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنّها ... مُرَبَّبة مِمّا تضمَّن حائِرُ[3]

ويقول فيها أيضاً : [من الطويل]

أنا الغطفانِي زينُ ذُبيانَ فابعدوا ... فَللزِّنجُ أدنى منكم ويُحابِرُ

1 شعر زياد : 96 .
2 استلاطه : ادعاه .
3 مربية : درة يعملها الصدف في الماء . والحائر : مجتمع ماء البحر .

أبــت لِيَ عبسٌ أن أسامَ دَنيّـةً وسعدٌ وذبيــانُ الهِجـانُ وعامِـرُ
وحــيٌّ كــرامٌ سادةٌ من هَوازِنٍ لهم في الملِمّاتِ الأنُوفُ الفواخرُ

[هجاؤه بني شيبان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثنا أحمد بن معتّبٍ الأوْدي عن الجِرمازِي ، أنّ سويدَ بن أبي كاهلٍ جاور في بني شيبان ، فأساءوا جِواره ، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً ، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر ، وكان الذي ظلمه وأخذ مالَه أحدَ بني محلِّم ، فقال يهجوهم وإخوتَهم بني أبي ربيعة : [من الكامل]

حَشَرَ الإلــه مع القُرودِ محلِّما وأبــا ربيعـــة ألأَمَ الأقوامِ
فلأُهدِينَّ مع الرِّيـاحِ قصيدة منّـي مُغلغَلــة إلى هَمّـامِ[1]
الظاعنين على العمــى قُـدّامهم والنازلـــين بِشرِّ دار مُقـامِ
والواردين إذا الميـاه تُقسِّمت نُزُحَ الرَّكِيِّ وعاتِـمَ الأسدامِ[2]

وقال يهجو بني شيبان : [من الطويل]

لعمرِي لبئس الحيُّ شيبانُ إنْ علا عُنيزةَ يومٌ ذو أهابِـيَّ أغبرُ[3]
فلمّـا التقَوا بالمشرفِيةِ ذَبذبت مولِّيــةً أستاهُ شيبانَ تقطُـرُ

يعني يوم عنيزة ، وكان لبني تغلب على بني شيبان ، وفيه يقول مهلهِل : [من الوافر]

كأنّـــا غُـــدوةً وبني أبينا بجنــب عُنيزةٍ رَحَيـا مُديـرِ

وقال أيضاً : [من الطويل]

فــأدُّوا إلى بهراءَ فيكــم بناتِهِ وأبنــاءه إنّ القضاعــيَّ أحمــرُ

[يعيّر بني شيبان بأنّ نساءهم ردّت من الأسر حبالى]

كانت بهراء أغارات على بني شيبان ، فأخذوا منهم نساء ، واستاقوا نَعَما ، ثمّ إنّهم اشتروا منهم النِّساء ، وردُّوهنّ ، فعيّرهم سويد بأنّهم رُددنَ حبالى ، فقال : [من الطويل]

ظَللن يُنازِعنَ العضاريطَ أُزْرَها وشيبانُ وسطَ القطقطانةِ حُضّرُ[4]

---

1 مغلغلة : سائرة في البلاد .

2 نزح : آبار نفد ماؤها . الركي : جمع ركية ، وهي البئر . العاتم : المحتبس . الأسدام : جمع سدم ، وهو الماء المندفن .

3 ذو إهابي : ذو تراب مثار .

4 العضاريط : الأتباع والأجداء . القطقطانة : موضع كان سجن النعمان بن المنذر .

فمنّا يزِيدُ إذ تحدَّى جُموعَكم فلم تُفرِحوه ، المرزُبان المسوَّرُ[1]

يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذي قارٍ إلى أسوارٍ ، وحمل على بني شيبان ، فانكشفوا من بين يديه .

فاعترضه اليشكريُّ دونهم ، فقتله ، وعادت شيبان إلى موقِفها ، ففخر بذلك عليهم ، فقال : [من الطويل]

وأحجمتمُ حتّى علاهُ بصارمٍ حسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبترُ[2]

ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه على كلّ ذي باع يقِلُّ ويكثرُ

ليالي قُلتم يا ابن حِلِّزةَ ارتحِلْ فزابِن لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصرِ[3]

فأدَّى إليكم رهنَكم وسطَ وائلٍ حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

يعني الحارث بن حلّزة ، لمّا خطبه دون بكرِ بن وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم . وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه .

[بنو شيبان تستعدي عليه والي الكوفة]

قال : فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعودٍ الجمحِي ، وكان والي الكوفة ، فدعا به ، فتوعَّده ، وأمره بالكفِّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه ، فتعصَّبت له قيس ، وقامت بأمره حتى تخلّصَتْه ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنّما يكفّ لساناً فيه صابٌ وعلقمُ

أتتركُ أولادَ البغايا وغِيبتي وتحبسُني عنهم ولا أتكلّمُ

ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني إذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ

حسِبتُمْ هِجائي إذ بَطِنتم غنيمةً عليَّ دماءُ البُدْنِ إن لم تَندَّموا

[بين سويد وابن الغبري]

قال الحرمازيّ في خبره هذا : وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري ، فطلبهما عبدُ الله بن عامرِ بن كريزٍ ، فهربا من البصرة ، ثم هاجى الأعرج أخا بني حَمّالٍ بن يشكر ، فأخذهما صاحبُ الصدقة ، وذلك في أيّام ولايةِ عامر بن مسعودٍ الجمحيّ الكوفةَ ، فحبسهما ، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤدّيا مائةً من الإبل ، فخاف بنو حَمّالٍ على

---

1 تفرحوه في ل : يقربوه . وتفرحوه : تغلبوه . المرزبان : الفارس الشجاع . المسور : المرتفع .

2 الضريبة : المضروب بالسيف .

3 زابن : دافع .

صاحبهم ففكُّوه ، وبقي سويد ، فخذله بنو عبد سعد ، وهم قومه ، فسأل بني غُبَر ، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعِرهم ، فقال : [من الرجز]

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مـال فالغُبَرِيّـاتُ على طِحـالِ[1]
شواغـر يُلْمِعن للقُفَّالِ[2]

[استوهبته عبس وذبيان]

فلمّا سأل بني غُبَر ، قالوا له : يا سويد «ضيعت البِكار بطِحال»[3] فأرسلوها مثلاً . أي أنّك عَمَمت جماعَتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة ، فضاع منك ما قدّرت أنّا نفديك به من الإبل . فلم يزل محبوساً حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، فأطلقوه بغير فداء ، وتركوه ولم يأخذوا منه شيئاً .

صوت

[من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْر إنْ كان غَرَّني سَنا خُلّـبٍ أو زلَّـتِ القدمـانِ[4]
أتتركُنـي جَـدْبَ المعيشةِ مقفِرا وكَفّاك مِن مـاء النّدى تكِفَانِ[5]

الشعر للعتّابيّ ، والغناء لمخارق ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وقيل : إن فيه للواثق ثانيَ ثقيلٍ آخر .

---

1 طحال : موضع .
2 شواغر : رافعات أرجلهن للنكاح . يلمعن : يشرن . القفال : العائدون .
3 مستقصى الزمخشري 2 : 149 .
4 الغمر : الغزير .
5 تكفان : تقطران .

[238] ـ أخبار العتابيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كلثوم بن عمرٍو بن أيّوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالكٍ عتاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلبٍ . شاعر مترسِّل بليغ مطبوع ، متصرِّف في فنون الشِّعر ومقدَّم . من شعراء الدولة العباسية ، ومنصور النَّمَريّ تلميذه وراويته ، وكان منقطِعاً إلى البرامكة ، فوصَفُوه للرّشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كلَّ مَبْلغ ، وعظُمت فوائده منه ، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت . وأخبار ذلك تُذكَر في مواضعها .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني جعفر بن المفضَّل ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّانيّ ، قال : كثُر الشّعراء بباب المأمون ، فأوذِن بهم ، فقال لعليٍّ بن صالح صاحب المصلَّى : اعرِضْهم ، فمَن كان منهم مُجيداً فأوصِله إليّ ، ومَن كان غير مجيدٍ فاصرفه . وصادف ذلك شُغْلاً من عليٍّ بن صالحٍ كان يريد أن يتشاغل به من أمرِ نفسِه ، فقام مُغضباً ، وقال : والله لأعمَّنَّهم بالحِرمان ، ثم جلس لهم ، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القُرب منه ، فقال لهم : على رِسلِكم فإنَّ المدى أقرب من ذلك ، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العتابيّ : [من البسيط]

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ... ناداك في الوحـي تقديسٌ وتطهيرُ
فُـتَّ المَمـادحَ إلاّ أنَّ ألسننا ... مُستنطَقاتٌ بمـا تحوي الضَّمائرُ

قالوا : لا والله ما منا أحدٌ يُحسِن أن يقول مثل هذا ، قال : فانصرفوا جميعاً .

[التكلّف في شعر العتابيّ]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ ، قال : تذاكرنا شعر العتّابيّ ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف ، ونصَره بعضُنا ، فقال شيخٌ حاضر : ويحكم أيقال إن في شعره تكلّفاً وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

---

1 ترجمة العتابي في تاريخ بغداد 12 : 488 وطبقات ابن المعتزّ : 261 والشعر والشعراء : 740 وكتاب بغداد لابن طيفور 69 ، 87–88 ومعجم الأدباء 2243–2246 ومعجم المرزباني : 244 والوزراء والكتّاب للجهشياري : 181 والموشح : 449 والبيان والتبيين 1 : 51 والفهرست : 134–135 وابن خلكان 4 : 122 والوافي للصفدي وفوات الوفيات 3 : 219 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ومروج الذهب 4 : 216 وانظر بروكلمان 2 : 36–37 والتذكرة الحمدونية في مواضع عديدة .

رُسُل الضَّمير إليـــك تَتْـرى بالشّوقِ ظالعـــــة وحَسْرى[1]
متَزجِّيــــاتٍ مــــا يَنيـــ ـنَ على الوَجى من بُعدِ مَسْرى[2]
مــا جَــفّ للعينــينِ بَعْـــ ـدك يـا قريرَ العينِ مَجْرى
فاسلَـــمْ سَلِمــت مبــرّأً مِــن صَبوتــي أبـداً مُعرَّى
إنّ الصَّبابــــة لم تَـــدَعْ مِنّـــي سِوى عظـمٍ مُبرَّى
ومدامـــعٍ عَبْـرى عـــلى كَبِــدٍ عليــك الدَّهـرَ حَرَّى

في هذين البيتين غناء ، أو يقال : إنّه متكلّف ؟ وهو الذي يقول : [من المتقارب]

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِـينُ إذا مــا تأمّلَــه النّاظـــــرُ
لمَثَّلتُـه لــك حتّـى تــراه لِتعلــم أنّي امـــرؤٌ شاكـرُ

الغناء في هذين البيتين لأبي العَنْبَس ، ثقيل أوّل ، ولزذاذٍ خفيف ثقيل . فحدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختيّ عن أبي الحسن عليّ بن العبّاس وغيره من أهله قالوا : لمّا صنع رَذاذ لحنَه في هذا الشعر : [من المتقارب]

فلــو كان للشُّكر شخصٌ يبين

فُتِن به الناس ، وكان هِجِّيراهم[3] زماناً ، حتى صنع أبو العَنْبَس فيه الثقيل الأوّل ، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه .

[المأمون يطلب إشخاصه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد ، قالوا جميعاً : كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فلمّا دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتني وفاتُك فساءتني ، ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتْني . فقال له العتابيّ : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسِعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصتني منهما بما لا يتّسِع لـه أُمنيـة ، ولا يبسط لسواه أمَل ، لأنّه لا دِين إلاّ بِك ، ولا دنيا إلاّ معك . فقـال له : سلني . فقال : يدك بالعطاء أطلَقُ من لساني بالسؤال . فوصله صلاتٍ سنيّة ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلّ .

---

1 ظالعة : ظلع البعير أي غمز في مشيته . والحسرى : المتعبة .
2 متزجية : منساقة . الوجى : الحفا .
3 هجيراهم : دأبهم .

[مداعبة المأمون للعتابيّ]

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبد الله بن أبي سعدٍ الكُرانيّ ، أنّ عبد الله بن سعيد بن زرارة ، حدّثه عن محمد بن إبراهيم اليساريّ ، قال : لمّا قدِم العتابيّ مدينة السلام على المأمون ، أذِن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وكان العتابيّ شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلَّم فردَّ عليه وأدناه ، وقرّبه حتى قرب منه ، فقبّل يده : ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلْق طَلْقٍ . فاستظرف المأمون ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظنّ الشيخ أنّه استخفَّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الإيناس قبل الإبساس[1] . فاشتبه على المأمون قولُه ، فنظر إلى إسحاق مستفهماً ، فأومأ إليه ، وغمزه على معناه حتّى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينارٍ ! فأُتِي بذاك ، فوضعه بين يدي العتابيّ ، وأخذوا في الحديث ، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه ، فجعل العتابيّ لا يأخذ في شيء إلاّ عارضه فيه إسحاق ، فبقي العتابيّ متعجّباً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سل . فقال لإسحاق : يا شيخ مَن أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمي كلْ بَصَلْ . فتبسّم العتابيّ وقال : أمّا أنت فمعروف ، وأمّا الاسم فمنكر . فقال إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بصل ؟ واسمك كُلْ ثوم ، وكُلْ ثُومْ من الأسماء ، أوليس البصل أطيب من الثُّوم ؟ فقال له العتابيّ : لله درُّك ، فما أحجَّك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِله بما وصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفَّر عليك ونأمر له بمثله . فقال له إسحاق : أمّا إذا أقررت بهذا ، فتوهَّمْني تجِدْني ، فقال : ما أظنُّك إلاّ إسحاق الموصليّ ، الذي تناهى إلينا خيرُه ، قال : أنا حيث ظننت . وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة فانصرِفا متنادِمين . فانصرف العتّابيّ إلى منزل إسحاق فاقام عنده .

[عبد الله بن طاهر يعجب بشعر العتابيّ]

وذكر أحمد بن طاهرٍ أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبديّ ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميميّ ، قال : وفد إلى عبد الله بن طاهرٍ جمعٌ[2] من الشعراء ، فعَلِم أنّهم على بابه ، فقال لخادمٍ له أديبٍ : اخرج إلى القوم ، وقل لهم : مَن كان منكم يقول كما قال العتابيّ للرشيد : [من البسيط]

---

1 المثل «الايناس قبل الابساس» . انظر الميداني 1 : 59 وجمهرة العسكري 1 : 196 ومستقصى الزمخشري 1 : 303 .

2 جمع في ل : عدة .

مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ   مــا بينهنّ وبــين اللهِ معمورُ

فليدخل ، وليعلم أنّي إن وجدته مقصِّراً عن ذلك حَرَمتُه ، فمَن وثِقَ من نفسه أنّه يقول مثل هذا فليقم . قال : فدخلوا جميعاً إلاّ أربعة نفر .

[الرشيد يرضى عنه ويجيزه]

أخبرني الحسن بن علي قال ، حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بن الحدين ، قال : وَجِد[1] الرشيد على العتابيّ ، فدخل سرّاً مع المتظلّمين بغير إذن ، فمَثَل بين يدَي الرشيد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤُهم إلى شكرك ، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك ، ولنعم الصَّائن لنفسي كنتُ ، لو أعانني عليك الصبر . وفي ذلك أقول : [من الطويل]

أخِضْنِي المَقامَ الغَمرَ إن كان غرّني   سنا خُلّــبٍ أو زلّــتِ القدمانِ

أتتركُني جَــدبَ المعيشةِ مُقْتِراً   وكفّاك مــن مــاء الندى تكِفانِ

وتجعلُني سَهْــمَ المَطامعِ بعد ما   بَلَلــت يمينــي بالنّــدى ولساني

قال : فأَعجَب الرشيدَ قوله ، وخرج وعليه الخِلَعُ ، وقد أمر له بجائزةٍ ، فما رأيتُ العتابيّ قطُّ أبسط منه يومئذٍ .

[بشار ينفس على العتابي إجادته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا أحمد بن خلادٍ ، قال : حدّثني أبي ، قال : جاء العتابيّ وهو حَدَثٌ إلى بشّار ، فأنشده : [من الوافر]

أيَصدِف عن أمامــةَ أم يُقِيم   وعهــدُك بالصِّبا عهــدٌ قديمُ

أقــول لُمستَعارِ القَلــبِ عَفًّى   على عَزَماتِــه السّيرُ العــديمُ

أمــا يكفيكَ أنّ دموعَ عيني   شآبيــبٌ يفيض بهـــا الهمومُ

أشِيمُ فــلا أردُّ الطرف إلاّ   على أرجائِــه مــاءٌ سَجُومُ[2]

قال : فمدّ بشارٌ يده إليه : ثم قال له : أنت بصير ؟ قال : نعم . قال : عجباً لبصيرٍ ابن زانيةٍ ، أن يقول هذا الشعر ، فخجِل العتابي وقام عنه .

[العتابيّ ويحيى بن خالد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب ، قال : حدّثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن

---

1 وجد : غضب .

2 أشيم : أنظر . سجوم : كثير .

إسحاق ، قال : كلّم العتّابيُّ يحيى بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقال له يحيى : لقد نَدَر كلامُكَ اليومَ وقلّ . فقال له : وكيف لا يَقلُّ وقد تكنّفَني ذُلُّ المسالة ، وحَيرة الطَّلَب ، وخوفُ الردّ ؟! فقال : والله لئن قلّ كلامُكَ لقد كثرت فوائدُه . وقضى حاجته .

[طالب حاجة لم تقض حاجته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن الحسين الزاهد قال : سأل رجل العتابي حاجة لم يقض إياها فلقيه العتابي يوماً فقال له : ألا تريد الحاجة التي سألتني ، قال : بلى ، قال : فلم لا تنقضني إياها ؟ أما سمعت قول الشاعر : [من الوافر]

وإذا لم تنجـزني عداتـي فأنت وشكرها أعيا جوابا

[يتغوط على الطريق]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمد بن خالد البرمكي قال : حدّثني الصقر بن مجاهد قال : رايت العتابي وقد خرجنا من سفينة وقد جلس يتغوط على الطريق فقلت له في ذلك ، فقال : ما هؤلاء السفل حرمة ولا منك يا أخي حشمه فلم أتكلف ما يثقل عليك .

[الناس في نظر العتابي بقر]

وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عثمان الورّاق ، قال : رأيتُ العتابيّ يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيتَ لو كنا في دار فيها بقَر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبِرْ حتى أُعلمك أنّهم بقر . فقام فوعظ وقصَّ ودعا ، حتى كثُر الزِّحام عليه ، ثم قال لهم : رَوى لنا غيرُ واحدٍ ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبة أنفِهِ لم يدخل النار . فما بقي واحدٌ إلاّ وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفِهِ ، ويقدِّره هل يبلغها أم لا ؟ فلمّا تفرقوا ، قال لي العتابيّ : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

[إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي]

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو عصامٍ محمد بن العبّاس ، قال : قال يحيى بن خالد البرمكيّ لولده : إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فضلاً عن رسائله وشعره ، فلن تَرَوا أبداً مثله .

[كتاب العتابي إلى صديق له]

أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا الخرّاز عن ابن الأعرابيّ ، قال : أنكر العتابيّ على صديقٍ له شيئاً ، فكتب إليه : «إمّا أن

تقرّ بذنبك فيكون إقرارُك حجّةً علينا في العفو عنك ، وإلاّ فطِب نفساً بالانتصاف منك ، فإنّ الشاعر يقول : [من البسيط]

أقرِرْ بذَنبك ثـمّ اطلبْ تجاوُزَنا عنـه فـإن جحودَ الذّنب ذنبان

[جعل يحيى بن أكثم يستأذن له على المأمون]

أخبرنا الحسن بن عليّ ، أخبرنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الواحد بن محمدٍ ، قال : وقف العتابيّ بباب المأمون يلتمس الوصول إليه ، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن ، فقال له : إن رأيتَ ، أعزّك الله ، أن تذكُرَ أمري لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل . قال له : لستُ ، أعزّك الله ، بحاجِبه . قال : فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعل مثلُك ما سألت ، واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، جعل في كلّ شيءٍ زكاة ، وجعل زكاةَ المال رَفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثةَ الملهوف . واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، أو التغيير إن كفَرت ، وإنّي لك اليوم أصلَحُ منك لنفسك ، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتِك ، وأنت تأتي . فقال له يحيى : أفعَلُ وكرامةً . وخرج الإذن ليحيى ، فلمّا دخل ، لم يبدأ بشيءٍ بعد السلام إلاّ أن استأذن المأمون للعتابيّ ، فأذِن له .

[العتابيّ وقبول العذر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل ، قال : قال العتابيّ لرجلٍ اعتذر إليه : إنّي إن لم أقبل عُذرَك لكنتُ ألأم مِنك ، وقد قبلتُ عذرك ، فدُمْ على لَومِ نفسك في جنايتك ، نزد في قبول عُذرك ، والتَّجافِي عن هفوتك .

[العتابيّ والزواج]

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إنّي وجدتُ مكابدة العِفّة أيسَرَ عليَّ من الاحتيال لمصلحة العِيال .

[تقدير المأمون للعتابيّ في شيخوخته]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : قال جعفر بن المفضل ؛ قال لي أبي : رأيت العتّابيَّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنَّ ، فلمّا أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال يُنهضه رويداً رويداً حتّى أقلّه فنهض ، فعجِبت من ذلك ، وقلتُ لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ ، فمَن هو ؟ قال : العتّابيّ .

[حسد دعبل وابن مهرويه للعتابي على شعره]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني محمد بن الأشعث ، قال : قال دعبل : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتّابيّ على قوله : [من المديد]

هَيْبة الإخــوان قاطِعـةٌ لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا مــا هِبــتُ ذا أَمَلٍ مات ما أمّلت مـن سببِهْ

قال ابن مهرويه : هذا سرقه العتابيّ من قول عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : «الهيبة مقرونة بالخيبة ، والحياء مقرونٌ بالحِرمان ، والفُرصة تمرُّ مَرَّ السحاب» .

حدّثني محمد بن داود ، عن أبي الأزهرِ ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفريّ عن أخيه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بذلك .

[ثلاث جوائز من عبد الله بن طاهر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن أبي الشِّبل . قال : دخل العتابيّ على عبد الله بن طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده : [من الخفيف]

حُسن ظنّي وحسنُ مـا عوّدَ اللـ ـهُ سِواي منك الغـداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكون أحسن من حُسـ ـنِ يقـينٍ حـدا إليـك رِكابي

قال : فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده : [من السريع]

ودُّكَ يكفينيـــكَ في حاجتــي ورؤيتــي كافيــةٌ عــن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عِشتَ لي وإنّمــا كفّــاك لي بيــت مالْ

فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل في اليوم الثالث ، فأنشده : [من الخفيف]

بَهِجات الثّيابِ يُخلِقها الدّهـ ـرُ وثوبُ الثّناء غضٌّ جديدُ
فاكسُني مـا يَبيد أصلحَكَ اللـ ـهُ فاللهُ يكسُوك ما لا يبِيدُ

فأمر له بجائزةٍ ، وأنعم عليه بخِلعةٍ سنِيّةٍ .

[العتابي وطوق بن مالك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبو دِعامة ، قال : قال طوق بن مالكٍ للعتابيّ : أما تَرى عشيرتك ؟ ، يعني بني تغلب ، كيف تُدِلُّ عليّ ، وتتمرّغ وتستطيل ، وأنا أصبِر عليهم ؟ فقال العتابيّ : أيُّها الأمير إنّ عشيرَكَ مَن أحسَنَ عِشرتَك ، وإنّ عمَّك من عمَّك خيرُه ، وإنّ قريبَك من قرُب منك نفعُه ، وإنّ أخفَّ الناسِ عندك أخفُّهم ثِقْلاً عليك[1] ، وأنا الذي أقول : [من الكامل]

إنّي بلـوتُ النّـاسَ في حالاتهم وخَبَرتُ مـا وصلوا من الأسبابِ

---

1 هذه أمثال .

فـإذا القرابـةُ لا تقـرِّب قاطعاً وإذا المـودّةُ أقـربُ الأنسابِ

[طاهر بن الحسين يصلح بينه وبين النمريّ]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال حدّثنا الرياشيّ ، قال : شكا منصور النمريّ العتّابيَّ إلى طاهر بن الحسين ، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ ، فأحضره ، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما ، وسأل طاهرٌ العتّابيّ أن يصالحه ، فشكا سوءَ فِعله فسأله أن يصفح عنه ؛ فقال : لا يستحقُّ ذلك . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج وقال للعتابيّ ، لِم لا أستحقُّ هذا منك ؟ فأنشأ العتابيُّ يقول : [من البسيط]

أَصْحَبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرِفُه حقّاً ولا لك في استِصحابه أَرَبُ
لم تَرتَبِطْـك على وصلي محافظَة ولا أَعاذَكَ ممّـا اغتالك الأدَبُ
ما مِن جَميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به إلاّ إليّ وإن أنكـرتَ ينتسِبُ

قال : فأصلح طاهرٌ بينهما ، وكان منصور من تعليم العتابيّ وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابيّ بثلاثين ألف دِرهم .

أخبرني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهريّ عن العبّاس بن أبي ربيعة السلميّ ، قال : شكا منصور النمريّ كلثوم بن عمرٍو العتّابيّ إلى طاهرٍ . ثم ذكر مِثله .

[العلم والأدب أفضل من المال]

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب ، قال : حدّثني أبو هفان ، قال : كان العتابيّ جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرَّ به بعض جيرانه ، فقال : أيشٍ ينفع العِلم والأدب مَن لا مال له ؟ فأنشد العتابيّ يقول : [من البسيط]

يـا قاتـل اللهُ أقواماً إذا ثَقِفُوا ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحَكَمِ
قالـوا وليس بِهِـم ألاّ نفاستُـه أنافـعٌ ذا مـن الإقتـار والعَدَمِ[1]
وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا لحاهم الله ، مِـنْ عِلمٍ ومِن فَهَمِ

[قوله في عزل طاهر بن علي]

أخبرني علي بن صالح وعمّي ، قالا : حدّثنا أحمد بن طاهرٍ ، قال : حدّثنا أبو حيدرة الأسديّ ، قال : قال العتابيّ في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوَّه : [من مجزوء الكامل]

1 النفاسة : الحسد . الإقتار : القلة والفاقة .

يـا صاحبـاً متلوّنـاً ... متبايناً فِعـلي وفِعلُه
مـا إنْ أُحِبُّ له الرّدى ... ويَسُرُّني واللهِ عزلُـه
لم تَعْـدُ فيما قلتَ لي ... وفعلتَ بي ما أنتَ أهلُه
كَم شاغلٍ بك عَدْوَتيه ... وفارِغٌ مَنْ أنت شُغلُه[1]

[وشاية النمريّ بالعتابيّ عند الرشيد]

أخبرني أحمد بن الفرج ، قال : حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحرانيّ عن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج ، قال : لّما سعى منصورٌ النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة ، وجعل يستطعفه عليه ، حتّى استلّ ما في نفسه ، وأمّنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى : [من البسيط]

مـا زلـتُ في غَمَرات الموتِ مُطَّرَحا ... قد ضاق عنّي فسيحُ الأرضِ مِن حِيَلي
ولم تَـزلْ دائبـاً تَسعى بلُطْفك لي ... حتّى اختلست حياتي من يدَيْ أجلي

[عاده عبد الله بن طاهر في مرضه]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن خلادٍ عن أبيه ، قال : عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، كلثوم بن عمرو العتابيَّ ، في عِلّةٍ اعتلّها ، فقال الناس : هذه خَطرةٌ خطرت ؛ فبلغ ذلك العتابيَّ ، فكتب إلى عبد الله بن طاهر : [من الكامل]

قالوا الزِّيارةُ خَطـرةٌ خطرَتْ ... ونجـارُ بِـرِّك ليس بالخَطْرِ[2]
أبطِــلْ مقالتَهــم بثانيــةٍ ... تستنفد المعروفَ من شُكرِي

فلمّا بلغت أبياتُه عبد الله بن طاهر ضحِكَ من قوله ، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم ، فعاداه مرة ثانية .

[عتاب عبد الله بن هشام له وجوابه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبيّ ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : حدّثني أبو العلاء المنقريّ ، قال : عتب عبد الله بن هشام بن بِسطامٍ التغلبيّ على كلثوم بن عمرٍو التغلبيّ في شيءٍ بلغه عنه ، فكتب إليه : [من الطويل]

---

1 العدوة : جانب الوادي . وقصده أن من يشغل نفسه بك لا ينال شيئاً .
2 النجار : الأصل .

صوت

لقَدْ سُمْتَني الهِجـرانَ حتى أذقتَني عقوبـاتِ زلاّتي وسُوء مناقبي
فهـا أنـا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ على حدِّ مصقولِ الغِرارينِ قاضبِ[1]
ومنصرف عمـا كرهـتَ وجاعلٌ رِضاك مِثالاً بين عيني وحاجبي

قال : فرضي عنه ، ووصله صلةً سنيّة .

الغناء في هذه الأبيات لسعيدِ مولى فائدٍ ، ثاني ثقيلٍ بالبنصر ، عن يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول يحيى ، وذكر أحمد بن المكّيّ في كتابه ، أنّه لأبي سعيد ، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبِنصر ، ولعلّه على مذهب إبراهيم بن المهديّ ومن قال بقوله .

[بين ربيعة وقيس]

أخبرني الحسين بن القاسم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج ، قال : أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه ، قال : كان أخوان من فزارة يخفُران قريةً بين آمد وسُميساط ، يقال لها تلّ حُوم ، فطال مقامهما بها حتّى أثريا ، فحسدهما قومٌ من ربيعة ، وقالوا : يخفران هذان الضياع في بلدنا ؛ فجمعوا لهما جمعاً ، وساروا إليهما ، فقاتلوهما ، فقُتِل أحدهما ، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشميّ ، فشكا القيسيُّ أمرَه إلى وجوه قيس ، وعرَّفهم قتل ربيعة أخاه ، وأخذهم مالَه . فقالوا له : إذا جلس الأمير فادخـل إليـه . ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك ، وشكا ما لحِقه ، ثم قال لـه : وحسبُ الأمير أنّهم لمّا قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم : [من الخفيف]

اشربا ما شربتُما إنّ قيساً مِـن قتيلٍ وهالكٍ وأسيرِ
لا يحـوزَنَّ أمرَنا مُضرِيٌّ بخفيـرٍ ولا بغيـرِ خفيرِ[2]

فقال عبد الملك : أتندبني إلى العصبية ؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً ، فشكا ذلك إلى وجوه قيس ، فقالوا : لا تُرَع ، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه ، فعاوِده . فعاودَه في المجلس الآخر ، فزبَرَه ، وقال له قوله الأوّل ، فقال له : إنّي لم آتك أندُبك للعصبيّة ، وإنّما جئتُك مستعدياً[3] ، فقال له : حدّثني كيف فعَل القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذَب لعمري ، ليحوزنَّها . ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده ، فقال : اخرجْ فجرِّد السيف

---

1 الغراران : الحدان .
2 أمرنا في ل : أرضنا .
3 مستعدياً : مستغيثاً .

في ربيعة ، فخرج وقتل منها مقتلةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتابيّ قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا شجاكِ بحُوّارين من طَلَلٍ ودمنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصيرُ[1]

يقول فيها :

هذي يمينُك في قرباك صائلةٌ وصارمٌ من سيوف الهندِ مشهورُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ وعصبةٌ دِينُها العُدوان والزُّورُ[2]
فإنَّ منّا الذي لا يُستَحثُّ إذا حُثَّ الجيادُ وضمتْها المضاميرُ
مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ما بينهنَّ وبين الله معمورُ

يعني عبد الله بن هشام بن بسطامٍ التغلبيّ ، وكان قد أخذ قوّادهم .

فبلغت القصيدة عبد الملك ، فأمر أبا عصمة بالكفِّ عنهم . فلمّا قدِم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بني عتابٍ يقال له كلثوم بن عمرٍو ، فقال : وما يمنعه أن يكون ببابنا . فأمر بإشخاصه من رأس عينٍ ، فوافى الرشيد وعليه قميصٌ غليظ ، وفَروة وخُفّ ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل ، فلمّا رُفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قدِّمت إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجّبون من فِعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقَيلي وهو في منزله ، فسلَّم عليه ، وانتسب له ، فرحّب به ، وقال له : ارتفع . فقال : لم آتِك للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال : دابّة أُبلَغ عليها إلى راس عين ، فقال : يا غلام أعطِه الفرس الفلانيّ . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلّغ عليها . فقال لغلامه : امض معه فابتعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتابيّ إلى سوق الحمير ، فقال له : إنّما أمرني أن أبتاع لك دابة . فقال له : إنّه أرسلك معي ، ولم يرسِلني معك ، فإن عملت ما أريد وإلاّ انصرف . فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبِرذعةٍ ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيدٍ : فضحتَني ، أمثلي يحمل مثلَك على هذا ؟ فضحِك ، وقال : ما رأيتُ قدرَك يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين .

1 كشفت في ل : حسرت . حوارين : قرية من قرى حلب .
2 عصبة في ل : بدعة .

[زوجته تلومه على عدم الأثراء]

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموال فحلَّى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول : [من الطويل]

تلـوم على تَـركِ الغِنـى باهليّةٌ ... زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
رأتْ حَوْلها النِّسوانَ يرفُلْنَ في الثَّرا ... مقلـدةً أعناقُهـا بالقلائدِ
أسَرَّكِ إنِّي نلت مـا نـال جعفرٌ ... من العيشِ أو ما نال يَحيى بنُ خالدِ
وإنَّ أمير المؤمنـين أغَصَّنـي ... مُغَصَّهمـا بالمشرِقـاتِ البواردِ[1]
رأيت رفيعـاتِ الأمـور مشوبةً ... بِمستودَعاتٍ في بُطون الأساودِ[2]
دعينـي تَجِئْنـيَ مِيتَتـي مطمئِنّةً ... ولم أتجشم هـولَ تلك المواردِ

وهذا الخبر عندي فيه اضطراب ؛ لأن القصيدة المذكورة التي أوّلها :

مـاذا شجـاكَ بِحُوَّارين من طلل

للعتابيّ في الرشيد ، لا في عبد الملك ، ولم يكن كما ذكره في أيّام الرشيد متنقِّصاً[3] منه . وله أخبار معه طويلةٌ ، وقد حدّثني خبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعةٌ على غير هذه الرواية .

[عتب الرشيد على العتابي]

أخبرني عمّي قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني مسعود بن إسماعيل العدويُّ عن موسى بن عبد الله التميميّ قال : عتب الرشيد على العتابيّ أيّام الوليد بن طريفٍ ، فقطع عنه أشياء كان عوّده أياها ، فأتاه متنصِّلاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

ماذا شجاك بحُوَّاريـن مـن طللٍ ... ودمنـةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشترَكٌ ... والعـين إنسانهـا بالمـاء مغمورُ
في ناظرِيّ انقباضٌ عن جفونهما ... وفي الجفون عن الآماق تقصيرُ
لو كنتِ تدرين ما شوقي إذا جَعَلَتْ ... تنأى بنا وبـك الأوطانُ والدورُ
علمتِ أنّ سُرى ليـلي ومُطلعي ... من بيت نجران والغَوْرَيْنْ تغويرُ

1 بالمشرقات ويروى : بالمرهنات وكلتاهما بمعنى السيوف القاطعة .
2 الأساود : جمع أسود وهو الحية .
3 ل : متقبضاً .

إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظرها ... كما تضمّنتِ الدُّهنَ القواريرُ
نادتك أرحامُنا اللاتي نَمُتُّ بها ... كما تنادى جِلادَ الجِلّةِ الخورُ[1]
مُستنبط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهنّ وبينَ اللهِ معمورُ
فُتَّ المدائحَ إلاّ أنّ أنفسنا ... مستنطقاتٌ بما تحوي الضمائرُ
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّورُ
فإنّ منّا الذي لا يستحَثُّ إذا ... حُثَّ الجياد وحازتها المضاميرُ
ومن عرائقه السّفّاح عندكم ... مجرّبٌ من بَلاء الصِّدق مخبورُ
الآن قد بعُدت في خطوِ طاعتكم ... خُطاهم حيثُ يحتلّ الغشاميرُ[2]

يعني يزيد بن مزيدٍ ، وهشام بن عمرٍو التغلبيَّ ، وهو من ولد سُفَيْحِ بن السفاحِ ، قال : فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله .

صوت

[من الطويل]

تطاول ليلي لم أنمه تقلّبا ... كأنّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
فإن تكن الأيّامُ فرّقْنَ بيننا ... فقد بانَ منّي في تذكُّره العذرُ

الشعر للأُبيردِ الرياحيّ ، والغناء لبابَوَيْه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه رملٌ نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج . وقيل إنّه منحول .

---

1 الجلاد : النوق الصلبة . الجلة : المسان من الإبل . الخور : النوق الغزيرة اللبن .
2 الغشامير : من الغشمرة ، وهي الظلم .

[239] ـ أخبار الأبيرد ونسبه[1]

[نسبه]

الأبيرد بن المعذَّرِ بن قيس بن عتّاب بن هرميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ ، من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية . وليس بمكثرٍ ، ولا ممّن وفد إلى الخلفاء فمدحهم .

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُرَيداً أخاه ، وهي معدودة من مختار المراثي .

[هوي الأبيرد امرأة فزوّجت غيره]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الرياحيُّ يهوى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهِرَ ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأبوا أن يزوّجوها إيّاه ، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زرارة ، فزوّجته ، فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي ... تَبغَّى لقيط قومَه وتَخَيَّرا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه ... لبانَ مكانُ الذّرِّ فيه فأثّرا
لعمري لقد أمكنتِ منّا عدوَّنا ... وأقررتِ للعادي فأخْنى وأهجرا[2]

[لم يرض كسوة حارثة بن بدر]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ قال : قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدرٍ فقال : اكسُني بُردَين أدخل بهما على الأمير ، يعني عبيد الله بن زيادٍ ، وكساه ثوبين فلم يرضَهما ، فقال فيه : [من الطويل]

أحارث أمسِك فَضْلَ برديك إنّما ... أجاعَ وأعرى اللهُ من كنتَ كاسيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابةً ... لِتُمْطِرَني عادت عَجاجاً وسافيا[3]
أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمرَ إنّني ... أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال : قبحه الله : لقد شَهِد بما لم يعلم . وإنّما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمد بن سلام .

1 للأبيرد ترجمة في المؤتلف والمختلف : 26 والسمط : 494 وأعلام الزركلي .
2 للعادي في ل : للمواشي .
3 السافي : الريح تحمل تراباً .

أخبرني حبيب بن نُصرٍ المهلّبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا الأصمعيُّ قال : هجا الأبيرد الرياحيّ حارثة بن بدر فقال : [من الطويل]

أحارثُ راجع شُرْبَكَ الخمرَ إنّني أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأياً من أبيه وعمّه وكان زيادٌ ماقِتاً لك قالِيا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام ، وقال في خبره هذا : فكان حارثة يكسوه في كلّ سنة بردين ، فحبسهما عنه في تلك السنة ، فقال حارثة بن بدر يجيبه : [من الطويل]

فإن كنتَ عن برديَّ مستغنياً لقد أراك بأسمالِ الملابس كاسيا
وعشتَ زماناً أن أعينكَ كُسوتي قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتَها على حاجة منها لأمِّك باديا

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر : [من الكامل]

زعمتْ غُدانةُ أن فيها سيداً ضخماً يواريه جَناحُ الجندبِ
يُرْويه ما يُروي الذّبابَ وينتشي لؤماً ويشبِعه ذراعُ الأرنبِ

وقال أيضاً لحارثة بن بدر : [من الطويل]

ألا ليت حَظّي من غُدانة أنّها تكون كَفافاً لا عليَّ ولا لِيا
أبى الله أن يهدي غدانةَ للهدى وأن لا تكونَ الدهرَ إلاّ مَوالِيا
فلو أنّني ألقى ابنَ بدرٍ بموطن نَعُدُّ به من أوَّلينا المساعيا[1]
تقاصر حتى يستقيدَ وبذّه قُروم تَسامى من رياح تَسامِيا[2]
أيا فارطَ الحيّ الذي قد حشا لكم من المجد أنهاءً ملاء الخوابيا[3]
وعَمِّي الذي فكّ السّميدعَ عنوةً فلستَ بِنُعمى يا ابن عقربَ جازيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ونحنُ إذا مِتنا أشدُّ تغانيا[4]

1 المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل .
2 يستقيد : يذل ويخضع . رياح : قبيلة .
3 الفارط : السابق إلى إصلاح الحوض والدلاء . الأنهاء : الغدران . الخوابي : جمع خابية وهو الحوض .
4 يروى هذا البيت لغيره .

ألم ترنا إذ سقتَ قومك سائلا ذَوِي عددٍ للسائلين مَعاطيا
بنى الردفِ حمالِين كلَّ عظيمةٍ إذا طلعت والمترِعين الجوابيا
وإنّا لنعطي النِّصفَ من لو نَضيمه أقر ولكنّا نحبّ العوافيا

الردفُ الذي عناه هاهنا : جدُّه عتاب بن هَرمي بن رياح ، كان رِدفَ بن المنذر ، إذا ركب ركب وراءه ، وإذا جلس جلس عن يمينه ، وإذا غزا كان له المِرباع ؛ وإذا شرب الملك سُقِي بكأسه بعده ، وكان بعده ابنه قيس بن عتّابٍ يردف النعمان . وهو جدُّ الأبيرد أيضاً .

[الأبيرد وسعد العجليّ]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال : كانت بنو عجلٍ قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عِجلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعدٍ هذا . فمالت إليه فومِقته ، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً ، فذهب بها كلَّ مذهب حتى ظهر أمرُهما وتُحُدّث بهما ، واتُّهم الأبيرد بها . فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه[1] ، فقالوا له : ما لك تتحدّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، وإيّاك أن تعاودها . فقال الأبيرد : إنّ سعداً لا خير فيه لزوجته . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّي رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتّهمها لعجزه عنها : فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

ألم تر أنَّ ابن المعذَّر قد صحا ووّدعَ ما يَلْحى عليه عواذلُهْ
غدا ذو خلاخيلٍ عليّ يلومُني وما لومُ عَذّالٍ عليه خلاخلُهْ
فدع عنك هذا الحَلْي إن كنتَ لائمي فإنّي امروٌ لا تزدهيني صَلاصلُهْ[2]
إذا خطرت عنس به شدنية بمطَّردِ الأرواح ناءٍ مناهلُهْ[3]
تبيَّنَ أقوامٌ سفاهةَ رأيهم ترحَّلَ عنهم وهو عفٌّ منازلُهْ
لهم مجلسٌ كالرُّدْن يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتاملُهْ[4]

1 استعذرهم منه : استعداهم عليه .
2 الصلاصل : الرنين .
3 العنس : الناقة الصلبة . شدنية : منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن .
4 كالردن : جعلهم كالردن في الضيق وقلة العدد . الهتامل : الذين يتكلمون كلاماً خفيّاً .

تبرأتُ مــن سعد وخُلَّــة بيننا فلا هــو معطيني ولا أنا سائلُه
متى تُنتَجُ البلقاءُ يا سعد أم متى تُلَقَّحُ من ذات الرِّبــاطِ حوائلُه
يحــدِّث سعد أنَّ زوجتــه زنت ويــا سعدُ أنت المرء تزني حلائلُه
فإن تَسمُ عيناها إليّ فقــد رأت فتًــى كحسام أخلصَتْه صياقلُه
فتى قُــدَّ قــدَّ السَّيف لا متضائلٌ ولا رِهــلٌ لَبَّاتــه وأباجلُه[1]

وهذا البيت الأخير يروى للعجير السَّلوليّ ، ولأخت يزيد بن الطثرية ، فاعترضه سَلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال : [من الوافر]

لعمــرك إنّنــي وبنــي رياحٍ لكالعاوي فصادف سَهم رامِ
يسوقون ابنَ وجــرةَ مزمئراً ليحميَهم وليس لهم بحــامِ[2]
وكم مـــن شاعرٍ لبني تميم قصيرِ البــاع مـــن نفرٍ لئامِ
كسونا ، إذ تخرَّقُ ملبَساه ، دواهيَ يترينَ مـــن العظامِ
وإن يُذكــر طعامُهــم بشرٍّ فــإنَّ طعامهــم شرُّ الطعامِ
شَريجٌ من مَنيٍّ أبــي سُواج وآخر خالص مــن حيض آمِ[3]
وسوداء المغابــن مـــن رياحٍ على الكردوس كالفأس الكَهامِ[4]
إذا مــا مــرّ بالقعقاع ركب دعتهم مَن ينيكُ على الطَّعامِ[5]
تداوَلَها غـــواةُ الناس حتــى تؤوبَ وقد مضى ليل التِّمامِ[6]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له : [من الوافر]

عَوى سَلمانُ من جَــوٍّ فلاقى أخو أهــلِ اليمامةِ سهمَ رامي
عوى مِــن جُبْنه وشقيٌّ عجلٍ عُــواءَ الذئب مُختلَطَ الظلامِ

---

1 الأبجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل . وقد مرّ هذا البيت منسوباً للعجير السلولي سوى أن الكلمة الأخيرة فيه «وبآدله» ، ص 40 من هذا المجلد .
2 المزمئر : الغاضب .
3 شريج : ذو لونين مختلفين . آم : جمع أمة ، المرأة غير الحرة .
4 المغابن : جمع مغبن ، وهو الابط . الكردوس : العظم الكثير اللحم . كهام : كليل .
5 القعقاع : موضع .
6 ليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ومن لحم الجَزورِ على الثُّمامِ
تَحَيَّا المسلمون إذا تلاقَوا وعجلٌ ما تُحَيَّا بالسَّلامِ
إذا عجليةٌ ولدت غلاماً لعجليٍّ فَقُبِّحَ من غلامِ
يَمَصُّ بثديها فرخٌ لئيم سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آمِ
خبيث الريح ينشأ بالمخازي لئيمٌ بين آباء لئامِ
أنا ابن الأكرمين بني تميم ذوي الآكال والهمم العظامِ
وكائن من رئيس قَطَّرته عواملُنا ومن ملك هُمامِ[1]
وجيشٍ قد ربَعناه وقومٍ صبَحْناه بذي لَجبٍ لُهامِ[2]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له : [من الطويل]

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنْظرا
من القُلْح فسَّاءٌ ضروطٌ يُهِرُّه إذا الطير مرّاتٍ على الدوح صرصرا[3]
وأقلح عجلي كأنّ بخطمِه نواجذَ خنزير إذا ما تكشرا
يزِلُّ النوى عن ضِرسه فيردُّه إلى عارضٍ فيه القوادح أبخرا
إذا شرب العِجْليُّ نَجَّس كأسَه وظلّت بكَفّي جُأْنبٍ غيرِ أزهرا[4]
شديد سوادِ الوجه تحسب وجهَه من اللؤم بين الشاربين مَقيَّرا
إذا ما حساها لم تزِده سماحة ولكن أرته أنْ يصرَّ ويَحْصَرا[5]
فلا يَشْرَبَنْ في الحيِّ عجلٌ فإنّه إذا شرب العِجْليُّ أخنى وأهجرا
يقاسي نداماهم وتَلقى أُنوفهم من الجدْع عند الكأس أمراً مذكرا[6]
ولم تك في الإشراك عِجل تذوقها ليالي يَسبِيها مقاولُ حميرا[7]

---

1 قطرته : صرعته .
2 لهام : الجيش العظيم .
3 القلح : جمع أقلح وهو الفاسد الأسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب من الفزع .
4 الجأنب : القميء .
5 يحصر : يبخل .
6 مذكر : شديد .
7 يسبيها : يشتريها . مقاول : جمع مقول ، وهو الملك في حمير .

ويُنفق فيهــا الحنظليــون مالَهم إذا مـا سعـى منهم سفيهٌ تجبَّرا
ولكنهــا هانــت وحُــرّم شربها فمالت بنو عجلٍ لِما كان أكفَرا
لعمري لئــن أُزْنِنْتُم أو صحوتم لبئسَ النّدامــى كنتم آلَ أبجرا[1]

[التفاخر بالنحر]

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيُّ قال : كان مجائلُ بن مرة بن مَحكان السعديّ وابن عمّ له يقال له : عَرادة ، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأنهبها ، وكانت مائة شاة ، فاشترى مُرّة بن محكان مائةً من الإبل فنحر بعضها وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدة : إنّهما تفاخرا ، فغلبه مرّة ، فقال الأبيرد لعرادة : [من الوافر]

شرى مائـــةً فأنهبهــا جميعاً وبتَّ تقسَّم الحـذف النقادا[2]

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرّة بن محكان فحبسه وقيّده ، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء ، فكانت بينهم شجاجٌ[3] ، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأُنبىء مرة بن محكان وهو محبوسٌ ، فعرف ذلك فتحمَّل جميعها في ماله ، فقال فيه الأبيرد : [من الطويل]

لله عينــا مـــن رأى مـن مكبَّـل كمُـرَّةَ إذ شُدَّت عليــه الأداهمُ[4]
فأبلـــغ عبيد الله عنّـــي رسالةً فإنّــك قــاضٍ بالحكومـةِ عـالِمُ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في الندى فعاقــب هــداك الله أعظــمَ حاتمِ
تعاقــب خِرقــاً أن يجـود بمالـه سعى في ثأىً من قومـــه متفاقمِ[5]
كأن دمــاء القــوم إذ علقت بـه على مكفهــرٍّ مــن ثنايـا المخارمِ[6]

[استفزاز سحيم بن وثيل الرياحي]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، قال : حدّثنا عمّي قال : أتى رجل الأبيرد الرياحيّ وابن عمّه الأحوص ، وهما من رهطِ ردف الملك من بني رياح ، يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر

---

1 أزننتم : اتهمتم .
2 الحذف : الغنم السود . النقاد : جمع نقد ، وهو جنس من الغنم .
3 شجاج : جراح .
4 الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .
5 الثأى : الافساد .
6 المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأواخر الليل . وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة إقواء .

أعطيناك قطرانا . فقال : قولا . فقالا : اذهب فقل له : [من الوافر]

فإن بُداهَتي وجِراءَ حولي ... لذو شِقٍّ على الحُطَم الحرونِ[1]

قال : فلمّا أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه ، وانحدر في الوادي ، وجعل يُقبل فيه ويدبر ، ويُهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال : اذهب فقل لهما[2] : [من الوافر]

فإنّ عُلالتي وجراء حَولي ... لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظَّنونِ[3]

أنا ابن الغُرِّ من سَلَفَيْ رياح ... كنصل السيف وضاحُ الجبينِ

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني[4]

وإنّ مكاننا مِن حميريّ ... مكانُ الليث من وسط العَرينِ

وإنّ قناتنا مَشِظٌ شظاها ... شديد مدُّها عُنُقَ القرينِ

قال الأصمعيّ : إذا مسسْت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل : مشظت يدي والشظا : ما تشظّى منها :

وإنّي لا يعود إليّ قِرني ... غداةَ الغِبِّ إلاّ في قرينِ

بذي لِبَدٍ يصدُّ الركب عنه ... ولا تُؤتَى فريسته لحينِ

عذرتُ البُزْل إذ هي صاوَلتني ... فما بالي وبالُ ابنَيْ لَبونِ[5]

وماذا تبتغي الشعراءُ منّي ... وقد جاوزتُ راسَ الأربعينِ[6]

أخو الخمسين مُجْتَمعٌ أشُدّي ... ونجّذني مداورةُ الشؤونِ[7]

سأحيا ما حييتُ وإنّ ظهري ... لذو سنَدٍ إلى نَضَدٍ أمينِ[8]

قال : فأتياه فاعتذرا إليه . فقال : إنّ أحدكم لا يَرى أن يصنع شيئاً حتّى يقيس شعره بشعرنا ، حسبه بحسبنا ، ويستطيفَ بنا استطافة المهر الأرِن . فقالا له : فهل إلى

---

1 شق : مشقة . الحطم : العسوف العنيف . الحرون : الصعب القياد .

2 الأصمعيات : 73 .

3 الضرِع : الصغير . الظنون : الذي لا يوثق به .

4 ابن جلا : كناية على العلو . طلاع الثنايا : كناية عن الارتقاء إلى قمة المجد . متى أضع العمامة تعرفوني : قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .

5 البزل : جمع بازل ، وهو البعير دخل سنته التاسعة . وابن اللبون : ما كان في عامه الثاني .

6 تبتغي في ل : يدّري .

7 نجذني : جعلني مجرباً .

8 نضد : الوسائد ، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف .

النَّزع[1] من سبيلٍ . فقال : إنّنا لم نبلغ من أنسابنا .

قال اليزيديّ : أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعيّ .

[رثاؤه بريداً]

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أوّلها الغناء المذكور ، من جيد الشعر ، ومختار المراثي ، المختار منها قوله : [من الطويل]

تطاوَلَ ليلي لم أنمه تقلُّباً ... كأنَّ فِراشي حال من دونه الجمرُ

أُراقِب من ليل التِّمام نجومَه ... لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ

تذكّرتُ قَرْماً بانَ منّا بنَصرِهِ ... ونائِلِه يا حبّذا ذلك الذُّكرُ[2]

فإن تكن الأيّامُ فرّقن بيننا ... فقد عذرتنا في صحابتنا العُذرُ[3]

وكنت أرى هَجْرا فراقَكَ ساعةً ... ألا لا بل الموتُ التفرُّق والهجرُ

أحقّاً عباد الله أن لستُ لاقيا ... بُريداً طَوالَ الدَّهرِ ما لألأ العُفْرُ[4]

فتًى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى ... فإن قلَّ مالاً لم يَؤُدْ متنَه الفقرُ

وسامى جسيماتِ الأمورِ فنالها ... على العسر حتى أدرك العُسُرَ اليسرُ

ترى القومَ في العَزَّاء ينتظرونه ... إذا ضلّ رأيُ القوم أو حَزَب الأمرُ

فليتك كنتَ الحيّ في الناس باقياً ... وكنتُ أنا الميتَ الذي غَيب القبرُ[5]

فتًى يشتري حُسنَ الثناء بماله ... إذا السّنةُ الشهباءُ قلَّ بها القطرُ[6]

كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... ولم يأتِنا يوماً بأخباره السَّفْرُ[7]

لعمري لنعمَ المرءُ غالي نَعِيَّه ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قَصرَ العصرُ

تمضَّت به الأخبارُ حتى تغلغلت ... ولم تثنِه الأطباع دوني ولا الجُدرُ[8]

---

1 النزع : الكف .

2 الذُّكر : التذكر .

3 العذر : جمع عذير ، وهو العاذر .

4 لألأ العفر : حركت الظباء أذنابها .

5 باقياً في ل : ثاوياً .

6 السنة الشهباء : السنة الشديدة .

7 السفر في ل : البشر .

8 الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

ولمّـا نعـى الناعي بُريـداً تغوَّلَتْ بي الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهرُ،[1]
عساكر تغشى النفسَ حتـى كأنّني أخو سكرةٍ طارت بهامَتِـه الخمرُ،[2]
إلى اللهِ أشكـو في بُرَيـدٍ مصيبتي وبثّي وأحزانـاً تضمَّنهـا الصدرُ
وقـد كنت أستعفى إلهـي إذا شكا من الأجر لي فيه وإنْ سَرّني الأجرُ
ومـا زال في عينـيَّ بَعْـدُ غِشاوةٌ وسَمعِيَ عَمَّـا كنت أسمعـه وقرُ،[3]
على أنّنـي أقْنـى الحيـاءَ واتّقـي شماتـة أعـداءٍ عيونهـم خُزرُ[4]
فحيّاكَ عنّـي الليـل والصبحُ إذْ بدا وهُـوجٌ من الأرواح غُدوتهـا شهرُ
سَقى جدثـا لـو أستطيع سقيته بِـأُوْدٍ فـروّاه الروافـد والقطرُ،[5]
ولا زال يرعـى منْ بلادٍ ثوى بها نباتٌ إذا صاب الربيعُ بهـا نضرُ
حلفـتُ بـربّ الرافعينَ أكُفَّهم وربِّ الهدايا حيث حـلَّ بها النحرُ
ومُجْتمعِ الحجّـاج حيـثُ توافقت رِفـاقٌ مـن الآفـاق تكبيرُها جأرُ
يمينَ امـرىءٍ آلى وليس بكاذب ومـا في يمـينٍ قالهـا صادقٌ وِزرُ
لئن كان أمسى ابنُ المعذّر قـد ثوى بريـدٌ لنعـم المـرءُ غَيَّبه القبرُ
هو الخلَفُ المعروفُ والدِّين والتّقى ومسعرُ حـربٍ لا كَهامٌ ولا غُمْرُ
أقـام فنـادى أهلُـه فتحمَّلوا وصُرِّمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ،[6]
فتـى كان يُغْلي اللحمَ نِيئـاً ولحمُه رخيصٌ لجاديـه إذا تُنـزَلُ القِدرُ
فتى الحـيِّ والأضيافِ إن روّحتهم بليلٌ وزادُ السفر إن أرمـل السَّفرُ،[7]
إذا جـارةٌ حلّتْ لديـه وفَـى بهـا فآبـت ولم يُهْتَك لجارتـه سترُ،[8]
عفيف عن السوآت ما التبست به صليبٌ فمـا يُلْقى لعود بـه كسرُ

1 الظهر في ل : الصبر .
2 طارت في ل : مالت .
3 وقر : صمم .
4 خزر : ضيقة .
5 الروافد في ل : الرواعد .
6 النجر : الأصل .
7 روحتهم : هبّت عليهم . أرمل السفر : نفذ زاد المسافرين .
8 فآبت في ل : فباتت .

سلكت سبيلَ العالمين فما لهمُ ... وراء الذي لاقيت مَعْدًى ولا قصرُ
وكلّ امرىء يوماً سيلقى حمامَه ... وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنّما ... ثوابُك عندي اليومَ أن ينطِق الشعرُ

وقال يرثيه أيضاً ، وهي قصيدةٌ طويلة : [من الطويل]

إذا ذكرَتْ نفسي بُريداً تحاملَتْ ... إليّ ولم أملك لعيني مدمعا
وذكّرنيكَ الناسُ حين تحامَلُوا ... عليّ وأضحَوْا جلدَ أجربَ مُولعا
فلا يُبعدنْكَ اللهُ خيرَ أخي امرىءٍ ... فقد كنتَ طلاّع النِّجادِ سَميدَعا[1]
وَصُولاً لذى القربى بعيداً عن الخنا ... إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا[2]
أخو ثقة لا ينتحِي القومُ دونه ... إذا القوم خالوا أو رجا الناسُ مَطعما
ولا يركب الوجناءَ دون رفيقِه ... إذا القومُ أزجَوهنّ حَسرى وظُلّعا[3]

صوت

[من مخلع البسيط]

يا زائرينا من الخيامِ ... حيّاكما اللهُ بالسلامِ
يحزُنُني أن أطفتُما بي ... ولم تنالا سِوى الكلامِ
بُورك هارون من إمامٍ ... بطاعة اللهِ ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلالِ قُربى ... ليست لِعَدْلٍ ولا إمامِ

الشعر لمنصورٍ النمريّ ، والغناء لعبد الله بن طاهرٍ ، رمل ، ذكر ذلك عبيد الله ابنه ، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها ، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنّه للرف أيضاً .

1 السميدع : الكريم .
2 الجادي : طالب العطاء .
3 الوجناء : الناقة السريعة . حسرى : كليلة . ظلع : جمع ظالع ، وهي الناقة التي تغمز في مشيها من عرج .

[240] ـ أخبار منصور النمريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة ، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان ، بن شريك بن مُطعم الكبش الرّخَمَ ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هِنب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وإنّما سمّي عامرٌ الضحيان لأنه كان سيِّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسمِّي الضحيان . وسمّي جدُّ منصور «مطعِمَ الكبِش الرخم» ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع راسه فإذا رَخِمٌ يَحُمْن حول أضيافه ، فأمر بأن يُذبَح لهم كبشٌ ويُرمى به بين أيديهم ، ففُعِل ذلك ، فنزلن عليه ، فمزقنه ؛ فسمّي مطعمَ الكبش الرخم . وفي ذلك يقول أبو نُعيجة النمريّ يمدح رجلاً منهم : [من المتقارب]

أبـــوك زعيـــمُ بنـــي قاسط وخالك ذو الكبش يَقْرِي الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابيّ وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبَّه . والعتابيّ وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرَّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابيّ وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كلُّ واحد منهما على هلاك صاحبه ، وأخبار ذلك تُذْكرُ في مواضعها من أخبارهما[3] ، إن شاء الله تعالى ، وكان النمريّ قد مدح الفضلَ بن يحيى بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابيّ إليه ، واسترفده له ، وسأله استصحابه ، فأذِن له في القدوم ، فحظي عنده ، وعرف مذهبَ الرشيد في الشعر ، وإرادته أن يصِل مدحه إيّاه بنفي الإمامة عن آل علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، والطعن عليهم ، وعلم مغزاه في ذلك ممّا كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة ، وتفضيله إيّاه على الشعراء في الجوائز . فسلك مذهب مروان في ذلك ، ونحا نحوه ،

1 لمنصور النمري ترجمة في الشعر والشعراء : 736–739 وتاريخ بغداد 13 : 65 وطبقات ابن المعتزّ : 242–248 وابن خلكان 6 : 336 وفوات الوفيات 4 : 164–168 وقد جمع شعره الطيب العشاش (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) .

2 قرضه : مدحه ، وهو من الأضداد .

3 تقدم ذكر ذلك في ترجمة العتابيّ ص 74–86 .

ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان ، ولكنّه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يُحقِّق ، لأنه كان يتشيّع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب ، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِد بها[1] طلب الدنيا ، فلا يُبْقي ولا يذر .

[طلب أن يذكر عند الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكُرانيّ ، وأخبرني به عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، وحديث محمد بن جعفر النحويّ أتم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدي قال : حدّثنا ثابت بن الحارث الجُشَميُّ قال : كان منصورٌ النمريّ مُصافياً للبرامكة ، وكان مسكنه بالشام ، فكتب يسالهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه ، فأحبَّ أن يسمع كلامه ، فأمرهم بإقدامه ، فقدِم ونزل عليهم ، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره ، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان ، على ما سمعه من بيانه ، وكان مروانُ يقول قبل قدومه : هذا شاميٌّ وأنا حجازي ، أفتراه يكون أشعر منّي ، ودخله من ذلك ما يدخل مثلَه من الغمّ والحسد ، واستنشد الرشيدُ منصوراً ، فأنشده[2] : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليك خُضْنا ... غِمارَ الهَول من بلد شَطيرِ[3]

بخُوصٍ كالأهلة خافقاتٍ ... بلينَ على السُّرى وعلى الهجيرِ[4]

حملنَ إليك أحمالاً ثِقالا ... ومثل الصخر والدرّ النثيرِ

فقد وَقف المديحُ بمنتهاه ... وغايتِهِ وصار إلى المصيرِ

إلى مَن لا يشير إلى سِواه ... إذا ذُكِر النَّدى كفُّ المشيرِ

فقال مروان : ودِدتُ والله أنّه أخذ جائزتي وسكت .

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال : [من الوافر]

يذلِّل من رقابِ بني علي ... ومَنّ ليس بالمنِّ الصغيرِ

مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى ... وكانَ من الحُتوف على شفيرِ[5]

---

1 يقصد بها في ل : يعضدها .

2 شعر منصور النمري : 85–88 .

3 الهول في ل : الموت . شطير : بعيد .

4 خوص : جمع خوصاء ، الناقة الغائرة العين صغيرتها .

5 الحتوف في ل : الهلاك .

[مروان ينشد الرشيد]

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشِده ، وكان يتبسّم في وقت ما كان ينشده النمريّ ، ويأخذ على بطنه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشدته : [من الرجز]

موسى وهارون هما اللذانِ في كتب الأخبارِ يوجدانِ
من وَلَد المهديّ مَهديّان قُدّاً عنانين على عنانِ
قد أطلق المهديُّ لي لساني وشدّ أزري ما به حباني
من اللُّجَين ومن العِقيان عِيديَّة شاحِطةَ الأثمانِ[1]
لو خايلت دجلَة بالألبان إذاً لقيل اشتبه النهرانِ[2]

قال : فوالله ما عاج النمريّ بذلك ولا أحتفل به ، فأومأ إليّ هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها : [من الكامل]

خَلُّوا الطريقَ لمعشر عاداتهمْ حَطمُ المناكبِ كلّ يوم زحامِ
ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم به ودَعُوا وراثةَ كلّ أصيد حامِ[3]
أنَّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثةُ الأعمامِ

قال : فوالله ما عاج بشيء منها وغلب على هارون ، وخرجت الجائزتان ، فأعطى مروان مائة ألف . وأعطى النمريّ سبعين ألفاً ، وقال : أنت مَزِيدٌ في ولد علي .

قال : ولقد تخلّص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله : [من الوافر]

فإن شكروا فقد أنعمتْ فيهم وإلاّ فالنَّدامة للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ ورُدُّوا ما يناسب للذُّكورِ

قال : فكان مروان يتأسّف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه ، وإلى قوله : [من الوافر]

وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمامِ في ورق الزَّبورِ

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثني الغنويّ عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبديّ ، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد بن جعفر النحويّ يزيد وينقص ، والمعنى متقارب .

---

1 عيدية : ضرب من نجائب الإبل . شاحطة الأثمان : عالية الأثمان .
2 خايلت : فاخرت .
3 حام في ل : سام .

[الرشيد يغضب لمَن قال كأنه رسول]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السّلميّ قال : حدّثني أحمد بن سيّار الشيبانيّ الشاعرُ قال : كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يُمدَح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكِر ذلك ولا يردّه ، حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى ، فأفرط في مدحه حتى قال فيه :

فكأنّه بعـد الرسول رَسولُ

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ ، وحَرَم ذلك الشاعر فلم يُعطِه شيئاً ، وأنشد منصورٌ النمريّ قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثَلَبهم ، فضجِر هارون وقال له : يا ابن اللّخناء ، أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء قومٍ أبوهم أبي ، ونسبُهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ؟! فقال : وما شهدنا إلاّ بما علمنا . فازداد غضبه ، وأمر مسروراً فوجأ[1] في عنقه وأُخرِج ، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده : [من الوافر]

بني حسنٍ ورهطَ بني حُسينٍ عليكم بالسَّداد مـن الأمورِ
فقـد ذقتـم قِراعَ بني أبيكم غـداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكورِ
أحـينَ شَفَوْكُمُ من كلِّ وِترٍ وضمُّـوكم إلى كَنَـف وَثيرِ[2]
وجادتكم على ظمـإٍ شديد سمـاءٌ مـن نوالهـم الغـزيرِ
فما كان العقوقُ لهـم جـزاءً بفعلهـم وآدى للثـؤورِ
وإنّـك حيـن تُبلغهـم أذاةً وإن ظلمـوا لمحـزون الضميرِ

فقال له : صدقت ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[الرشيد يميز شاعره الخاص]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال : حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : دخل مروان بن أبي حفصة وسَلْم الخاسر ، ومنصور النمري على الرشيد ، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

أنَّى يكون وليس ذاك بكائن لبنـي البناتِ وراثـةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال :

حَضَر الرّحيل وشُدَّت الأحـداجُ[3]

---

1 وجأ في عنقه : ضربه .
2 الكنف الوثير : الجناب اللين .
3 الأحداج : جمع حِدج ، يحفه كالهودج .

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن المكارمَ والمعروف أوديــةٌ أحَلَّك الله منهــا حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلٍّ واحد منهم بمائة ألف درهم ، فقال له يحيى بن خالدٍ : يا أمير المؤمنين ، مروان شاعرك خاصة قد ألحقتهم به . قال : فَلْيُزَد مروان عشرة آلاف .

[إعجاب الرشيد بشعر منصور]

أخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : أخبرني أبو خاتمٍ الطائي ، عن يحيى بن ضبيئة الطائي ، عن المفضل قال : حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده[1] : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّـي ولا جزعُ إذا ذكــرتُ شباباً ليس يُرتَجعُ
بــانَ الشّبابُ وفاتتنـي بلذّتــه صروفُ دهــرٍ وأيّامٌ لهـا خُدَعُ
مــا كنت أوفي شبابـي كُنهَ غِرَّته حتى انقضى فإذا الدنيا لــه تَبعُ

قال : فتحرّك الرشيد لذلك ثم قال : أحسَنَ والله ، لا يَتَهنَّأ أحدٌ بعيش حتى يخطِر في رِداء الشباب .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبديّ عن مروان بن أبي حفصة ، قال : خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم ، فظفر الرشيد ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عزّ وجلّ ثم يزيد بن مزيد . فقال لي وللنمريّ : أنشدا . فأنشدته قولي : [من الكامل]

طرقَتْك زائرةً فحــيِّ خيالها غــراءُ تخلِط بالحياءِ دلالها

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رُزِقه ، فقال : عُدّوا قصيدته ؛ فكانت مائة بيتٍ ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قال للنمريّ : كيف رأيت فرسي فإنّي أنكرته ؟ فقال النمريّ[2] : [من الطويل]

مُضِزٌّ على فــأسِ اللجـامِ كأنّه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطيرُ[3]
فظلَّ على الصفصاف يومٌ تباشرت ضِبـاعٌ وذُؤبـــان بـــه ونسورُ

---

1 شعر منصور النمري : 95–103 .

2 شعر منصور النمري : 82 .

3 مضز : يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه .

فأقسِمِ لا يَنْسَى لك اللهُ أجرهـا ... إذا قُسِّمت بـين العبـاد أجورُ

قال النمريّ : ثم قلت في نفسي : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة ؟ فقلت : [من الطويل]

إذا الغيث أكْدى واقشعرّت نجومُه ... فغيـث أميـرِ المؤمنـين مَطِيـرُ

ومـا حـلَّ هـارون الخليفةُ بلدةً ... فأخلفَهـا غيـثٌ وكاد يضيرُ

فقال : أذكرتَني . ورأيته مُتَهَلِّلاً لذلك . قال : فألحقَني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم .

[البيدق ينشد قصيدة النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان ، قال حدّثني محمد الراوية المعروف بالبيدق ، وكان قصيراً ، فلقّب بالبيدق لقصره ، وكان يُنشد هارون أشعار المحدثين ، وكان أحسن خلق الله إنشاداً ، قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد ، وبين يديه خوان لطيف عليه جَدياِنِ ورُغفان سميد ودجاجاتان ، فقال لي : أنشدني ، فأنشدته قصيدة النمريّ العينية ، فلمّا بلغت إلى قوله : [من البسيط]

أيُّ امرىءٍ بات من هارونَ في سَخَط ... فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ

إن المكـارمَ والمعروفَ أوديـة ... أحلَّـك اللهُ منهـا حيـث تتسعُ

إذا رفعـت امـرءاً فاللهُ يرفعـه ... ومن وضعت من الأقوام مُتضعُ

نفسي فـداؤك والأبطـال مُعْلِمَة ... يـوم الوغى والمنايـا بيْنَها قُرَعُ

قال : فرمى بالخِوان بين يديه وصاح ، وقال : هذا واللهِ أطيبُ من كل طعامٍ وكلّ شيء ، وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ ، فلم يعطني منها ما يرضيني ، وشخص إلى رأس العين ، فأغضبني وأحفظني ، فأنشدت هارون قوله[1] : [من المنسرح]

شاءٌ مـن الناسِ راتِعٌ هاملْ ... يعللـون النفـوس بالباطلْ

فلمّا بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لهـا ... بسلَّةِ البيضِ والقنـا الذابلْ

قال : أراه يحرّض عليّ ، ابعثوا إليه مَن يجيءُ برأسه . فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع فلم يغنِ كلامه شيئاً ، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِن . قال : وكان إنشادُ محمدٍ البيدق يُطرِب كما يطرب الغناء .

1 شعر منصور النمري : 121 .

[سبب غضب الرشيد على النمريّ]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا عليّ بن الحسين الشيبانيّ ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابيّ عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصوراً النمريّ يوماً من الأيّام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خَبَرُك ؟ فقال : تركت امرأتي تُطْلَقُ ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورِجلي ، والقيِّمة بأمري وأمر منزلي . فقلت له : لِم لا تكتب على فَرجِها «هارون الرشيد» ؟ قال : ليكون ماذا ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك : [من البسيط]

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ

فقال لي : يا كشخان ، والله لئن تخلّصتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلمّا ولدتِ امرأته خبّر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أذِن لي في الظهور ؛ فلمّا دخلتُ عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمريّ ، فاعتذرت إليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذّب عليّ إلاّ وقوفي على مَيله إلى العَلَويّة ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أُنشده شعره في مديحهم فعلتُ . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله : [من المنسرح]

شاءٍ مِن الناس راتعٌ هاملْ ... يعلّلون النفوس بالباطلْ

حتى بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ

[طلب الرشيد نبش جثة النمري ليحرقها]

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفّي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطُف له حتى كفّ عنه .

[الفضل بن الربيع يحمي النمري]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدّثني بعض الزينبيين ، قال : حبس الرشيد منصور النمريّ بسبب الرفض ، فتخلّصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستَره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يلحُّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضل تُفَوِّتني النمريّ ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصّلته . قال : فجئني . وكان الفضل قد أمره أن يُطوِّل شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحُب وتسوء حالته ، ففعل ، فلمّا أراد إدخاله عليه ألبسه فَروة مقلوبة ،

وأدخله عليه ، وقد عفا[1] شعره ، وساءت حالته ، فلمّا رآه ، قال : السيف ؛ فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل : [من المنسرح]

إلاّ مساعيرَ يغضبون لهـا بسَلَّة البِيضِ والقنا الذابلْ

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا ، ولقد كُذِب عليّ ، ولكنّي القائل[2] : [من مخلع البسيط]

يـا منزل الحي ذا المغاني انعِم صباحاً على بِلاكا
هارون يا خير من يُرَجَّى لم يُطِعِ اللهَ مَـنْ عَصاكا
في خير دينٍ وخير دنيا مَـن اتَّقـى اللهَ واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع : [من الهزج]

رأيت المُلْـك مُـذْ آزر تَ قـد قامـت مَحانيهِ
هـو الأوحـد في الفضل فمـا يعـرف ثـانِيهِ

[تعفف النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليّ بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتبيل ، قال : اجتمع عند المأمون قبل خلافته ، وذلك في أيّام الرشيد ، منصورٌ النمريّ والخرَيْمِيُّ والعباس بن زُفر ، وعنده جعفر بن يحيى ، فحضر الغداء ، فأُتيَ المأمون بلونٍ من الطعام ، فأكل منه فاستطابه ، فأمر به فوُضِع بين يدي جعفر بن يحيى ، فأصاب منه ، ثم أمر به فوضِع بين يديْ العباس فأكل منه ، ثم نحّاه ، فأكل منه بعده الخريمي وغيره ، ولم يأكل منه النَّمَريّ ، وذلك بعين المأمون ، فقال له : لِم لم تأكل ؟ فقال : لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إنّي لنهمٌ . قال : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت : [من البسيط]

لَهْفـي أتطعِمهـا قيساً وآكلها إنّـي إذاً لدنيءُ النفسِ والخطرِ
ما كان جدّي ولا كان الهمام أبي ليأكـلا سؤرَ عبـاس ولا زُفَرِ[3]
شتانَ مـن سؤر عبـاسٍ وفضلتهِ وسؤر كلبٍ مُغطَّـى العين بالوبرِ
مـا زال يلقَـمُ والطّباخُ يلحظُه وقد رأى لُقمـا في الحلق كالعُجَرِ

[نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعمّي ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيّ ، قال :

---

1 عفا شعره : طال وكثر .
2 شعر منصور النمري : 113 .
3 السؤر : البقية والفضلة .

أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمريّ ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : إن منصور بن بُجرة بن منصور بن صليلٍ بن أُشْيَمَ بن الحجاز بن قيس بن قطن بن سعد بن عامرٍ الضَّحيانِ بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ ، قال هذه القصيدة : [من البسيط]

ما تنقضي حسرة منّي ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجعُ
بـــان الشباب وفاتتني بشِرَّتـــهِ صروفُ دهـــرٍ وأيّام لها خُدَعُ[1]
مـــا كنـــت أولَ مسلوبٍ شبيبَته مكسوٍّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجزعُ

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها ، فاستوهبها منه فوهبها له ، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدّى لمدح ولا يفِد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر ، وكان هارون الرشيد قد جرّد السيف في ربيعة ، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد ، وكان رجلاً تقتحمه[2] العين جدّاً ، ويزدريه مَن رآه لدمامة خَلقِه ، فأمر الرشيد لمّا عُرِضت عليه بإحضار قائلها . قال منصور : فلمّا وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لِما عُرِضت عليه قرأها واختارها على جميع شِعر الشعراء جميعاً ، وأمره بإدخالي ، فلمّا قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي ، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً . قال : فردَّني ، وأمر بإخراجي فأُخرِجت ، فمرَّ بي ذات يوم يزيد بن مُزيدٍ الشيبانيّ ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقني ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبري ، وسألته : أن يذكرني إذا مرّت به رقعتي ، ويتلطّف في إيصالي ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

أتسلو وقد بـــانَ الشبابُ المزايلُ

فقال لي : غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة ـ فقلت له يا أمير المؤمنين إن يوم الشر طويل ، فقال : صدقت . وخرج يزيد يركض ، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلمّا صرت إلى هذا الموضع[3] : [من الطويل]

يُجرِّد فينا السيفَ من بين مارقٍ وعـــانٍ بُجُـــودٌ كلّهم متحامل[4]

قالوا : فلمّا سمع الجلساء هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابيّ وافتضح ، فلمّا

1 الشرة : النشاط .
2 تقتحمه العين : تتخطّاه لضعف شأنه .
3 شعر منصور النمري : 113 .
4 العاني : الأسير . بجود : جمع بجد ، الجماعة من الناس .

قلت : [من الطويل]

وقد علم العُدوانُ والجورُ والخنا بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايِلُ[1]
ولو عِلموا فينا بأمرك لم يكن يَنال بريّاً بالأذى متناولُ
لنا منكَ أرحام ونعتدُّ طاعةً وبأساً إذا اصطكّ القنا والقنابلُ[2]
وما يَحفظ الأنسابَ مثلَك حافظٌ ولا يصِلُ الأرحامَ مثلَك واصلُ
جعلناك ، فامنعنا ، مَعاذاً ومفزَعاً لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ
وأنت إذا عاذت بوجهك عُوَّذ تَطامنَ خوفٌ واستقرّت بَلابِلُ

فقال الجلساء : أحسَنَ والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرفَع السيف عن ربيعة ويُحسن إليهم .

[النمريّ ينشد الرشيد وعنده الكسائي]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليُّ بن الحسن بن عبيدٍ البكريُّ ، قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ عن المفضل قال : كنّا عند الرشيد وعنده الكسائيّ ، فدخل إليه منصورٌ النمريّ ، فقال له الرشيد : أنشِدني . فأنشده قوله : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّي ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجَع

فتحرّك الرشيد ، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

ما كنت أوفي شبابي كُنهَ عِزّته حتى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبعُ

فطرب الرشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، وصدقتَ ، لا والله لا يتهنَّأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب ؛ وأمر له بجائزة سنيّة .

[تهكم الشعراء بالنمريّ لامتناعه عن الشرب]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان السلميّ ، قال : حدّثني أحمد بن سنان البيسانيّ ، وأخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا مسعود بن عيسى ، عن موسى بن عبد الله التميمي : أنّ جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمريّ ، وكانوا على نبيذٍ ، فأبى منصور أن يشرب معهم ؛ فقالوا له : إنّما تعاف الشربَ لأنّك رافضي ، وتسمع وتُصْغي إلى الغناء ، وليس تركك النبيذ من ورعٍ . فقال منصور : [من الطويل]

---

1 عياف : شديد الكراهية . مزايل : مفارق .
2 القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الناس والخيل .

صوت[1]

خَلا بـين نَدمانيّ موضعُ مجلِسِي ولم يَبقَ عنـدي للوِصال نصيبُ
وَرُدَّت على الساقي تفيض وربَّما رَددتُ عليه الكاسَ وهـي سليبُ
وأيُّ امرىء لا يستَهِشُّ إذا جرت عليـه بَنـانٌ كفُّهـنّ خضيبُ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ ، مطلق في مجرى البنصر . ومن الناس من ينسبه إلى مخارق ، هكذا في الخبر .

[قصيدة للعتابيّ يشكو إلى النمري تغيّر حاله]

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرِّد ، قال : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمريّ قوله : [من الطويل]

تَقَضّتْ لُبانـاتٌ ولاح مشيبَ وأشفى على شمسِ النّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرّمت غَواية قلـبٍ كانَ وهـو طروبُ
[خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبـق عندي للمزاح نصيبُ]
ورُدّت على الساقـي تفيض وربَّما رددتُ عليه الكأس وهي سليبُ[2]
وممّـا يَهيـج الشّوق لي فيَرُدّه خفيفٌ على أيدي القِيان صَخوبُ
عَطَوْنَ بـهِ حتّى جرى في أديمه أصابيـغ في لبّاتهـنّ وطيبُ

[جواب النمري]

فأجابه النمري وقال[3] : [من الطويل]

أوحشَة نَدَمانيك تبكـي فربَّمـا تلاقيهمـا والحِلم عنـك عَزُوبُ
ترى خَلَفاً مـن كلِّ نَيْلٍ وثروةٍ سمـاعَ قيـان عودهـنّ قريبُ
يغنيك يـا بنتي فتستصحب النُّهى وتحتـازك الآفـاتُ حِين أغيبُ
وإنّ امـرءاً أودى السماعُ بلُبِّـه لعُريانُ مـن ثَوب الفلاح سليبُ

[مديحه يزيد بن مزيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن

---

1 شعر منصور النمري : 69 .
2 سليب : فارغة .
3 شعر منصور النمري : 68 .

جشم العبديّ أبو مسعر ، قال : أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة ، فقال : اسمع منّي جُعِلت فِداك . فأنشده قصيدةً له ، يقول فيها[1] : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حَسَبٍ ... سوى يزيدَ لفاتوا الناس في الحسبِ
تأوي المكارم من بكر إلى مَلِكٍ ... من آل شيبانَ يَحويهنّ من كَثَبِ
أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم ... في منبت النَّبع لا في منبت الغَرَبِ[2]
إنّ أبا خالد لما جرى وجرت ... خيلُ الندى أحرَزَ الأُولى من القَصَبِ
لما تلغَّبهنَّ الجريُ قدَّمَه ... عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشَبِ[3]
إنّ الذين اغتَزَوا بالحُرّ غرّته ... كمغتزِي الليث في عِرِّيسهِ الأشبِ[4]
ضرباً دِراكاً وشَدّاتٍ على عَنَقٍ ... كأنّ إيقاعها النِّيرانُ في الحطبِ[5]
لا تقرَبنّ يزيداً عند صولته ... لكِنْ إذا ما احتبى للجُود فاقتربِ

فقال يزيد : والله ما أصبح في بيت مالي شيء أعرفه ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته . فجاءه بمائة دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذٍ غيرها .

[تحسر منصور على شبابه]

وقد أخبرني عمّي بهذا الخبر ، قال : حدّثني محمد بن علي بن حمزة العلوي ، قال : حدّثني عمّي عن جدي ، قال : قال لي منصور النمريّ : كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرٍو التغلبي ، وقد وَخَطني الشيب يومئذٍ ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن ، فإذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت ، وقلت فيها : [من البسيط]

لّما رأيتِ سَوامَ الشيبِ منتشِرا ... في لِمّتي وعبيدَ الله لم يشبِ
سَللتِ سهمين من عينيكِ فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطربِ[6]
كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ

1 شعر منصور النمري : 72–74 .
2 الغرَب : نوع من الشجر .
3 تلغبهن : أصابهن اللغوب ، التعب . العتق : الكرم غير مؤتشب : غير مختلط .
4 المغتزي : القاصد . العريس : مأوى الأسد . الأشب : الشجر الملتفّ .
5 دراك : متلاحق . العنق : سير السريع .
6 سبيبة : خصلة من الشعر .

لا أنتِ أصبحت تعتدِّيننا أربــاً ولا وعيشِك ما أصبحتِ من أربي

إحدى وخمسين قد أنضيت جِدّتها تحول بيني وبين اللهــو واللعبِ[1]

لا تَحسِبنِّي وإن أغضيتُ عن بصري غفَلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبٍ سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسَبِ

لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بني مطرٍ إذا أسلِمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ

الجود أخشَنُ لمساً يا بنــي مطر من أن تَبُزَّكُموهُ كـفٌّ مستلِبِ

ما أعرفَ الناسَ أنّ الجُود مَدفَعةٌ للذمِّ لكنّه يأتــي على النشبِ[2]

قال : فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم .

حدّثني عمّي ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله التميميّ الحزنبل ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان الموصلي ، قال حدّثني ابن أبي رَوْق الهمدانيّ ، قال : قال لي منصور النمريّ : دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً ، فوجدته نشيطاً طيّب النفس ، فرمتُ شيئاً فما جاءني ، ونظر إليّ مستنطقاً ، فقلت[3] : [من الوافر]

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ أميرَ المؤمنــين تَجِـدْ مقالا

وعُــذْ بفِنائــه واجنَـحْ إليه تَنَلْ عُرْفــاً ولم تُذْلِلْ سؤالا

فِنــاءٌ لا تــزال بـــه رِكابٌ وضَعن مدائحــاً وحَمَلن مالا

فقال : والله لئن قصّرت القول لقد أطلتَ المعنى . وأمر لي بصلةٍ سنيّة .

صوت

[من الطويل]

طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمّلوا بِبُرقةِ أُحــواذ وأنت طروبُ[4]

فبِتُّ أُسَقَّاها سُلافــاً مُدامةً لهــا في عظامِ الشَّاربين دبيبُ

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي ، والغناء لعلّويه ، رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وفيه لسليم خفيف رملٍ ، مطلقٌ في مجرى الوسطى .

1 أنضيت : أخلقت .

2 النشب : المال .

3 شعر منصور النمري : 117 .

4 برقة أحواذ : موضع .

[241] ـ نسب عبد الله بن الحجّاج وأخباره[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، فلمّا قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزُّبير ، فكان معه إلى أن قُتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكّراً ، واحتال عليه حتى أمّنه .

وأخباره تُذكر في ذلك وغيره هاهنا .

أخبرني بخبره في تنقّله من عسكرٍ إلى عسكر ، ثم استئمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرّقاً فابتدأتُ بأسانيدهم ، وجمعتُ خبره من روايتهم .

[الصعلوك المسرع إلى الفتن]

فأخبرنا الحِرْميّ ابن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكارٍ ، قال : حدّثني اليزيديّ أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه ، قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي ؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيُّ ، قال : حدّثنا محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدّثنا محمد بن كُناسة ؛ وأخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتَبيل ؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ ، قالوا : كان عبد الله بن الحجّاج الثعلبيّ شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب ، وكان متسرّعاً إلى الفتن ، فكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلمّا ظفر به عبدُ الملك هرب إلى ابن الزُّبير ، فكان معه حتى قُتل ، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلِّم فيه فأمّنه .

[تحايله في الدخول على عبد الملك]

هذه رواية ثعلب ، وقال العنزيُّ وابن أبي سعد في روايتهما : لمّا قُتل عبد الله بن الزُّبير ، وكان عبد الله بن الحجّاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو

---

1 لعبد الله بن الحجاج الثعلبيّ أبو الأقرع ترجمة في تهذيب ابن عساكر 7 : 348 والمحبر : 213 وأعلام الزركلي . وهو غير عبد الله بن الحجاج بن عبد الله بن كلثوم الباهليّ الأصم الذي هاجى الفرزدق .

يطعم الناس ، فدخل حجرةً ، فقال له : ما لكَ يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحِلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إنّي فيه أذنتُ للناس جميعاً . قال : لم أعلم فآكل بأمرك . قال : كلْ . فأكل ، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله ، فلمّا أكل الناس وجلس عبدُ الملك في مجلسه ، وجلس خواصُّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، جاء عبد الله بن الحجّاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده : [من الكامل]

أبلِغْ أميرَ المؤمنين فإنّني ... ممّا لقيتُ مِن الحوادثِ موجَعُ

مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هارباً ... جيشٌ يَجُرُّ ومِقْنَبٌ يتلمّعُ[1]

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أُمَّ لك ، لولا أنّك مُريبٌ ! فقال عبد الله :

إنّ البلادَ علي وهْي عريضةٌ ... وعُرَت مذاهبُها وسُدّ المطلعُ

فقال له عبد الملك : ذلك بما كَسَبَتْ يداك . وما الله بظلاّمٍ للعبيد . فقال عبدالله : [من الكامل]

كنّا تَنَحّلْنا البصائرَ مَرّةً ... وإليك إذ عمي البصائرُ نرجعُ

إنّ الذي يَعْصِيك منّا بعدها ... مِن دينه وحياته متودِّعُ

آتي رِضاك ولا أعودُ لمثلها ... وأطيعُ أمرَك ما أمرتَ وأسمعُ

أعطي نصيحتي الخليفة ناخِعاً ... وخزامةَ الأنف المقودِ فأتبعُ[2]

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبلُه منك إلاّ بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عُرِفَت الحَوبة قبلنا الثوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئتَ بني سعيد وطأةً ... وابنَ الزُّبير فعرشه متضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله الحمد والمِنّة على ذلك . فقال عبد الله : [من الكامل]

ما زلتَ تضربُ مَنكباً عن منكبٍ ... تعلو ويسفل غيركم ما يُرفعُ

ووَطِئتم في الحرب حتى أصبحوا ... حدثاً يكُوس وغابراً يتجعجعُ[3]

فحوى خلافَتَهم ولم يظلم بها ... القرمُ قرمُ بني قصيٍّ الأنزعُ[4]

---

1 المقنب : فرقة من الخيل ما بين ثلاثين إلى أربعين أو ثلاثمائة .

2 ناخعاً : مخلصاً . الخزامة : حلقة توضع في أنف البعير .

3 يكوس : من كاس البعير إذا مشى على ثلاث بعدما ضرب عرقوبه . يتجعجع : يضرب بنفسه الأرض من الوجع .

4 الأنزع : الذي انحسر شعر رأسه من أعلى الجبين .

لا يستوي خـاوي نجـوم أُفَّلٍ والبـدرُ منبلجـاً إذا مـا يطلعُ[1]
وُضعَتْ أميّـةُ واسطـين لقومهم ووُضِعتَ وسطَهُم فنعـم الموضعُ
بيتٌ أبـو العاصي بنـاه بربـوةٍ عالي المشارف عـزُّه مـا يُدفعُ

فقال له عبد الملك : إنّ توريتك عن نفسك لتُريبني ، فأيُّ الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال : [من الكامل]

حَرَبَـتْ أُصَيْبِيَتي يـدٌ أرسلتها وإليك بعد مَعادِهـا ما ترجعُ
وأرى الذي يرجـو تُـراثَ محمدٍ أفَلَتْ نجومهـم ونجمُك يسطعُ

فقال عبد الملك : ذلك جزاءُ أعداء الله . فقال عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

فـانعش أُصَيْبِيَتـي الأُلاء كأنّهم حَجَـلٌ تـدرَّجُ بالشربّـة جُوَّعُ

فقال عبد الملك : لا أنعَشَهُمُ اللهُ ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقى وليداً من نسلهم ، فإنّهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع . فقال عبد الله : [من الكامل]

مـالٌ لهـم ممّـا يُضَنُّ جمعتُـه يـومَ القليب فَحيزَ عنهـم أجمعُ

فقال له عبد الملك : لعلّك أخذتَه من غير حِلّه ، وأنفقته في غير حقّه ، وأرصدت به لُمشاقة[2] أولياء الله ، وأعددته لمعاونة أعدائه ، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصية الله . فقال عبد الله : [من الكامل]

أدنـو لِتَرْحَمنـي وتجبرَ فاقتـي فـأراك تدفَعُني فأيـن المدفعُ

فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار ، فمَن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بنُ الحجاج الثعلبيّ ، وقد وطئتُ دارَكَ وأكلتُ طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنتَ بما عليك في هذا عارف . ثم عاد إلى إنشاده ، فقال : [من الكامل]

ضاقت ثيـابُ المُلبِسين وفضلُهم عنّـي فألبِسْنـي فثوبُـك أوسعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف به ، ثم قال له عبد الملك : أَوْلى لك والله ، لقد طاولتُك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلدِ ، وانصرف آمناً ، قُم حيث شئت .

قال اليزيدي في خبره : قال عبد الله بن الحجّاج : ما زلتُ أتعرّف منه كلّ ما أكره حتى

---

1 الخاوي من النجوم : الذي لا مطر معه .

2 المشاقة : المعاداة والمحاربة .

أنشدته قولي : [من الكامل]

ضاقت ثيابُ الملبِسين وفضلُهم عنّي فألبِسني فثوبُك أوسعُ

فرمى عبد الملك مُطرفه ، وقال : البسه ، فلبستُه .

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتى شبع ، ثم قال : أمِنتُ وربِّ الكعبة ؟ فقال : كن من شئتَ إلاّ عبد الله بن الحجّاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست ثيابك ، فأيُّ خوفٍ عليَّ بعد ذلك ، فأمضى له الأمان .

[لجأ إلى أحيح بن خالد ثم هجاه]

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان عبد الله بن الحجّاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ الشاري ، فلمّا انقضى أمرُهُ هرب ، وضاقت عليه الأرض من شدّة الطلب ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأيت بـلادَ اللهِ وهْيَ عريضةٌ على الخائفِ المطرودِ كِفّةَ حابِلِ[1]

تـؤدِّي إليـه أن كلّ ثَنِيَّـة تيمَّمَهـا ترمـي إليـه بقاتلِ

قال : ثم لجأ إلى أُحَيْح بنِ خالد بن عُقبة بن أبي مُعيطٍ ، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه بالشُّرَط ، فأُخِذ من دار أحيح ، فأُتِي به الوليد فحبسه ، فقال وهو في الحبس : [من الوافر]

أقول وذاك فرطُ الشوقِ منّي لعينـي إذ نأت ظمياءُ فِيضي[2]

فمـا للقلـب صبرٌ يوم بانت ومـا للدمع يُسفَح مـن مَغيضِ

كـأن مُعَتَّقـاً مـن أذرِعات بمـاء سحابة خَصِرٍ فضيضِ[3]

بِفيهـا ، إذ تخافِتُنـي حياءً بسرٍّ لا تبـوح بـه خفيضِ

يقول فيها :

فـإن يُعْرِضْ أبو العبّاسِ عنّـي ويركبْ بي عَروضاً عن عَروضِ

ويجعـلْ عُرْفَـه يومـاً لِغيري ويُبْغضني فإنّـي مِـن بغِيضِ

فإنِّي ذو غِنًـى وكريـمُ قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريضِ

---

1 كفة حابل : مصيدة صائد .

2 ظمياء هنا : اسم امرأة .

3 معتق : صفة الشراب . أذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . فضيض : متفرق .

غلبتَ بني أبي العاصي سَماحاً ... وفي الحرب المذكَّرة العضوضِ[1]
خرجتَ عليهمُ في كلّ يومٍ ... خروجَ القِدْح من كفّ المُفيضِ[2]
فِدًى لك مَنْ إذا ما جئتُ يوما ... تلقّاني بجامعة رَبوضِ[3]
على جنب الخُوان وذاك لؤمٌ ... وبئست تُحفَة الشيخ المريضِ
كأنّي إذْ فزِعتُ إلى أُحَيْحٍ ... فزعتُ إلى مُقَوْقِيةٍ بَيُوضِ
إوزةِ غَيضةٍ لقِحت كِشافاً ... لِقُحْقُحِها إذا درجت نقيضُ[4]

قال : فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إنّ عبد الله بن الحجّاج قد هجاك . قال : بماذا ؟ فأنشده قوله : [من الوافر]

فإن يُعرضْ أبو العباس عنّي ... ويركبْ بي عَروضاً عن عروضِ
ويجعلْ عُرْفَه يوماً لغيري ... ويُبْغضْني فإنّي من بغيضِ

فقال الوليد : وأيُّ هجاءٍ هذا ؟ هو من بغيض إن أعرضتُ عنه ، أو أقبلت عليه ، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأنّي إذ فزعتُ إلى أُحيحٍ ... فَزِعت إلى مُقوقيةٍ بيوضِ

فضحك الوليد ، ثم قال : ما أراهُ هجا غيرك . فلمّا خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجّاج ، فأُطلِق . وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه .

[هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين]

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة . وحدّثني يعقوب بن القاسم الطلحي ، قال : حدّثني غير واحد ، منهم عبد الرحمن بن محمد الطَّلحي ، قال : حدّثني أحمد بن معاوية ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث . قال أبو زيدٍ[5] : وفي حديث بعضِهم ما ليس في حديث الآخر ، وقد ألّفتُ ذلك ، قال : كان كَثِيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغُصّة بن يزيد بن شدّاد بن قَنان بن سلمة بن

1 المذكرة العضوض : الشديدة .
2 المفيض : الضارب بقداح الميسر .
3 الجامعة : الغل . والربوض : الثقيلة .
4 الكشاف : أن تلقح حين تبيض . القحقح : العظم المحيط بالدبر . نقيض : صوت . وفي البيت إقواء .
5 أبو زيد : عمر بن شبة .

وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب ، على ثغر الرَّيّ ، ولاّه إيّاه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبدُ الله بنُ الحجّاج معه ، فأغار الناس على الدّيلم ، فأصاب عبدُ الله بن الحجّاج رجلاً منهم ، فأخذ سَلَبَهُ ، فانتزعه منه كَثِير ، وأمر بضربه ، فضُرب مائة سوطٍ ، وحُبس ، فقال عبد الله في ذلك ، وهو محبوس : [من الطويل]

تسائِلُ سلمى عن أبيها صِحابَه ... وقد علِقَتْه من كَثيرٍ حبائلُ
فلا تسألي عنّي الرفاقَ فإنّه ... بأبهَرَ لا غازٍ ولا هو قافِلُ[1]
ألستُ ضربت الدَّيلميَّ أمامَهم ... فجدَّلتُه فيه سِنانٌ وعاملُ[2]

فمكث في الحبس مدّةً ، ثم أُخلِيَ سبيلُه ، فقال : [من الطويل]

سأترك ثغر الريّ ما كنت واليا ... عليهِ لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أُدْرِك بثأري وأَتَّئِرْ ... فلا تدعني للصِّيدِ من غطفانِ
تمنَّيتَني يا ابنَ الحصينِ سَفاهةً ... وما لك بي يا ابن الحصينِ يدانِ
فإنّي زعيمٌ أنْ أجَلِّلَ عاجلاً ... بسيفي كِفاحاً هامةَ ابنِ قَنانِ

[انتقامه من كثير]

قال : فلمّا عُزِل كثيرٌ وقدم الكوفة كَمِنَ له عبد الله بن الحجّاج في سوق التَّمّارين ، وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان كَثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّث المغيرة ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال ، وخرج من عنده مُمْسِياً يريد داره ، فضربه عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتَّم مقاديم أسنانه كلَّها ، وقال في ذلك : [من الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ قَيْساً وخندفَ أنّني ... ضربتُ كثيراً مضرِب الظَّربانِ[3]
فأُقسِمُ لا تَنْفَكُّ ضربةُ وجهِه ... تُذِل وتُخْزِي الدَّهرَ كلَّ يَمانِ
فإن تَلقني تلقَ امرءاً قد لقيته ... سريعاً إلى الهيجاء غير جبانِ
وتلقَ امرءاً لم تلق أمُّك بِرَّه ... على سابح غَوْجِ اللَّبانِ حِصانِ[4]

---

1 أبهر : بلدة في فارس .

2 جدّله : صرعه . العامل : صدر الرمح .

3 الظربان : حيوان صغير كريه الرائحة . وقوله «مضرب الظربان» يعني أنه ضربه في وجهه فخطّه مثلما للظربان خط (اللسان) .

4 غوج البنان : واسع الصدر .

وحوليَ من قيسٍ وخندِفَ عصبةٌ كـرامٌ عـلى البأْساء والحدثانِ
وإن تك للسِّنْخِ الذي غَصَّ بالحصى فإنِّي لِقَـرمٍ يـا كثيرُ هِجانِ[1]
أنا ابن بنـي قيس عليّ تعطفت بغيضُ بن ريثٍ بعدَ آل دجانِ

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

مـن مبلغ قيساً وخنـدف أنّني أدركت مَظلِمَتي من ابن شهابِ
أدركتُـه أجـري على مَحْبُـوكةٍ سُرُح الجـراء طويلةِ الأقرابِ[2]
جـرداءَ سُرحـوبٍ كأنّ هُويَّهـا تعلُـو بجُؤْجُئِهـا هُـوِيُّ عُقابِ[3]
خُضتُ الظلام وقد بدت لي عورةٌ منـه فأضربـه عـلى الأنيـابِ
فتركتُـه يكبـو لِفيـهِ وأنفِـهِ ذَهِـلَ الجَنان مضرَّجَ الأثوابِ
هـلا خشيتَ وأنت عـادٍ ظالمٌ بقصور أبْهَـرَ نُصرتـي وعقابي
إذ تستحِلُّ ، وكان ذاك مُحَرَّمـاً جَلْـدي وتَنزِعُ ظالمـا أثوابي
مـا ضرّه والحُـرُّ يطلـب وتره بـأشمَّ لا رعشٍ ولا قبقـابِ[4]

[انتصار معاوية لعبد الله بن الحجّاج]

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية : إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيتَ أن تُقِيدنا من أسماء بن خارجة . فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء . وحبس عبد الله بن الحجّاج ، وكتب إليهم : «إنّ القودَ ممن لم يجنِ محظورٌ ، والجاني محبوسٌ ، حبسته فليقتصَّ منه المجنيُّ عليه» . فقال كثير بن شهابٍ : لا أستقيدها إلاّ من سيد مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّد مضر فليستقدها منّي ، وأمَّن عبد الله بن الحجّاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخذ له عقلاً .

[عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج]

قال أبو زيد : وقال خلاّدٌ الأرقط في حديثه : إن عبد الله بن الحجاج لمّا ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالريّ ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بي ،

---

1 السنخ : الأصل . القرم : السيد الشجاع . الهجان : الرجل الحسيب .
2 محبوكة : فرس قوية . سرح الجراء : سريعة في جريها . الأقراب : جمع قرب ، الخاصرة .
3 السرحوب : الفرس الطويلة . هوي عقاب : في سرعة العقاب في انقضاضه .
4 الرعش : المضطرب . القبقاب : الكذاب أو المهذار ، وفي ل : هياب .

ولم أكن لأكتمك نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنّك . فقال له : أنا أقتصُّ من مثلك ! والله لا أرضى بالقِصاص إلاّ من أسماء بن خارجة ؛ وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة ، فكتب معاوية إلى المغيرة : أن أحضِر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتصّ كثير أو يعفو . فأحضرهما المغيرة ، فقال : قد عفوت ؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . قال : وقال لي : يا أبا الأقيرع ، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان ، وقد عفوتُ عنك .

[حراث ينبش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي ، قال : كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَين ، والثاني جُندَب ، فمات جندب وعبدُ الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمرّ أخوه عوير بحرّاثٍ إلى جانب قبر جندب ، فنهاه أن يقربه بفدّانه ، وحذّره ذلك ، فلمّا كان الغد وجده قد حرث جانبه ، وقد نبشه وأضرَّ به ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه . وقال : [من الطويل]

أقــول لحرّاثــي حريمـي جنّبا فَدانَيْكمـا لا تُحرثا قبر جندبِ
فإنّكمـــا إن تحرثـــاه تُشَرّدا ويذهبْ فَدانٌ منكما كلَّ مذهبِ

[عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه]

قال : فأخذ عوين ، فاعتقله السجّان ، فضربه حتى شغله بنفسه ، ثم هرب ، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه ، وأمر بألاّ يتعقَّب ، فقال عبد الله بن الحجاج ، يذكر ما كان من ابنه عوين : [من الوافر]

لَمثلُكَ يـا عوينُ فدتك نفسي نجا مــن كُرْبَــةٍ إن كان ناجي
عَرَفتك من مُصاصِ السِّنْخِ لما تركت ابن العُكامِسِ في العجاجِ

[يستعطف عبد الملك]

قال : ولّما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه ، فأنشده : [من الرجز]

يا ابن أبي العاصي ويا خير فَتى أنت النجيبُ والخيـارُ المصطفى
أنت الذي لم تــدَعِ الأمرَ سُدى حـين كشفتَ الظّلماتِ بالهدى
مـا زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى قَضَيتَـــه إن القضاء قــد مضى
كما أذقتَ ابــن سعيــدٍ إذ عصى وابــنَ الزُّبير إذ تسمَّــى وطغى

وأنتَ إن عُـدَّ قديـم وبِنـى ... من عبد شمس في الشَّماريخ العُلى
جِيبت قريشٌ عنكمُ جَوبَ الرَّحى ... هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى[1]
أهْـوى على مَهـواةِ بِئرٍ فهَوى ... رَمـى بـه جُولٌ إلى جُول الرجا[2]
فتجبرَ اليومَ بـه شيخـاً ذَوى ... يعوِي مع الذئب إذا الذئبُ عوى
وإن أراد النـومَ لم يَقضِ الكرى ... من هَولِ مـا لاقى وأهوال الردى
يشكرُ ذاك مـا نفَت عينٌ قذى ... نفسي وآبائـي لـك اليـوم الفِدا

فأمر عبد الملك بتحمُّل ما يلزم ابنه من غُرم وعَقل، وأمّنه.

[عند عبد العزيز بن مروان]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ، قال: وفد عبد الله بن الحجّاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل، فلمّا طال مقامُه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبدُ الله لما أضرَّ به ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه: [من الطويل]

تركـت ابن ليلى ضَلَّـةً وحَريمَه ... وعند ابـنِ ليـلى معقِـل ومُعَوَّلُ
ألم يَهـدِني أنَّ المُراغَـم واسعٌ ... وأنّ الديـار بالمقيـمِ تَنَقَّـلُ[3]
سأحكم أمري إن بدا لي رشدُه ... وأختار أهلَ الخيرِ إن كنتُ أعقلُ
وأترك أوطاري وألحـقُ بامرىء ... تَحَلَّبُ كفاه النَّدى حـين يسألُ
أبت لك يـا عبدَ العزيزِ مآثرٌ ... وجَريٌ شأى جـرْيَ الجياد وأوّلُ
أبى لك إذْ أكدَوْا وقلَّ عطاؤُهم ... مواهـبُ فَيّـاض ومجـدٌ مؤثَّلُ
أبوك الذي يَنْميك مـروانُ للعلى ... وسعدُ الفتى بالخال لا من يُخوَّلُ

فقال له عبد العزيز: أمّا إذْ عرفت موضع خطئك، واعترفتَ به فقد صفحتُ عنك. وأمر بإطلاق عطائه، ووَصَلَه، وقال له: أقِم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

---

1 جوى الرحى: أي خرقت كالرحى، فهم قطبها وغيرهم يدور حولها.
2 الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.
3 المراغم: المهرب.

[ظلمه عمر بن هبيرة فاستعان بقومه]

ونسخت من كتابه أيضاً : كان عمر بن هبيرة بن معيَّة بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجّاج حقّاً له ، واستعان عليه بقومه ، فلَقُوه في بعلبك ، فعاونوا عبد الله بن الحجّاج عليه ، وفرّقوه[1] بالسياط حتى انتزعوا حقَّه منه ، فقال عبد الله في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلِغْ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بُسَيْطةُ فالمعاطُ[2]
أميطُوا عنكم ضرطَ ابن ضرطٍ فإنّ الخبثَ مِثلهم يُماطُ
ولي حقٌّ فَراطةُ أوّلينا قديماً والحقوق لها افتراطُ[3]
فما زالت مباسطتي ومَجدي وما زال التهايطُ والمِياطُ[4]
وجدّي بالسياط عليك حتى تُركتَ وفي ذُنابَاكَ انبساطُ
متى ما تعترِضْ يوماً لحقّي تلاقِك دونَه سُعْر سباطُ[5]
من الحيَّين ثعلبةَ بن سعدٍ ومرّةَ أخذُ جمعِهِم اعتباطُ[6]
تراهم في البيوت وهُم كسالى وفي الهيجا إذا هِيجوا نِشاطُ

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجّاج أوّلها : [من الطويل]

نَأَتْكَ ولم تَخشَ الفِراقَ جَنوبُ وشطَّت نَوًى بالظاعنين شَعوبُ[7]
طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمَّلوا بِبُرقَةِ أحوازٍ وأنتَ طروبُ
فظَلْتُ كأنّي ساورتني مُدامةٌ تمنّى بها شَكْسُ الطِّباعِ أريبُ
تُمِرُّ وتستحلي على ذاك شَرْبُها لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيبُ
تذكرت ذكرى من جنوبَ مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيبُ
وأنّى ترجّي الوصلَ منها وقد نأت وتَبخلُ بالموجودِ وَهْيَ قريبُ
فما فوقَ وجدي إذ نأتْ وَجْدُ واجدٍ من الناس لو كانت بذاك تثيبُ

---

1 في ل : وقنّعوه .
2 البسيطة ومعاط : موضعان .
3 الفراطة : السابقة . افتراط : يخاف فوتها .
4 التهابط والمياط : الدنو والتباعد .
5 سعر في ل : سمر . والسعر : القليلة اللحم . سباط : طوال .
6 الاعتباط : القاء الرجل نفسه في الحرب غير مكره .
7 شعوب : مفرقة .

بَرهرهــةٌ خَــود كأنَّ ثيابهـــا على الشَّمس تبــدو تارةً وتغيبُ[1]

وهي قصيدةٌ طويلة .

[الحجاج يطلب إيفاد عبد الله بن الحجاج إليه لقتله]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ ، قال : كتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفُه آثار عبد الله بن الحجّاج ، وبلاءه من محاربته ، وأنّه بلغه أنّه أمَّنه ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولَّى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجّاج ، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ، ثم أنشده : [من الطويل]

أعــوذُ بثوبَيْك اللذَيْــنِ ارتداهما كريمُ الثَّنا مِن جَيبه المسكُ ينفحُ

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلي وإن كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك : ما صنعْتَ شيئاً . فقال عبدُ الله : [من الطويل]

لأنــتَ وخيرُ الظّافريــن كرامُهمْ عن المذنب الخاشي العقابَ صَفُوحُ

ولو زَلِقَتْ مــن قبلِ عفوك نعلُه ترامى بــه دَحْض المَقــام بريحُ[2]

نمى بك إن خانت رجالاً عُرُوقهم أُرُومٌ ودِيــنٌ لم يَخُنْكَ صحيحُ

وَعَرْفٌ سَرى لم يَسرِ في الناس مثلُه وشأوٌ على شأو الرجــال مَتوحُ[3]

تدارَكَني عفْــو ابن مروانَ بعدما جَرى لي مــن بعــد الحياة سنيحُ

رفعــتُ مريحــاً ناظريَّ ولم أكد من الهمِّ والكرب الشديــد أريحُ

[عبد الملك يمنع الحجّاج من التعرّض له]

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج : إنّي قد عرفت من خُبثِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني عِلماً بـه ، إلاّ أنّه اغتفلني متنكِّراً ، فدخل دارِي ، وتحرّم بطعامي ، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حَظَر عليَّ دَمَه ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمراً ، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شرّه ، فإنْ شَكَرَ النعمة واقام على الطاعة فلا سبيلَ عليه ، وإن كفر ما أُوتِي[4] وشاقَّ اللهَ ورسوله وأولياءه فاللهُ قاتِلُه بسيف البغي الذي قتل به نظراؤهُ ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه ، من الملحدين ، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتِه إلاّ بخيرٍ ، والسلام .

---

1 برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . الخود : الحسنة الشابة .

2 الدحض : الزلق . البريح : المتعب .

3 الشأو : السبق والغاية . متوح : بعيد .

4 ل : أولي .

[الوليد يأمر عبد الله بمنازلة رجل في بركة ماء]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرٍو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ ، قال : كانت في القريتين بركةٌ من ماء ، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكنة ، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلاّ غطّه حتى يغلبه ، فغطّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً ، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ : اللهم اصببْ علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجّاج . فكان أوّل رجلٍ انحدرت به راحلته ، فأناخها ونزل . فقال ابن هبيرة للوليد : هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين ، أيّهما أخزى الله صاحبه به . فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرّضٌ للناس وقد صدّوا عنه . فقال له : يا أمير المؤمنين إنّي أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلاّ بقتله ، أو أقتله فلا يرضى قومه إلاّ بمثل ذلك ، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال . فقال دعكنة : يا أمير المؤمنين هو في حِلٍّ وأنا في حلٍّ . فقال له الوليد : دونك . فتكأكأ[1] ساعةً كالكارِه حتى عزم عليه الوليد ، فدخل البركة ، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها ، ولزمه حتى وجد الموت ، ثم خَلّى عنه ، فلمّا علا غطّه غطّةً ثانية ، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّح ، ثم أعاده وأمسكه حتى مات ، وخرج ابنُ الحجّاج وبقي الكلبيُّ ، فغضب الوليد وهمَّ به ، فكلّمه يزيد وقال : أنت أكرهته ، أفكان يُمكّنُ الكلبيَّ من نفسه حتى يقتله ؟ فكفّ عنه . فقال عبد الله بن الحجّاج في ذلك : [من البسيط]

نجّاني اللهُ فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صُلبةُ العودِ
وذِمَّة مِن يزيدٍ حالَ جانبُها ... دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهودِ
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي ... كان السليمَ وكنت الهالكَ المودي

صوت

[من البسيط]

يا حَبَّذا عملُ الشيطان من عمل ... إنْ كان من عمل الشيطان حُبِّيها
لَنظرةٌ من سليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثُومة الكلابيّ ، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعيُّ ، قال : أنشدنا الرياشيُّ قال : أنشدنا ناهضُ بن ثومة أبو العطاف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه . وأخبرني بمثل ذلك عمّي عن الكُرانيّ عن الرياشي . والغناءُ لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوسطى .

1 تكأكأ : تراجع وجبن .

[242] ـ أخبار ناهض بن ثومة ونسبه[1]

[نسبه]

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نَهِيكِ بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أُنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدويٌّ فارس فصيح ، من الشعراء في الدولة العبّاسية ، وكان يقدم البصرة فيُكتَبُ عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي ، وأبو سراقة ، ودَماذ وغيرهم من رواة البصرة . وكان يهجوه[2] رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ ، يقال له : نافع بن أشعر الحارثيُّ ، فأبرَّ عليه ناهض . فممّا قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ ، قصيدة ناهضٍ التي أوّلها : [من الطويل]

ألا يــا أسلما يــا أيُّها الطللانِ ... وهــلْ سالمٌ بــاقٍ عـلى الحدَثانِ
أبينا لنــا ، حُيِّيتُما اليــومَ ، إنّنا ... مبينان عــن مَيْــلٍ بمــا تَسَلانِ
متى العهدُ مِنْ سلمى التي بتّت القُوى ... وأسمــاءَ إن العهــد منـذ زمانِ
ولا زال ينهــلُّ الغمــامُ عليكما ... سبيلَ الرّبى مــن وابلٍ ودِجانِ
فـإن أنتمــا بيَّنتمــا أو أجبتما ... فــلا زلتمــا بالنبتِ ترتديانِ
وجُــرَّ الحريــرُ والفِرندُ عليكما ... بأذيالِ رَخْصاتِ الأكُفِّ هِجانِ[3]
نظرت ودوني قِيــدُ رمحين نظرةً ... بعينــين إنساناهمــا غرِقــانِ
إلى ظُعُــنٍ بالعاقِرَيــن كأنّها ... قرائنُ مــن دوحِ الكثيبِ ثمانِ[4]
لسلمى وأسمــاءَ اللتــين أُكَنّتــا ... بقلبي كنينَــيْ لوعــةٍ وضمانِ[5]
عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويل تدانياً ... ويــا ربَّ هجــرٍ معقب بتداني
خليليَّ قــد أكثرتما اللومَ فاربَعا ... كَفانيَ ما بي لــو تُركتُ كفاني[6]

---

1 لناهض بن تومة ترجمة في أعلام الزركلي ، وانظر كتاب الحيوان 7 : 112 وتاج العروس 5 : 96 .
2 ل : يهاجيه .
3 الفرند : ضرب من الثياب . الهجان : البيض أو النساء الكريمات الحسب .
4 العاقران : أرضان في وادي العقيق . قرائن : متماثلات .
5 كنيني : مثنى كنين ، أي مكنون .
6 اربعا : أمسكا .

إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصِّبا بحبليهما حَبْلي فمن تصلانِ

فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ومَعواه من نَجرانَ حيث عواني

عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه مقيماً بِلوذيْ يَذْبُلٍ وذقانِ[1]

لعمري لقد قال ابنُ أشعَرَ نافعٌ مقالةَ موطوءِ الحريم مهانِ[2]

أيزعم أنّ العامريّ لفعله بِعاقِبةٍ يُرمى به الرجوانِ[3]

ويذكر إن لاقاه زلّةَ نعلهِ فجيءُ الذي لم يستبن ببيانِ

كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ فدَع ما تمنّى زلّتِ القدمانِ

أصيب فلم يُعقَل وطُلّ فلم يُقَد فذاك الذي يَخزى به الأبوانِ[4]

وحُقَّ لمَن كان ابنُ أشعر ثائراً به الطَّلُّ حَتّى يحشر الثَّقلانِ

ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمى يسومُه بنو عامر ضَيْماً بكل مكانِ

فلم يبق إلاّ قوله بلسانه وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ

هجا نافعٌ كعباً ليدرك وِتره ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ

ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوانِ[5]

وقد خضَّبوا وجهَ ابن علبةَ جعفرٍ خضابَ نجيع لا خضابَ دهانِ

فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ بسيف ولم يطعنْهمُ بِسِنانِ

فما لك مَهْجًى يا ابن أشعر فاكتعِم على حجر واصبر لكلّ هوانِ

إذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمِّه فليس يُجَلَّى العارُ بالهذيانِ

أبي قيسُ عيلانٍ وعمِّيَ خندفٌ ذَوا البذخِ عند الفخر والخطرانِ

إذا ما تجمَّعْنا وسارت حِذاءنا ربيعة لم يُعدل بنا أخوانِ

أليس نبيُّ الله منّا محمد وحمزةُ والعباسُ والعمرانِ

---

1 اللوذ : الجانب . يذبل وذقان : جبلان .

2 نافع في ل : أضرع . وكذلك حيثما وردت في القصيدة .

3 المثل : حتى متى يرمى بي الرجوان : (الميداني 1 : 213) ويضرب في الجفوة والاقصاء . والرجوان : جانبا البئر .

4 لم يعقل : لم تؤد ديته . طل : هدر دمه . لم يقد : لم يقتل قاتله به .

5 القوارع : الإصابات . الوضح : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تكشف العظم . القواني : جمع قانية ، شديدة الحمرة .

ومنّا ابنُ عباسٍ ومنّـا ابن عمِّه ... علـيٌّ إمـامُ الحـقّ والحسنانِ
وعثمان والصِّدِّيـقُ منّـا وإنّنـا ... لنعلـم أن الحـقَّ مـا يَعـدانِ
ومنـا بنو العباس فضلا فمن لكم ... هَلُـمُّـوه أو لا ينطِقَـنَّ يمـانِ

[ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه]

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار ، فلمّا ختَمها بهذا البيت قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله !

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

ألا مَن لقلبٍ في الحِجاز قسيمُه ... ومنـه بأكنـافِ الحجازِ قسيمُ
معاوِدِ شكوى أن نأت أمُّ سالِمٍ ... كما يشتكِي جُنحَ الظـلامِ سليمُ[1]
سلِيـمٌ لصـلٌّ أسلمته لمـا بـهِ ... رُقًـى قـلّ عنـه دفعُها وتميمُ[2]
فلـم تَـرِم الدارَ البريصاءَ فالصفا ... صَفاهـا فخَلاَّهـا فأيـن تريمُ[3]
وقفـت عليهـا بـازلاً ناهِجِيَّةً ... إذا لم أزُعهـا بالزمـامِ تَعُـومُ[4]
كِنازاً مـن اللاتـي كأنَّ عِظامها ... جُبِرْنَ على كسر فهـنَّ عشـوم[5]

[بداوة ناهض]

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدّثني الفضل بن العباس الهاشميّ من ولد قُثَم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال : كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يفِد على جدّي قُثَم فيمدحه ، ويصِلهُ جدّي وغيره[6] ، وكان بدويّاً جافياً كأنّه من الوحش ، وكان طيِّب الحديث ، فحدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً لـه مـن ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيَها أتاه فمدحه ، وكان برّاً به .

[ناهض يصف وليمة]

قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن بن عبد الله الهلاليّ ، فرأيت دوراً متباينة وخِصاصاً قد ضمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ

---

1 السليم : الملدوغ .
2 تميم : جمع تميمة .
3 الخل : الطريق النافذ في الرمل .
4 ل : أذدها .
5 العثوم : المنجبرة على غير استواء .
6 ل : ويميره .

تَحكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب ما عزَب عن عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟ فبينا أنا واقفٌ متعجِّب أتاني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قَوْراء[1] ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّد في وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شابٌّ ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِماطان . فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكي لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجُلٌ يدي ، وقال : اجلس فإن هذا ليس بأمير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثكل أمّاه ، لربّ عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هَنٍ أمّه . فلم أنشَب أن دخل رجالٌ يحملون هَناتٍ[2] مدوّراتٍ ، أمّا ما خفَّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقُل فيدحرج . فوضِع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثم أُتينا بخِرقٍ بيضٍ فأُلْقِيَتْ بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرقاً أقطّعها قميصاً ، وذلك أنّي رأيتُ نسجاً مُتلاحِماً لا يبين له سَدًى ولا لحمة ، فلمّا بسطَهُ القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو ، فيما زعموا ، صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه ؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ ، وحار وباردٍ ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبه من التّخَم والبَشَم ؛ ثم أُتينا بشرابٍ أحمر في عِساس[3] ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإنّي أخاف أن يقتلني . وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه ، فإنّه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي إنّك قد أكثرتَ من الطعام ، وإن شربت الماء همى بطنُك . فلمّا ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي ، قالوا : لا تزال حيّاً ما كان بطنُك شديداً فإذا اختلف فأوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أُكثِر منه فلا أَمَلُّ شربَه ، فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي ، وبكاءٌ لا أعرِف سببه ولا عهد لي بمثله ، واقتدارٌ على أمري أظنُّ معه أنّي لو أردتُ نيل السَّقف لبلغته ، ولو ساورت الأسد لقتلته . وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتُحدِّثُني نفسي بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه ، وأَهُمُّ أحياناً أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة ، أحدهم قد عَلّق في عنقه جَعبة فارسيّة مشنّجة[4] الطرفين دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ؛ ثم بدر الثاني

1 قوراء : واسعة .

2 هنات : أشياء .

3 العساس : القداح الكبيرة .

4 مشنجة : متقبضة .

فاستخرج من كمِّه هَنَةً سوداء كفيشلة الحمار ، فوضعها في فيه ، وضرط ضُراطاً لم أسمع ، وبيت الله ، أعجَبَ منه ، فاستتمّ بها أمرهم ، ثم حرّك أصابعه على أجْحِرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ، ولكنّه أتى منها لمّا حرّك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكلٍ بعضُه لبعض ، كأنّه ، علم الله ، ينطِق . ثم بدا ثالث كزٌّ[1] مقيت عليه قميص وسخ ، معه مِرآتان ، فجعل يصفّق بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما ، فجعل يقفِز كأنّه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط[2] به على الأرض ، فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القومِ عندي . ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً . ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهنّ[3] من بعدٍ ، وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها ، فيها خيوطٌ أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت ، وربِّ الكعبة ، وإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قطّ ، وغنّى عليها ، فأطربني حتى استخفّني من مجلسي . فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمّي ، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البربط[4] ؟ فقلت : بأبي أنت وأُمّي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المَثْنى . قلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : البمُّ . قلت : آمنت بالله أوّلاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدّثنا عليٌّ بن محمد النوفليٌّ ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب ، فأتاه أعرابيٌّ ، فقال له : حدّث أبا عبد الله ، يعني الهيثم بن يزيد النخعيّ ، بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدّثه بنحوٍ من هذا الحديث ، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه ، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذي حدّث به النوفليّ عنه .

---

1 كز : متجهم .

2 التبط به : صرع .

3 ل : أصواتهم .

4 البربط : العود .

[طرحت إبل الكعبيّ رجلاً فعقر بعضها فقامت الحرب]

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الكوفيّ فيه شعر ناهض بن ثومة قال : كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه في بني كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفّون به ويظلمونه ، وإن رجلاً منهم أوردَ إبله الماء فوردت إبلُ الكعبيِّ عليها ، فزاحمته ، لكنها ألقته على ظهره فتكشَّف ، فقام مُغضَباً بسيفه إلى إبل الكعبيّ ، فعقر منها عدّة ، وجَلاها عن الحوض ، ومضى الكعبيُّ مستصرخاً بني كلاب على الرجل ، فلم يُصرخوه فساق باقي إبله واحتمل بأهله[1] حتى رجع إلى عشيرته ، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب ، فاستاقوا إبل الرجل الذي عَقَرَ لصاحبهم ، ومضى الرجل فجمع عشيرته ، وتداعت هي وكعبٌ للقتال ، فتحاربوا في ذلك حرباً شديدة ، وتمادى الشرُّ بينهم . حتى تساعى حلماؤهم في القضية ، فأصلحوها على أن يُعقَل القتلى والجرحى ، وتُردَّ الإبل ، وتُرسَل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبيّ ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا إلى الألفة ، فقال في ذلك ناهض بن ثومة : [من الوافر]

أمِـن طلـل بأخطـبَ أبَّدَتـه ... نِجاءُ الويـل والدِّيَمُ النِّضاحُ[2]
ومَرُّ الدهـر يومـاً بعد يـوم ... فما أبقـى المساءُ ولا الصباحُ
فكـــلّ مَحَلَّــة غنيت بسلمى ... لرَيدات الريـاح بهـا نُواحُ[3]
تَطُلُّ على الجفون الحزنَ حتّى ... دمـوعُ العـين ناكزةٌ نزاحُ[4]

وهي طويلةٌ يقول فيها :

هنيئـاً للعدى سَخَـطٌ ورَغْمٌ ... وللفَرْعَـين بينهمـا اصطلاحُ
وللعـين الرقـادُ فقـد أطالت ... مساهـرةً وللقلـــب انتجاحُ
وقــد قـال العُداةُ نرى كلاباً ... وكعبـاً بـين صلحهما افتتاحُ
تداعَــوْا للسَّلام وأمر نُجْــحٍ ... وخيرُ الأمــرِ ما فيـه النجاحُ

---

1 ل : بماله .
2 أخطب : جبل بنجد . أبدته : أوحشته . النجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي نزل ماؤه .
3 ريدات الرياح : الرياح الكثيرة الهبوب .
4 العين الناكزة النزاح : التي فني ماؤها .

ومـــدُّوا بينهم بحبال مَجْدٍ وثــدي لا أَجَـدٌّ ولا ضَياحُ[1]
ألم تَـرَ أنَّ جمع القوم يُخْشى وأن حَريـم واحدِهـم مباحُ
وأنْ القِدْح حـين يكون فرداً فيُهْصر لا يكـون لـه اقتداحُ[2]
وإنّك إن قبضت بها جميعـاً أبت ما سُمْت واحدَها القداحُ
كـذاك تَفرّقُ الإخوان ممّـا يُذلّهـمُ وفي الـذلّ افتضاحُ
أنـا الخطّارُ دون بنـي كلاب وكعــبٍ أن أتيح لهـم مُتاحُ[3]
أنا الحامـي لهـم ولكلّ قَـرْمٍ أخٌ حـامٍ إذا جَـد النِّضاحُ[4]
أنـــا الليثُ الذي لا يزدهيه عُـواءُ العاويـات ولا النُّباحُ
سل الشعراءَ عنّـي هـل أقرت بقلبي أو عفـت لهـم الجراحُ
فمـا لكواهـل الشُّعَراء بـدٌّ مـن القَتَب الذي فيه لَحاحُ[5]
ومـن توريـك راكبـه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا[6]

[الحرب بين كلاب ونمير]

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره ، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر ، وكانت لكلابٍ على بني نمير ؛ وأنّ نميراً استغاثت ببني تميم ، ولجأت إلى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر ، فمنع تميماً من إنجادهم ، وقال : ما كنّا لنُلقي بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة ، فإن سعيتم في صلح عاونّا ، وإن كانت حمالة[7] أعنّا ، فأمّا الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن ثومة في ذلك : [من الوافر]

سلام الله يـا مالِ بـنَ زيد عليك وخير مـا أُهْدي السلاما
تعلـم أينـا لكم صديـق فـلا تستعجلوا فينـا الملاما

1 الأجد : المقطوع . الضياح : اللبن الرقيق الممزوج .
2 القدح : العود . يهصر : يكسر .
3 الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً .
4 النضاح : الدفاع والذب .
5 القتب : رحل البعير . واللحاح : العقر والكسر .
6 التوريك : الركوب على ورك البعير . ألاحوا : أعرضوا .
7 الحمالة : الدية .

ولكنّا وحيٌّ بني تميم ... عداةٌ لا نرى أبداً سلاما
وإن كنّا تكافَفْنا قليلا ... كحرف السِّيفِ ينهار انهداما
وهَيْضُ العظم يُصبح ذا انصداع ... وقد ظَنَّ الجول بهِ التئاما
فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ مِنّا ... ولا الشِّيب الجحاجحَ والكِراما
ونوحَ نوائح منّا ومنهم ... مآتِم ما تجفّ لهم سجاما
فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يرجِّي الجاهلون له تِماما
ألا قل للقبائلِ من تميمٍ ... وخُصَّ لمالِكٍ فيها الكلاما
فزِيدُوا يا بني زيدٍ نُميراً ... هَواناً إنّه يدني الفِطاما
ولا تُبقوا على الأعداء شيئاً ... أعزَّ الله نصرَكم وداما
وجدت المجد في حَيَّيْ تميم ... ورَهْطِ الهَذْلق الموفى الذماما
نجوم القوم ما زالوا هُداةً ... وما زالُوا لآبيهم زماما[1]
هم الرأس المقدم من تميم ... وغاربُها وأوفاها سَناما[2]
إذا ما غاب نجْمٌ آب نجمٌ ... أغرُّ نرى لطلعتِه ابتساما
فهذي لابن ثُومَةَ فانسبُوها ... إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما
وإن رغمت لذاك بنو نُمَيرٍ ... فلا زالت أُنُوفُهم رَغاما[3]

قال : يعنى بالهذلق الهذلَق بن بشير ، أخا[4] بني عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وابنَيه علقمة وصباحاً .

قال : وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً ، فلمّا ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض : [من الطويل]

ألا هل أتى كعباً على نأي دارهم ... وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعبِ
بما لقيت منّا نميرٌ وجمعُها ... غَداةَ أتينا في كتائبنا الغُلْبِ
فيالك يوماً بالحمى لا نرى له ... شبيهاً وما في يوم شيبان من عَتْبِ[5]

1 الآبي : الكاره .
2 الغارب : ما بين السنام والعنق .
3 رغام : ذليلة .
4 أخا في ل : أحد .
5 شيبان في ل : ذبيان .

أقامت نميرٌ بالحمى غير رغبة ... فكانَ الذي نالت نميرٌ من النهبِ
رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها ... سباعٌ تدلّت من أبانَيْن والهضْبِ[1]
لنا وقَعاتٌ في نميرٍ تتابعت ... بضيمٍ على ضيمٍ ونكبٍ على نكبِ
وقد علمت قيسُ بن عيلان كلُّها ... وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحربِ
ألم ترهم طُرّاً علينا تحزّبوا ... وليس لنا إلا الرُّدَيْنيُّ من حزبِ
وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى ... لأعدائنا مَن لا مُدانٍ ولا صَقْبِ
ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا ... مخوفٍ بنصب للعِدا حين لا نصبِ

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زيادٍ الكاتبُ ، قال : حدّثني ابو هفّان ، قال : حدّثني غُريرُ بن ناهض بن ثومة الكلابي ، قال : كان شاعر من نمير يقال له : رأسُ الكبش ، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زماناً ، وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرّض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم ، فقال : [من الطويل]

رأيتكما يا بَنَيْ ربيعة خُرْتُما ... وعَوّلتُما والحرب ذات هريرِ
وصدقتما قول الفرزدق فيكما ... وكذبتما بالأمس قول جريرِ
فإنْ أنتما لم تقذعا الخيل بالقنا ... فصِيرا مع الأنباط حيث تصيرُ[2]
تسومكما بغياً نميرٌ هضيمةً ... ستُنجد أخبارٌ بهم وتغورُ

قال : فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر . حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنّ واردات . فقتلوا واجتاحوا ، وفضحوا نميراً ، ثم انصرفوا ، فقال ناهض بن ثومة يجيب عُمارة عن قوله : [من الوافر]

يحضّضنا عمارةُ في نمير ... ليَشْغَلَهم بنا وبه أرابوا
ويزعم أنّنا خُرْنا وأنا ... لهم جارُ المقربة المصابُ
سلوا عنّا نميراً هل وقعنا ... بنزوتها التي كانت تُهابُ
ألم تخضع لهم أسَدٌ ودانت ... لهم سعدٌ وضبةُ والربابُ
ونحن نُكرُّها شُعْثاً عليهم ... عليها الشِّيبُ منّا والشبابُ

---

1 الأبانان : جبلان .

2 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

رغبنا عن دمـــاء بني قُرَيع إلى القَلْعــين إنّهمـــا اللبابُ
صَبْحَناهم بأرعـــــنَ مكفهرٍّ يـــدفّ كأن رايتَــه العُقابُ[1]
أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ تلــوح البِيضُ فيــه والحرابُ
فأشْعلَ حــين حـــلّ بواردات وثـــار لنقعـــه ثَـــمَّ انصبابُ
صبحناهم بها شُعْثَ النواصي ولم يُفتَق من الصبح الحجابُ
فلم تُغمَد سيوف الهنـد حتى تعيّلـــت الحليلةُ والكَعابُ[2]

صوت

[من الكامل]

أعرفت من سلمى رسومَ ديار بالشطّ بـين مُخَفّقٍ وصحارِ[3]
وكأنّما أثــرُ النعــاج بجَوِّها بمَدافع الرَّكْبَيْنِ ودعُ جواري[4]
وسألتها عن أهلهــا فوجدتها عمياءَ جاهلــةً عــن الأخبارِ
فكأنَّ عيني غَربُ أدهمَ داجنٍ متعــوِّدِ الإقبـــالِ والإدبارِ[5]

الشعر للمخبّل السعديّ ، والغناء لإبراهيم ، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال الهشاميّ : فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل ، ولِعنانَ بنت خوطٍ خفيفُ رمل .

1 الأرعن : الجيش له فضول يشبه رعن الجبل ، أي أنفه . يدف : يسير في لين .
2 تعيلت : أهملت لموت عائلها .
3 الشط : موضع باليمامة . مخفق : رمل في أسفل الدهناء .
4 الجو : ما اتسع من الأرض . المركبان : موضع . ودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
5 الغرب : الدلو العظيمة . الأدهم الداجن : البعير الأسود الذي يستقى عليه .

[243] ـ أخبار المخبل ونسبه[1]

[نسبه]

قال ابنُ الكلبيّ : اسمه الربيع بن ربيعة ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وأبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ويكنى أبا يزيد . وإيّاه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهب القصائد لي النوابغُ إذ مضَوْا   وأبو يزيـد وذو القروح وجَرْوَل

ذو القروح : امرؤُ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المخبل . وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل . وهو من المقلين[2] ، وعمّر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً[3] ، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير . وكان له ابن ، فهاجر إلى الكوفة في أيّام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً ، حتى بلغ خبره عمر ، فردّه عليه .

[جزعه على ابنه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي غسان دماذ ، عن ابن الأعرابيّ قال : هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ وضعُف ، فافتقَرَ إلى ابنه فافتقده . فلم يملك الصبرَ عنه ، فكاد أن يُغْلَبَ على عقله ، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرَضَه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنيناً ، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك ، وأعطاه مالاً وفرساً ، وقال : أنا أُكلِّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمتَ مالك ، وأقمتَ في قومك ، وإن أبى استنفقتَ ما أعطيتُك ولحقتَ

1 ترجمة المخبّل السعدي في الشعر والشعراء : 333 وابن سلام : 149–150 والخزانة 8 : 97–100 والإصابة 2 : 218 والمؤتلف والمختلف : 177 والسمط : 857 وانظر التذكرة الحمدونية . وقد وردت ترجمته في الخزانة والإصابة تحت اسم الربيع بن ربيعة كما ذكره ابن الكلبي . وقد جمع الدكتور حاتم الضامن شعره في «عشرة شعراء مقلّون» .

2 ل : المغلبين .

3 ل : طويلاً .

به ، وخلّفتَ إبلَكَ لعيالك . ثم مضى إلى عمر ، رضوان الله عليه ، فأخبره خبر المخبَّل ، وجَزَعَه على ابنه ، وأنشده قوله : [من الطويل]

أيُهلكنـي شيبـانُ في كلِّ ليلـة لقلبيَ مـن خـوفِ الفِراق وجيبُ
اشيبانُ مـا أدراك أَنْ كلُّ ليلـة غبقتُـك فيهـا والغَبُـوقُ حبيبُ
غبَقتُك عُظْماهـا سَناماً أو انبـرى برِزقـك بـرَّاقُ المُتُـون أريبُ[1]
أشيبان إن تأبـى الجيـوش بجدّهم يقاسون أيّامـاً لهـن خطوبُ
ولا هَـمَّ إلاّ البـزُّ أو كلُّ سابح عليـه فتًى شاكـي السلاحِ نجيبُ[2]
يـذودون جُنـد الهُرْمُـزانِ كأنّما يـذودون أوراد الكـلاب تلوبُ[3]
فإن يكُ غصني أصبحَ اليوم ذاوياً وغصنُك مـن ماء الشباب رطيبُ[4]
فإنّي حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت فَمشْيـي ضعيفٌ في الرجـال دبيبُ
إذا قال صحبي يـا ربيعُ ألا ترى أرى الشخص كالشخصين وهو قريبُ
ويخبرني شيبـانُ أن لـن يعقّنـي تَعُـقُّ إذا فارقتَنـي وتحـوبُ[5]
فـلا تُدْخِلنَّ الدّهـرَ قبرَكَ حوبةً يقـوم بهـا يومـاً عليـك حسيبُ

يعني بقوله «حسيب» الله عزّ ذكره .

قال : فلمّا أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورقّ له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفل شيبان بن المخبل ويردَّه على أبيه ، فلمّا ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإغضاء عنه ، وقال : لا تَحرِمنّي الجهاد . فقال له : إنّها عزمةٌ من عمر ، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوقِ شيخك . فانصرف إليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهريّ ، قالا : حدّثنا عمر بن شبّة أنّ شيبان بن المخبّل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسِن رعية إبلك يا بنيّ ، فيقول : أراحني الله من رِعْية إبلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى ، وانحدر إلى البصرة ، وشهد فتح تُسْتَر ، فقال : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله : [من الطويل]

1 براق المتون : السيف . الأريب : المغتال .
2 البز : السلاح .
3 تلوب : تحوم .
4 ذاوياً في ل : بالياً .
5 تحوب : تأثم .

إذا قلتُ تَرعى قال سوف تريحني ... من الرَّعي مِذْعانُ العشيّ خَبُوبُ[1]

قال : أبو يزيد وحدّثناه عتاب بن زيادٍ ، قال : حدّثنا ابن المبارك ، قال حدّثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبَّل ، ولكنه قال : «انطلق رجُلٌ إلى الشام» ، وذكر القصّة والشعر .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثني عمِّي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال : خطب المخبَّلُ السعديُّ إلى الزِّبرقان بن بدرٍ أخته خليدة ، فمنعه إيّاها ، وردّه لشيء كان في عقله ، وزوّجها رجلاً من بني جُشَم بن عوفٍ ، يقال له : مالكُ بن أميّة بن عبد القيس ، من بني محارب ، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجُلاس بن مخرَبَة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً ، ولم يعلم به أحدٌ ، ففقد ولم يعلم له خبر . فبينما جارُ الزبرقان الذي من عبد القيس قاتلُ الجُلاس ليلةً يتحدّث إذ غلط ، فحدّث هَزَّالا بقتله الرجل ، وذلك قبل أن يتزوّج هزَّالٌ إلى الزِّبرقان ، فأتى هَزّال عبد عمرٍو بن ضَمْرة بن جابر نهشلٍ فأخبره . فدعا هزّالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت ، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه ، ورجع هزالٌ إلى الحيِّ وهرب عبدَ عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عُطارد بن عوفٍ ، فقالت امرأة مالك بن أميّة المقتول : [من الوافر]

أجيرانَ ابـنِ ميـة خبِّروني ... أعينٌ لابن مَيَّـةَ أم ضِمارُ[2]

تجلّل خزيَها عوفُ بنُ كعب ... فليس لنسلِهـم منهـا اعتذارُ

قال : فلمّا زوّج الزِّبرقان أخته خليدةَ هزّالا بعد قتله جاره عيبَ عليه ، وعُيِّر به ، وهجاه المخبل ، فقال : [من الطويل]

لعمـرك إن الزِّبرقـانَ لدائـم ... على الناس تعدو نوكُـه ومجاهلُهْ[3]

أأنكحت هـزالاً خليـدة بَعدما ... زعمت بظهـر الغيب أنّك قاتلُهْ

فأنكحتَـه رَهـواً كأنّ عِجانهـا ... مَشَقُّ إهابٍ أوسع السَّلْخ ناجلُهْ[4]

يلاعبهـا فـوق الفراش وجارُكم ... بذي شُبْرُمـانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصلُهْ[5]

قال : ولجّ الهجاء بين المخبّل والزِّبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا

---

1 مذعان : ناقة سلسة القياد . خبوب : من الخبب ، ضرب من العدو .

2 الضمار : ما لا يرجى رجوعه من المال .

3 النوك : الحمق .

4 الناجل : الذي يشق الجلد .

5 شبرمان : موضع . لم تزيل : لم تفرق .

لذلك ذاتَ يوم ، وكان الزِّبرقان أسودَهما ، فابتدأ المخبّل فأنشده قصيدته : [من الكامل]

أنبئتُ أنّ الزِّبرقانَ يسُبُّني سفهاً ويَكْرَهُ ذو الحِرَيْن خصالي

قال : وإنّما سمّاه ذا الحرين لأنه كان مُبَدَّناً ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبَّه بهما وشبَّههما بالحِرَين . ويقال : إنّه إنّما عيّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبَّل ابن في الجاهلية قال : [من الكامل]

أفلا يفاخرني ليعلم أيُّنا أدنى لأكرمِ سُؤدَدٍ وفِعالِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخصى وأبي الجوادُ ربيعةُ بنُ قِتالِ[1]

فلمّا أنشده هذا البيت ، قال :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخُصى وأبي . . . .

ثم انقطع عليه كلامه ، إمّا بشَرَق أو انقطاع نَفَسٍ ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : «وأبي» . فسبقه الزِّبرقان قبل أن يتمّ ويبين ، فقال : صدقت ، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ . فغلبه الزِّبرقان ، وضحكوا من قوله وتفرّقوا ، وقد انقطع بالمخبّل قوله .

[زرارة بن المخبّل يضرب علباوياً بحجر]

أخبرنا اليزيديُّ ، قال : حدّثني عمّي عن عبيد الله عن ابن حبيب ، قال : كان زرارة بن المخبَّل يَلِيط[2] حوضه ، فأتاه رجلٌ من بني عِلباء بن عوف ، فقال له : صارعْني . فقال له زرارة : إنّي عن صراعِك لمشغولٌ . فجذب بحُجْزته[3] وهو فاعلٌ فسقط ، فصاح به فتيانُ الحيّ : صُرِع زرارة وغُلِبَ . فأخذ زرارة حجراً ، فشدخ به رأس العلباويّ ، فسأل المخبّل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه الدية ، فتحمّلها وتخلّصه ، وكسا المخبّل حلّةً حسنةً ، وأعطاه ناقة نجيبةً ، فقال المخبّل يمدحه : [من الوافر]

لعمرُ أبيك لا ألقى ابن عَمٍّ على الحدثان خيراً من بَغِيضِ
أقلَّ ملامةً وأعزَّ نصراً إذا ما جئتُ بالأمر المريضِ

---

1 مشترط : قاطع .

2 يليط : يطين .

3 الحجزة : معقد الإزار .

كساني حُلَّــةً وحبــا بعَنْس أُبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضي[1]
غـداةَ جنـى بُنَــيَّ علي جرماً وكيف يداي بالحرب العضوضِ[2]
فقــد سدّ السبيل أبــو حميــد كما سدّ المخاطبَــةَ ابــنُ بيضِ

أبو حميد : بغيض بن عامرٍ . وأمّا قوله : «كما سدّ المخاطبة ابن بيض» ، فإنّ ابن بِيض : رجل من بقايا قوم عاد ، كان تاجراً ، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كلّ سنة بأجرٍ معلوم . فأجازه سنة وسنتين ، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ ، فأتى قومه فنزل فيهم ، ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجرَ الوفاة فخاف لقمان على بنيه ومالِه فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم ، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي ، فاجعلوا ما له قبلي في ثوبه ، وضعوه في طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقّه ، فادفعوه إليه واتّقوه به ، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيكم الله إيّاه . ومات الرجل ، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقّه على طريقه ، فقال : «سدَّ ابنُ بِيضٍ الطريقَ[3]» ، فأرسلها مثلاً ، وانصرف وأخذ حقّه . وقد ذكرت ذلك الشعراء ، فقال بشامة بن عمرٍو : [من المتقارب]

كثوبِ ابنِ بِيضٍ وقاهم به فسدّ على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب : ولمّا حَشَدت بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم ، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبَّل ، ومشت المشيخة في الأمر ، وقالوا : هذا قُتِل خطأً ، فلا تُواقعوا[4] الفتنة ، واقبَلوا الدية . فقبِلوها وانصرفوا ، فقال زرارة بن المخبَّل يفخر بذلك : [من البسيط]

فـاز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقاً أمّا حُطَيْمُ بن عِلبـاء فقد غُلبا
إنّي رميـت بجُلمود على حَنَق منّي إليـه فكانت رميـةً غَربا[5]
ليثاً إليّ يَشُقُّ الناسَ منفرِجـاً لَحياهُ عنَّانــةٌ لا يَتَّقـي الخَشبا[6]
فأورثَتْني قتيـلاً إن لقيتُ وإن أفلتُّ كانت سماع السَّوء والحَرَبا[7]

1 بس الإبل : ساقها سوقاً ليناً وزجرها . غروض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل .
2 جرماً في ل : حرباً . الحرب العضوض : الشديدة .
3 المثل «سد ابن بيض الطريق (السبيل)» في الميداني 1 : 329 وفصل المقال : 279 وجمهرة العسكري 1 : 519 ومستقصى الزمخشري 2 : 117 .
4 ل : توقعوا .
5 الرمية الغرب : التي لا يعرف راميها .
6 اللحي : عظم الحنك . عنانة لا يتقي الخشبا : سباقة ، لا يصده خشب الحظيرة .
7 الحرب : الهلاك .

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قُشير ، فأغار عليه المُنتَشِر بن وهب الباهِليّ ، فأخذ إبله ، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبّل . فلمّا سأله قال له : إن شئتَ فاعترِض إبلي فخذ خيرها ناقةً ، وإن شئت سعيتُ لك في إبلك . فقال : بل إبلي . فقال المخبّل : [من الطويل]

إنّ قشيراً من لِقاح ابن حازِمٍ ... كراحِضة حيضا وليست بطاهرِ
فـلا يأكلنها الباهِليّ وتَقعدوا ... لدى غرضٍ أرميكُمُ بالنواقِرِ[1]
أغرّك أنْ قالوا لعــزّة شاعر ... فناك أبــاه من خفيرٍ وشاعرِ

فلمّا بلغهم قول المخبّل سعَوا بإبله ، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن خفاجة بن عقيل ، فقال المخبّل في ذلك : [من الطويل]

تدارك حـزنٌ بالقنـا آلَ عامــر ... قَفا حَضَنٍ والكرُّ بالخيل أعسرُ[2]
فإنّي بـذا الجارِ الخفاجيِّ واثقٌ ... وقلبي من الجارِ العِباديّ أوجرُ[3]
إذا مـــا عقيـليٌّ أقـــامَ بِذِمّة ... شريكين فيها فالعِبادي أوجرُ[4]
لعمري لقد خارَت خفاجة عامِراً ... كما خِيرَ بيتٌ بالعــراق المشقَّرُ[5]
وإنّك لو تعطي العِبادي مِشقصا ... لراشى كما راشى على الطبعِ أبخرُ

راشى من الرشوة .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا الرياشي ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : مرّ المخبّل السعديّ بخليدة بنت بدرٍ ، أخت الزِّبرقان بن بدرٍ ، بعد ما أسنّ وضعف بصره ، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة ، وقالت له إنّي آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها . فقال : ومَن أنتِ حتى أعرفك وأشكرك ؟ قالت : لا عليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض من هتكتَ بشِعرك ظالماً ، أنا خليدة بنت بدرٍ . فقال : واسوأتاه منك ؛ فإنّي أستغفر الله عزّ وجلّ ، وأستقيلك وأعتذر إليك . ثم قال : [من الطويل]

لقد ضلّ حِلمِي في خليدةَ إنّني ... سأُعتب نفسي بعدها وأموتُ

---

1 النواقر : الدواهي .
2 قفا حضن : خلف حضن ، وهو جبل بأعلى نجد .
3 أوجر : خائف .
4 أوجر هنا : كاره .
5 المشقر : حصن قديم بالبحرين .

فأقسمُ بالرحمـنِ إنّي ظلمتُها وجُرتُ عليها والهِجاءُ كَذوبُ

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبّل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ، ويقول : [من الكامل]

فجزى الإلهُ سَراةَ قومي نَضْرةً وسقاهُـمُ بمشارب الأبـرارِ
قـومٌ إذا خافـوا عِثارَ أخيهمُ لا يُسْلِمـونَ أخاهـمُ لعِثارِ
أمثالُ عَلقمةَ بنِ هَوذةَ إذْ سعى يخشى عَليَّ متالـفَ الأبصارِ
أثنَوْا عـليَّ وأحسنوا وترافَدُوا لي بالمَخاض البُـزْل والأبكارِ
والشَّولِ يتبعُها بنـاتُ لَبُونِها شَرِقاً حناجِرُها من الجَرْجارِ[1]

[شعر المخبّل والزبرقان وعبدة وعمرو بن الأهتم]

أخبرنا أبو زيد ، عن عبد الرحمن ، عن عمّه ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثني عمّي عبيد الله ، عن ابن حبيب . وأخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الكُرانيّ ، قال : حدّثنا العمريّ ، عن لقيطٍ قالوا : اجتمع الزّبرقان بن بدر والمخبّل السعديّ وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلِموا ، وبعد مبعث النبيّ ﷺ ، فَنَحروا جَزُوراً ، واشتروا خمراً ببعير ، وجلسوا يشوون ويأكلون . فقال بعضهم : لو أنّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطِرنا . فتحاكموا إلى أوّل مَن يطلع عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدي ، وقال اليزيدي فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم ، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون . فلمّا رأوه سرّهم ، وقالوا له : أخبرنا أيُّنا أشعرُ ؟ قال : أخاف أن تغضبوا ، فآمنوه من ذلك ، فقال : أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى ، وأمّا أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحِرت[2] ، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك .

وقال لقيط في خبره ، قال له ربيعة بن حُذار : وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ، ولم يُترك نِيئاً فيُنتفع به . وأمّا أنت يا مخبّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على مَن يشاء . وأمّا أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ أُحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء .

أخبرنا اليزيديّ ، عن عمّه ، عن ابن حبيب ، قال : كان رجل من بني امرىء القيس ، يقال لـه رَوقٌ ، مُجـاوراً في بكر بن وائل باليمامة ، فأغاروا على إبله وغدروا به ، فأتى المخبّل يستمنحه ، فقال له : إن شئتَ فاختر خير ناقة في إبلي فخُذها ، وإن شئتَ سعيتُ لك . فقال : أن

1 الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء .
2 ل : ذبحت .

تسعى بي[1] أحبُّ إليّ . فخرج المخبّل فوقف على نادي قومه ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

أدُّوا إلى رَوْح بن حَسّـ ـانَ بن حارثةَ بن منذرْ
كومـاءَ مدفـأةً كـأ نّ ضروعَها حَمَّاء أجفرْ[2]
تأبـى إلى بصص تَسُـ ـحُّ المحضَ باللبن الفضنفرْ

فقالوا : نعم ونُعمة . فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدّة إبله .

وقال ابن حُبيب في هذه الرواية : «كان رجل من بني ضبة» .

صوت

[من المديد]

اسلُ عـن ليلى علاك المشيبُ وتصابى الشيخ شيءٌ عجيبُ
وإذا كان النسيبُ بِسلمـى لـذَّ في سلمى وطابَ النسيبُ
إنّمـا شبَّهتُها إذ تـراءت وعليها مـن عيـون رقيبُ
بطلوع الشّمس في يومِ دَجْنٍ بُكْرةً أو حـان منهـا غروبُ
إنّني فاعلم وإنْ عـزَّ أهلي بالسُّويـداء الغـداةَ غريبُ

الشعر لغيلان بن سلمة الثّقفيّ ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخطّ أبي سعيد السكري ، والغناء لابن زرزورٍ الطائفيّ ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ، عن يحيى المكّي ، وفيه ليونس الكاتب لحنٌ ذكره في كتابه ، ولم يُجنّسه .

---

1 ل : بل تسعى لي .

2 حماء في ل : جماة . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . المدفأة : الكثيرة الوبر والشحم . الأجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش .

[244] ـ أخبار غيلان بن سلمة ونسبه[1]

[نسبه]

غيلان بن سلمة بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثقيف . وأمّه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أخت أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف .

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ .

وغيلان شاعرٌ مقلّ ، ليس بمعروف في الفحول .

[هيت المخنث يصف ابنته]

وبنتُه بادية بنت غيلان التي قال هِيتٌ المخنّث لعمر بن أم سلمة أمّ المؤمنين ، أو لأخيه سلمة : «إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله ﷺ أن يهَبَ لك بادية بنت غيلان ، فإنّها كحلاء ، شموعٌ نجلاء[2] ، خمصانة هيفاء ، إن مشت تثنّت ، وإن جلست تبنّت[3] ، وإن تكلّمت تغنّت ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ ، وبين فخذيها كالإناء المُكْفأ» .

وغيلان فيما يقال أحد مَن قال من قريش للنبي ﷺ وآله : ﴿لولا أنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتَين عظيم﴾ .

[اتهام ولده عمار بسرقته]

قال ابن الكلبيّ : حدّثني أبي ، قال : تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص ، فولدت له عمّاراً وعامراً ، فهاجر عمّار إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقُه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به ، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس ، وبلغ خبره عمّاراً فلم يعتذر إلى أبيه ، ولم يذكر له براءته ممّا قيل له . فلمّا شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض ثقيفٍ إلى غيلان ، فقالت له : أيُّ شيءٍ لي

1 لغيلان بن سلمة ترجمة في ابن سلام : 269–270 وطبقات ابن سعد 5 : 505–506 والمحبر : 357 واليعقوبي : 214 وأعلام الزركلي ، وانظر المثل «إن العصا قرعت لذي الحلم» في مجمع الميداني ، وورد بعض أخباره في التذكرة الحمدونية .

2 الشموع : المزاحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

3 تبنت : صارت كالمبناة ، وهي القبة من الأدم .

عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ . قالت : تبتاعني وتعتُقني . قال : ذلك لك . قالت : فاخرج معي . فخرج معها ، فقالت : إنّي رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ، ويتفقّده في اليوم مراتٍ ، وما أراه إلاّ المال . فاحتفر الموضع فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها . وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً ، فقال : والله لا يراني غيلان أبداً ، ولا ينظر في وجهي . وقال : [من الطويل]

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ ... وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

برئتُ من المالِ الذي يَدفنونه ... أبرِّىءُ نفسي أنْ أُلِطَّ بباطِلِ[1]

ولو غيرُ شيخي من معدٍّ يقولُه ... تيممْتُه بالسيفِ غير مُواكِلِ

وكيف انطِلاقي بالسِّلاح إلى امرىءٍ ... تُبَشِّره بي يبتدِرن قوابلي

فلمّا أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد ، فتوفّي عامر بعمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذٍ ، وهو صاحب شَنوءةَ يوم تثليث[2] ، وهو قتل سيِّدهم جابر بن سنانٍ أخا دِهنة ، فقال غيلان يرثي عامراً : [من الكامل]

عيني تجودُ بدمعها الهتّانِ ... سحّاً وتبكي فارسَ الفُرسانِ

يا عامِ مَن للخيل لّما أُجحمَتْ ... عن شَدّة مرهوبة وطِعانِ

لو أستطيعُ جعلت منّي عامراً ... بين الضُّلوع وكلُّ حيٍّ فانِ

يا عين بَكّي ذا الحزامة عامراً ... للخيل يومَ تواقُف وطِعانِ

ولـه بتثليثاتِ شدَّةُ مُعْلَم ... منه وطعنةُ جابر بن سنانِ[3]

فكأنَّه صافي الحديدة مِخْذَمٌ ... ممّا يُحِير الفُرْس للباذانِ[4]

[دفاعه عن جاره الباهلي]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكّري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيهِ في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطّى بعضها إلى أرضٍ لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به ، فشكا الباهليُّ ذلك إلى غيلان ، فقال لأبي عقيل : [من الطويل]

---

1 ألط : ألصق .

2 شنوءة : قبيلة .

3 يوم تثليث : من أيام العرب بين سليم ومراد .

4 المخذم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . الباذان : اسم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام .

ألا مَن يرى رأي امرىءٍ ذي قرابة ... أبى صدره بـــالضغن إلاّ تطلّعا
فَسلمَكَ أرجـــو لا العداوةَ إنّما ... أبـــوك أبـــي وإنّمـــا صفقُنا معا
وإنّ ابنَ عـــمّ المرءِ مثل سلاحِهِ ... يقيــه إذا لاقـــى الكمـــيَّ المقنَّعا
فإن يكثر المـــولى فإنّــك حاسدٌ ... وإن يفتقر لا يُلفِ عندك مَطمَعا
فهذا وعيـــدٌ وادّخـــارٌ فإن تعُـدْ ... وجَدّك أعلمْ مـا تسلَّفتَ أجمعا

[تهديده لامرأته حين ملته]

ونسخت من كتابه، قال: لمّا أسنّ غيلان وكثرت أسفاره وملّته زوجته، وتجنّت عليه، وأنكر أخلاقَها، فقال فيها: [من الكامل]

يا ربَّ مثلكِ في النِّساء غريرةٍ ... بيضاءَ قـــد صبَّحتُها بطَلاقِ
لم تدرِ ما تحتَ الضُّلوع وغرَّها ... منّـــي تحمُّل عِشرتي وخَلاقي

[الحرب بين بني عامر وثقيف]

ونسخت من كتابه: إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم وأحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيفٍ بالطائف، وكانت بنو نصر بن معاوية أُحلافاً لثقيف، فلمّا بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غيلان بن سلمة بن معتِّب، فلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومَن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيفٌ، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، ويذكر تخلف بني نصر عنهم: [من البسيط]

ودِّع بِـــذمٍّ إذا ما حـــانَ رِحلتُنا ... أهـــلَ الحظائر من عوفٍ ودهْمانا
القائلين وقـــد حلَّـــت بساحتهم ... جَسْرٌ تحسحس عن أولاد هِصَّانا[1]
والقائلين وقـــــد رابَتْ وطابُهم ... أسيفَ عوفٍ ترى أم سَيف غيلانا[2]
أغنُـــوا المــــواليَ عنّــا لا أبالَكمُ ... إنّا سنُغني صريحَ القـوم مَن كانا
لا يمنـــع الخطـــرَ المظلومُ قُحْمَته ... حتّـــى يمحق بالكفـــين مَن كانا

[الحرب بين خثعم وثقيف]

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعم جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطائف؛

---

1 الجسر: الرجل الجسيم الشجاع والجمل الضخم ويطلق أيضاً على بعض أحياء العرب. تحسحس: تتلمس. هصان: قبيلة.

2 راب: خثر وفسد. الوطاب: سقاء اللبن.

فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزمهم وقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر عدّةً منهم ، ثم منَّ عليهم وقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يا أُختَ خَثعمَ خبِّرينا ... بأيٍّ بلاء قومٍ تفخرينا
جَلَبْنا الخيلَ من أكنافِ وَجٍّ ... وليثٍ نحوكم بالدّارِعِينا[1]
راينا هنَّ مُعلمةً رواحا ... يُقيتانِ الصباحَ ومعتدينا[2]
فأمست مُسْيَ خامسةٍ جميعاً ... تُضابعُ في القيادِ وقد وجينا[3]
وقد نظرت طوالعكم إلينا ... بأعينهم وحققنا الظنونا
إلى رجراجةٍ في الدار تُعْشي ... إذا استنَّتْ عيون الناظرينا[4]
تركن نساءَكم في الدارِ نَوحا ... يبكُّون البُعولة والبنينا
جَمعتم جَمعكم فطلبتُمونا ... فهل أُنبِئتَ شأنَ الطَّالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ ، قال : أخبرني محمد بن سعد الشاميّ ، قال : حدّثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدَرنا عن الأُبُلّة ، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطابق[5] ، فأنشدني له : [من المنسرح]

وليلة أرَّقَتْ صِحابَكَ بالطَّـ ... ـفِ وأُخرى بجنب ذي حُسُمِ[6]
فالجسرُ فالقصرانِ فالنَّهَر المُرْبَـ ... ـدُّ بين النَّخيل والأجمِ[7]
معانق الواسطِ المُقَدَّم أو ... أدنو من الأرض غيرَ مقتحمِ[8]
أستعملُ العنسَ بالقيادِ إلى الـ ... ـآفاق أرجو نوافلَ الطُّعمِ

[وصية غيلان بن سلمة لبنيه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن عمر بن

1 وج : دار بالطائف . ليث : واد بأسفل السراة .
2 المعلمة : المميزة . يقيت الشيء : يقدر عليه . الصباح : الغارة صباحاً .
3 مسي خامسة : مساء الليلة الخامسة . تضابع : تمد ضبعيها (عضديها) في الجري . وجين : حفين .
4 الرجراجة : الكتيبة العظيمة . استنت : أسرعت .
5 الطابق : نهر ببغداد ، وفي ل : الطائف .
6 الطف : الموضع الذي قتل فيه الحسين . ذو حسم : موضع .
7 الجسر : مكان الوقعة بين المسلمين والفرس . والقصران : ناحيتان بالريّ .
8 الواسط : المقدم وأوّل الشيء ، ويقصد مقدم الرحل .

عبدالرحمن بن عوف قال : حدّثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، قال : لمّا حضرت غيلان بن سلمة الوفاة ، وكان قد أحصنَ عشراً من نساء العرب في الجاهلية ، قال : «يا بَنيَّ ، قد أحسنتُ خدمة أموالكم ، وأمجدْتُ أمّهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببُيوتات العرب ، فإنّها معارج[1] الكرم ، وعليكم بكلِّ رمكاء[2] مكينةٍ ركينةٍ ، أو بيضاء رزينة ، في خِدر بيت يُتّبَع ، أو جدٍّ يُرتجى ، وإيّاكم والقصيرة الرَّطلة[3] ، فإنّ أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي ، القصير الرَّطل[4] . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وحُرّةِ قومٍ قــد تَنوَّق فِعلها ... وزيَّنَهـــا أقوامُهـــا فتزيّنـــتْ[5]

رَحلت إليها لا تُـرَدُّ وسيلتي ... وحَمّلتُها من قومها فتحمَّلَتْ

[وفود غيلان على كسرى]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال : كان غيلان بن سلمة الثّقفيّ قد وَفَد إلى كسرى فقال له ذات يوم : يا غيلان ، أيُّ ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : «الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم» . قال له : ما غذاؤك ؟ قال : خبزُ البرّ . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغِذاؤك غِذاءُ العرب ، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكراني ، قال العُمريّ : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أَتَمَّ من هذه الرواية ، ولم أسمعه منه . قال الهيثم : حدّثني أبي ، قال : خرج أبو سفيان بنُ حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلمّا ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلي خطر ، ما قدومنا على ملك جبّارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمَتْجَر ؟! ولكن أيُّكم يذهب بالعِير ، فإن أُصيب فنحن برآء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني إذاً فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول : [من البسيط]

ولـو رآني أبو غيلانَ إذْ حَسَرت ... عنّي الأمـورُ إلى أمـرٍ لـه طَبَقُ[6]

لقـال رُغبٌ ورُهب يُجمعان معاً ... حبُّ الحياة وهَول النَّفس والشفقُ

---

1 ل : مدارج .

2 الرمكاء : التي في لونها حمرة مختلطة بسواد .

3 الرَّطلة : الحمقاء الضعيفة .

4 انظر وصية مماثلة في البيان والتبيين 2 : 67 .

5 تنوّق فِعلها في ل : توسق فضلها .

6 له طبق : له خطره .

إمّا بقيــتَ على مجــدٍ ومَكرمة أو أسوة لك فيمن يَهْلِك الوَرِقُ

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً[1] ، فلمّا قدِم بلاد كسرى تخلّق[2] ولبِس ثوبينَ أصفرين ، وشهر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أذن له . فدخل عليه وبينهما شبّاكٌ من ذهب ، فخرج إليه الترجمان ؛ وقال له : يقول لك الملك : ما أدخلك بلادي بغير إذني ؟ فقال : قل له : لستُ من أهل عداوةٍ لك ، ولا أتيتُك جاسوساً لِضِدٍّ من أضدادك ، وإنّما جئتُ بتجارةٍ تستمتع بها ، فإن أردتَها فهي لك ، وإن لم تُرِدها وأذِنت في بيعها لرعيّتك بعتُها ، وإن لم تأذن في ذلك رددتُها . قال : فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يُقدِم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدتُ إعظاماً له . قال : فاستحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحته . فلمّا أُتِي بها رأى عليها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحمَقَه ، وقال للترجمان : قل له : إنّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها . قال : قد علمتُ ، ولكنّي لمّا أتِيتُ بها رأيتُ عليها صورة الملك ، فلم يكن حقُّ صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقُّها التعظيم ، فوضعتها على رأسي ، لأنّه أشرفُ أعضائي وأكرمها عليّ . فاستحسن فِعلَه جدّاً ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : فأيُّهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب . فقال كسرى : زِه ، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفِعل إلاّ حظُّك ، فهذا فِعلُ الحكماء وكلامُهم ، وأنت من قومٍ جُفاةٍ لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البُرّ ، لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكَساه وبعث معه من الفُرس مَن بنى له أُطماً بالطائف ، فكان أوّل أُطم بنى بها .

[رثاؤه لأخيه نافع]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمر بن أبي بكر الموصليّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : استُشهد نافع بن غيلان بن سلمة الثّقفيّ مع خالد بن الوليد بدُومة الجندل ، فجزِع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه : [من الكامل]

ما بالُ عيني لا تُغمِّضُ ساعــةً إلاّ اعترتنــي عَبْـرةٌ تغشاني

---

1 ل : فحماً .

2 تخلق : تطيب بالخلوق .

أرعى نجوم الليل عندَ طُلوعِها وَهْناً وهُنَّ من الغُروب دوانِ
يا نافعاً مَن للفوارس أحجمت عَن فارس يعلــو ذُرى الأقرانِ
فلــو استطعتُ جعلتُ منّي نافعاً بين اللَّهاةِ وبين عَكْدِ لساني[1]

قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعُوتِب في ذلك ، فقال : والله لا تسمحُ عيني بمائها فأَضنٌّ به على نافع . فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : «بلي نافع ، وبلي الجزع ، وفنِي وفنيتِ الدموع ، واللّحاق به قريب» .

صوت

[من الطويل]

ألا علِّلاني قبـل نوح النَّوادبِ وقبل بُكـاء المُعْوِلاتِ القرائبِ
وقبلَ ثَوائي في تُـرابٍ وجندلِ وقبلَ نشوزِ النفس فوق الترائبِ[2]
فإنْ تأتني الدُّنيا بيومي فجاءة تجدْني وقد قضَّيتُ منها مآربي

الشعر لحاجز الأزديّ ، والغناء لنبيه هزج ، بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 عكد الشيء : وسطه .
2 نشوز النفس : ارتفاعها ، كناية عن الاحتضار .

[245] ـ أخبار حاجز ونسبه[1]

[نسبه]

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهل بن مالك بن سَلامان بن مفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيدَعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي ، وفي ذلك يقول : [من البسيط]

قومي سلامــان إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحِلفِ والحسَبِ
إنّي متــى أدعُ مخزوماً تريْ عُنُقاً ... لا يَرعَشون لضربِ القوم من كَثَبِ[2]
يُدعــى المغيرةُ في أولى عدِيدِهم ... أولادُ مَرْأَسةٍ ليسوا من الذنبِ[3]

وهو شاعر جاهليّ مقلّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممّن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارث الأزديّ ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : «أخْبِرني يا بُنَيَّ بأشدّ عدْوِك . قال : نعم ، أفزَعتني خثعم فنزوتُ نزواتٍ ، ثم استفَزَّتني الخيل واصطفَّ لي ظبيانِ ، فجعلت أنهنهما[4] بيديَّ عن الطريق ، ومنعاني أن أتجاوزَها في العَدْو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا ، فسبقتهما . فقال له : فهل جاراك أحدٌ في العَدْو ؟ قال : ما رأيت أحداً جاراني إلاّ أطَيلِس أغيبرُ من النُّقوم[5] ، فإنا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه .

قال : النُّقوم بطن من الأزد من ولد ناقِم ، واسمه عامر بن حوالة بن الهِنْو بن الأزد .

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني من كتاب بخطّ المرهِبيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوفُ بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرماً[6] من بني هلال ، وقد عصب

1 ترجمة حاجز الأزدي في أعلام الزركلي .
2 العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .
3 مرأسه : رئاسة .
4 أنهنهما : أردهما .
5 ل : البقوم .
6 الصرم : الجماعة .

على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيه . فلمّا أشرف عليهم استرابوا به ، فركِبوا في طلبه ، وانهزم من بين أيديهم ، وطمِعوا فيه ، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان ، فأصيب يومئذٍ بنو هلال ، وملأ القوم أيديهم من الغنائم . ففي ذلك يقول حاجز بن عوف : [من الوافر]

صباحكِ واسلمي عنّا أُماما ... تحيّة وامقٍ وعِمِي ظلاما

بَرَهْرَهَةٌ يحار الطرف فيها ... كحُقّةِ تاجر شُدّت ختاما[1]

فإن تمسِ ابنةُ السهميّ منّا ... بعيداً لا تكلِّمنا كلاما

فإنّكِ لا محالةَ أن تريني ... ولو أمست حبالكم رماما

بناجِية القوائم عَيْسَجُورٍ ... تَدارَكَ نِيُّها عاماً فعاما[2]

سلي عنّي إذا اغبرَّتْ جمادى ... وكان طعام ضيفِهم الثماما[3]

ألسنا عِصمةَ الأضياف حتى ... يُضَحَّى مالُهم نَفَلاً تواما[4]

أبي رَبَع الفوارِس يومَ داجٍ ... وعمِّي مالكٌ وضع السِّهاما[5]

فلو صاحبتِنا لرضيت منا ... إذا لم تغبِق المائة الغلاما[6]

يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشّر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنِموا الربع ، لأنّ الرياسة في الأزد كانت لقومه . وكان يقال لهم : «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم . فغزتهم بنو فُقَيْم بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالك بن سلامان ، وهو عمّ أبي حاجز ، وقال : «هيهات ، ترك الرُّبع غدوة[7] فأرسلها مثلاً ، فقال له الحارث : أتراك يا مالك تقدِر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذاك . فقال : أعطني ولو جَعْباً ، والجَعْب :

1 شُدَّت في ل : سُدَّت . برهرهة : غضة بضة . حقة : وعاء من خشب أو عاج .
2 الناجية : السريعة . عيسجور : ناقة صلبة سريعة . تدارك فيها : تلاحق شحمها .
3 اغبرت جمادى : قل الخير في الشتاء . التمام : نبت ضعيف .
4 ضحى إبله : رعاها وقت الضحى . توام : مخفف توأم .
5 ربع : أخذ المرباع ، وهو ربع الغنيمة .
6 تغبق : تسقي الغبوق ، وهو شرب العشي .
7 لم نجده في كتب الأمثال .

البعر في لغتهم ، لئلا تسمع العرب أنّك منعتني . فقال مالك : «فمن سماعها أفرّ» ، ومنعه الربع ، فقال حاجز في ذلك : [من الطويل]

ألا زعمت أبناءُ يشكرَ أننا   بِربعِهم باءوا هنالك ناضِلُ[1]
ستمنعنا منكم ومن سوءِ صُنعِكم   صفائحُ بيضٌ أخلصتها الصياقلُ
وأسمرُ خطّيٌّ إذا هُزّ عاسلٌ   بأيدي كُماةٍ جرّبتها القبائلُ

وقال أبو عمرو : جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدوان ، فدلّهم على خثعم ، فأصابوا منهم غرّة وغنِموا ما شاءوا ، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعّدونه ويرصدونه ، فقال : [من الطويل]

وإنّيَ من إرعادِكم وبروقِكم   وإبعادكم بالقتل صُمٌّ مسامِعي
وإنّي دَليلٌ غيرُ مخفٍ دَلالتي   على ألفِ بيتٍ جَدُّهم غيرُ خاشعِ
تَرى البيض يركُضْنَ المجاسِدَ بالضّحى   كذا كلٌّ مشبوح الذراعين نازِعِ[2]
على أيِّ شيء لا أبا لأبيكم   تشيرون نحوي نحوكم بالأصابعِ

[عمرو بن معديكرب يطعن حاجزاً]

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سَلامان وفيهم عمرو بن معديكرب ، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان ، فالتَقَوْا واقتتلوا ، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزاً فأنفذ فخذه ، فصاح حاجز : يا آل الأزد ! فندِم عمرو وقال : خرجت غازياً وفجعت أهلي . وانصرف ، فقال عُزَيِّل الخثعميّ يذكر طعنةَ عمرٍو حاجزاً ، فقال : [من الوافر]

أعجز حاجِزٌ مِنّا وفيهِ   مشلشِلةٌ كحاشِيةِ الإزارِ[3]
فعزّ عليّ ما أعجزت منّي   وقد أقسمت لا يضربْك ضارِ

فأجابه حاجز فقال : [من الطويل]

إنْ تذكروا يومَ القريّ فإنّه   بَواءٌ بأيّامٍ كثيرٍ عديدها[4]
فنحن أبحنا بالشخيصةِ واهِناً   جهاراً فجئنا بالنساءِ نَقودُها
ويومِ كَراءٍ قد تداركَ ركضُنا   بني مالكٍ والخيلُ صُعْرٌ خدودها[5]

---

1 باءوا : فخروا . ناضل : غالب .
2 المجاسد : الثياب المعصفرة بالزعفران .
3 مشلشلة : ضربة تفيض دماً .
4 القري : واد . بواء : نظير .
5 كراء : ثنية بالطائف .

ويوم الأراكاتِ اللواتـي تأخّرت سراةُ بني لهبان يدعو شريدها[1]
ونحـن صبَحْنا الحيَّ يوم تَنومةٍ بملمومة يُهوى الشجاع وئيدُها[2]
ويوم شَروم قـد تركنـا عِصابة لدى جانب الطرفاء حُمراً جلودها
فمـا رغمت خلفاً لأمرٍ يصيبها من الذلّ إلاّ نحنُ رغمـا نزيدها

[سحرت عجوز سلاحه]

وقال أبو عمرو : بينما حاجز في بعض غزواته إذا أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويَقفلوا ويَمضُوا ونمضي معهم فيظنّونا بعضهم . ففعلا ، وكانت في ساق حاجز شامةٌ ، فنظرت إليها امرأةٌ من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحَه أو عَدْوه . فقالوا : لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثلَه ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوفُ بن الأغر[3] بن همام بن الأسرّ بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفـزِع الخثعمي ، حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوف ارم حاجزاً . فلم يُقدم عليه ، وجبُن ، فغضبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الذمام ، فاقتل عوفاً فإنّه قد فضحنا . فنزع في قوسه ليرميه ، فانقطع وترُهُ ، لأنّ المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم . ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركِبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه ، فمرّ فنجا وقال في ذلك : [من الطويل]

فِدى لكمـا رجْليَّ أمّي وخالتي بسعيِكما بين الصفـا والأثائبِ[4]
أوانَ سمعتُ القـوم خلفي كأنّهم حريق أباءٍ في الريّـاح الثواقبِ
سيوفهم تغشى الجبـان ونَبلُهم يُضيء لدى الأقوامِ نار الحُباحِبِ[5]

1 الأراكات : أودية بالقرب من مكة .
2 ملمومة : كتيبة مجتمعة .
3 ل : الأعسر .
4 الأثائب : شجر ينبت في بطون الأودية .
5 المثل «أخلف من نار الحباحب» في مجمع الميداني 1 : 253 وجمهرة العسكري 1 : 434 ومستقصى الزمخشري 1 : 108 . والحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه . وقيل هو رجل كان بخيلاً فلا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان .

فغير قتـــالي في المَضيقِ أغاثنـــي ولكن صَريخ العَدْو غير الأكاذِبِ
نجوت نجـــاءً لا أَبيك تبثـــه وينجو بشير نَجوَ أزعرَ خاضِبِ[1]
وجـــدتُ بعيراً هامِـــلاً فركِبته فكادت تكون شرَّ رِكبةِ راكبِ

[إغارته على بني هلال]

وقال أبو عمرو : اجتاز قوم حُجّاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة ، فعرَفهم ضَمرة بن ماعز سيد بني هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجزاً ، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم ، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز : [من الكامل]

يا ضمرُ هـــل نِلناكم بدمائنا أم هـــل حذونا نَعْلكم بمثالِ
تبكـــي لِقَتْلى مـــن فُقَيْم قُتِّلوا فاليوم تبْكـــي صادقـــاً لهلالِ
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفـــة عـــلى الأكفالِ
يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا لقِحت على الدكّاء بعد حِيالِ[2]

[أخت حاجز ترثيه]

قال أبو عمرو : خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعُدْ ، ولا عُرِف له خبر ، فكانوا يَرون أنّه مات عطشاً أو ضلّ ، فقالت أخته ترثيه : [من الوافر]

أحيٌّ حاجـــزٌ أم ليس حيّاً فيسلك بين جَندَف والبهيمِ[3]
ويشربَ شربةً مـــن ماء ترج فيصدرَ مِشيـــة السبع الكليمِ

[حاجز فرّار]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة ، قال : كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفِرار ، لقي عامراً[4] فهرب منهم فنجا ، وقال : [من الطويل]

ألا هـل أتـــى ذاتَ القلائد فَرَّتي عشيةَ بين الجُرفِ والبحر من بعرِ[5]

---

1 لا أبيك : لا وأبيك . الأزعر : القليل الشعر . الخاضب : الظليم إذا أكل الربيع فاحمر ساقاه .
2 الدكاء : رابية . بعد حيال : بعد أن كانت عقيمة .
3 جندف والبهيم : جبلان .
4 عامراً في ل : غامداً .
5 الجرف والبعر : موضعان .

عشيةَ كادت عامر يقتلونني ... لدى طَرَفِ السَّلماء راغية البكرِ[1]
فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجلَه ... وقد كاد يلقى الموتَ في خلفة الصقرِ[2]
بمثلي غداةَ القومُ بين مُقَنَّع ... وآخرَ كالسكرانِ مرتكِزٍ يفري[3]

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعميّ ثم الأكلبيُّ ، ففاته حاجز ، وقال في ذلك : [من الكامل]

وكأنّما تبع الفوارسُ أرنبا ... أو ظبيَ رابيةٍ خُفافاً أشعبا[4]
وكأنّما طردوا بذي نمراته ... صَدَعاً من الأروى أحَسَّ مكلِّبا[5]
أعجَزْتُ منهم والأكفُّ تنالني ... ومضت حياضهم وآبوا خُيَّبا
أدعو شَنوءةَ غثَّها وسمِينَها ... ودعا المرقّع يوم ذلك أكلُبا

وقال يخاطب عوض أمسى : [من الكامل]

أبلِغ أميمة عوض أمسى بزَّنا ... سلباً وما إن سَرَّها أن نُنْكبا[6]
لولا تقارب رأفة وعيونها ... يخمشْنَ خمشاً مصعداً ومصوِّبا

صوت

[من الكامل]

يا دارُ من ماوِيَّ بالسَّهب ... بنيت على خطب من الخطبِ
إذ لا ترى إلاّ مُقاتلة ... وعَجانساً يُرقِلن بالرَّكْبِ[7]
ومُدَجَّجاً يسعى بشِكّتِه ... مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكلبِ
ومعاشراً صدأُ الحديدِ بِهم ... عَبَقَ الهِناء مَخاطِمَ الجربِ[8]

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسيّ ، والغناء لمعبد ، رمل بالبنصر ، من رواية يحيى المكّي ، وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله أعلم .

---

1 عامر في ل : غامد . المثل «أصابتهم راغية البكر» في أمثال أبي فيد : 44 . وانظر فصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وجمهرة العسكري 2 : 156 .
2 خلفة الصقر : اختلافه مرة بعد مرة .
3 يفري : يبالغ في النكاية والقتل .
4 الظبي الأشعب : البعيد ما بين القرنين .
5 الصدع : الوعل الشاب القوي ، الأروى : أنثى الوعل .
6 نُنكبا في ل : تسلبا .
7 العجانس : جمع عنجس ، الشديد الضخم من الإبل .
8 الهناء : ما تطلى به الإبل كالقطران . المخاطم : جمع مخطم : مقدم أنف الناقة وفمها .

[246] ـ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[نسبه]

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عبد الله بن عُدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، شاعرٌ فارسٌ ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل بن عمرٍو شاعر أيضاً ، وهو أوّل مَن وفد من دوس على النبي ﷺ ، فأسلم وعاد إلى قومه ، فدعاهم إلى الإسلام .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، واللفظ في الخبر له ، والله أعلم .

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه : أنّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكّة حاجّاً ، وقد بُعِث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلاً يعصو ، والعاصي البصير بالجِراح ، ولذلك يقال لولده : بنو العاصي ، فأرسلته قريشٌ إلى النبيّ ﷺ وقالوا : انظر لنا ما هذا الرجل ، وما عنده ؟ فأتى النبيّ ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فقال له : إنّي رجلٌ شاعر ، فاسمع ما أقول . فقال له النبيّ ﷺ : هات . فقال : [من الطويل]

لا وإلـه الناس تألَـمُ حربَهم ... ولـو حاربَتْنا مُنهِبٌ وبنو فهمِ[1]

ولمّا يكن يـومٌ تـزول نجومُه ... تطير بهِ الرُّكبانُ ذو نبإ ضخمِ

أسلماً على خَسفٍ ولستُ بِخالِدٍ ... وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمِي

فلا سلمَ حتى تحفِزَ الناسَ خِيفةٌ ... ويصبحَ طيرٌ كانِساتٍ على لحمِ

فقال له رسول الله ﷺ : وأنا أقول فاستمع ، ثم قال : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» . ثم قرأ : «قل أعوذ بربّ الفلق» ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد إلى قومه ، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء ، حتى نزل بَرُوق ، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر ، فلم يبصِر أين

---

1 ترجمة الحارث بن الطفيل في الوافي بالوفيات 11 : 258 وأعلام الزركلي وكتب الصحابة مثل أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . حاربتنا في ل : صالحتهم .

يسلك ، فأضاء له نور في طرفِ سوطه ، فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : نار أحدِثت على القَدومِ ثم على بَرُوق لا تطفأ . فعلِقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه ، ودعا قومه فلم يجبه إلاّ أبو هريرة ، وكان ينزل هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع[1] ، فلقيه بطَريق يزحزح[2] ، وبلغنا أنه كان يزخف في العقبة من الظلمة ويقول : [من الكامل]

يــا طولهــا مــن ليلةٍ وعنائها ... على أنّها من بلدةِ الكفرِ نَجَّتِ

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبيّ ﷺ ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلادٌ حصينة وكفرٌ شديد . فتوضأ النبي ﷺ ثم قال : «اللهمّ اهد دوساً» ثلاث مراتٍ . قال أبو هريرة : فلمّا صلّى النبي ﷺ خِفت أن يدعو على قومي فيهلِكوا ، فصحت : واقوماه ! فلمّا دعا لهم سُرِّيَ عنّي ، ولم يحبّ الطفيل أحد أن يدعو لهم لخلافِهم عليه . فقال له : لم أحِبَّ هذا منك يا رسول الله . فقـال لـه : إن فيهم مثلك كثيراً . وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويَّة بن سعد بن الحارث من ذبيان بن عوف بن مُنهِب بن دوس يقول في الجاهلية : إنّ للخلق خالِقاً لا أعلم ما هو . فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبيّ ﷺ ، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوي الآجرة بيدي ، ثم لويت على وسطي حتى كأنّي بِجادٌ[3] أسود ، وكان جندب يقرّبهم إلى النبيّ ﷺ رجلاً رجلاً ، فيسلمون .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل ، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكِر عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ ضِماد بن مُسَرّح بن النعمان بن الجبّار بن سعدِ بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر ، سيّد آل الحارث ، كان يقول لقومه : أحذّركم جرائر أحمقَين من آل الحارث يبطلانِ رياستكم . وكان ضِمادٌ يتعيّف ، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلّها ، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم ، وكان القتيلُ من آلِ الحارثِ تؤخذ له دِيتانِ ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة ، فقال غلامان من بني الحارث يوماً : ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم[4] الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله . فأتياه ،

1 ذو رِمَع في ل : ذو منعا .
2 بطريق يزحزح في ل : بطرف برحرح .
3 بجاد : كساء مخطّط .
4 وزعيمهم في ل : ونهيهم .

فقالا : يا عمّ ، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله ، فلمّا تنحّيا به قال له أحدهما : يا عمّ ، إن رِجلي قد دخلت فيها شوكة ، فأخرِجها لي . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله ، فعمَدت دوس إلى سيِّد بني الحارث ، وكان نازلاً بقَنَوْنى [1] فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي ، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضةَ وعقَلوها ، فجلعت الناقة ترغو وتحِنّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرفَ شأنَ الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أَتَوا أهله ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لِدَوس وغَزَوهم فنَذِروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا ، وظفِرت بنو الحارث بِغِلمةٍ من دوس فقتلوهم ، ثم إنّ دوساً اجتمع منهم تسعةٌ وسبعون رجلاً ، فقالوا : من يكملنا ثمانين حتى نغزو أهل ضِماد ؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله ، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنّى : [من الوافر]

فإنَّ السلمَ رائـدة نواهــا وإنّ نـوى المحارب لا ترود

فقالوا : هذا لا يتبعكم ، ولا ينفعكم إن تبِعكم ، أما تسمعون غناءه في السِّلم . فأتوا حُمَمَة بن عمرو ، فقالوا : أرسِل إلينا بعض ولدك . فقال : وأنا إن شئتم . وهو عاصب حاجبَيه من الكِبَر . فأخرج معهم ولده جميعاً ، وخرجَ معهم ، ثم قال لهم : تفرّقوا فرقتين ، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا ، وإيّاكم والغرةَ حتى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضاً . ففعلوا ، فلم يلتفِتوا حتى قتلوا ذلك الحيَّ من آل الحارثِ ، وقتلوا ابناً لضمادٍ ، فلمّا قدِم قطع أذنَـي ناقته وذنبها ، وصرخ في آل الحارث ، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه ، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرَّفُ بعضهم [2] بعضاً ، وكان ضماد قد قال لابن أخٍ له يكنى أبا سفيان لّما أراد أن يأتي عكاظ : إنْ كنتَ تحرز [3] أهلي ، وإلاّ أقمتُ عليهم . فقال له : أنا أحرِزهم من مائة ؛ فإنْ زادوا فلا . وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس ، وهي أخت مربان بن سعدِ الدوسيّ الشاعر ، فلمّا أغارت دوسٌ على بني الحارث قصدها أخوها ، فلاذت به ، وضمّت فخذها على ابنها من ضِمادٍ ، وقالت : يا أخي اصرِف عنّي القوم ، فإنّي حائض لا يكشفوني . فنكز سِية القوس في دِرعِها ، وقال : لست بحائض ، ولكن في دِرعِك سَخْلَةٌ بكذا من آل الحارث ، ثم أخرج الصبيَّ فقتله . وقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى أمَّ الحُصَيْن ولو نأت خِلافتُنــا في أهلِـه ابنُ مُسَرَّحِ

---

1 قنونى : اسم واد .

2 يتطرف : يغير .

3 تحرز : تصون .

ونضرةُ تدعـو بالفِناء وطَلْقُها ... ترائِبه ينفحن مـن كلِّ مَنْفَحِ[1]
وفــرّ أبو سفيانَ لّمـا بـدا لنا ... فِرارَ جبانٍ لامَّهِ الذلُّ مُقْرحِ[2]

[يوم حضرة الوادي]

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي ، فتحاشد الحيان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالِهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبلِ ، وأتتهم دوس . وأنزل خالد بن ذي السبلة بناتِه هنداً وجندلةَ وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتاً ، وجعلن يَستقِين الماء ، ويحضّضْن . وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطينه مُكحُلة ومِجْمرا ، وقلن : أهلاً معنا فانزل ، أي إنّك من النساء ، وجعلت هندٌ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول : [من الرجز]

مَــنْ رجــلٌ ينازِل الكتيبَهْ ... فذلِكــم تَزني بــه الحبيبَهْ

فلمّا التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث ، فقال : خُذْها وأنا أبو الزبن[3] ، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي : يا قوم زُبِنتم فارجعوا . ثم رجل آخر من دوس ، فقال : خذها وأنا أبو ذِكر[4] . فقال ضِماد : ذهب القوم بذكرها ، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جبُنت يا ضِماد . ثم التقوا ، فأُبيرت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو .

وأمّا الكلبيّ فإنّه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغِطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم دِيتان ، ولسائر قومه دية ، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة ، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتي بيت الدَّوْسيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب ، ثم يدخل ، فيجيء الدوسي ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوّل الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرِض عن ذكره . فأعرضَ عن هذا الأمر ، وإنّ رجلاً من دوس عرَّس بابنةِ عمّ له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكريّ ، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك . فجمع دوساً وقام فيهم ، فحرّضهم وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذلّ ، هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقاتلكم ، فاصبروا تعيشوا كِراماً أو تموتوا كِراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفِرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذٍ : [من الرجز]

---

1 الطلق : أصلاً الظبي . ينفخن بالدم : ينضحن دماً .
2 مقرح : مجروح .
3 الزبن : الدفع .
4 أبو ذكر : أبو الصيت والثناء .

قد علمت صفراءُ حرشاءُ الذيـلْ شرّابـةُ المحض تـروكٌ للقيلْ[1]
ترخي فروعاً مِثلَ أذنابِ الخيلْ أنّ بَرُوقــاً دونهــا كالويلْ
ودونها خـرطُ القتادِ بالليلْ[2]

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسيّ في هذا اليوم ، عن أبي عمرو : [من الكامل]

يــا دارُ مِـن مــاوِيّ بالسَّهبِ بُنِيت على خَطْبٍ مـن الخطْبِ
إذ لا تــرى إلاّ مقاتلـــةً وعَجانِسا يُرْقِلْـن بـالركبِ
ومُدَجّجــاً يسعــى بِشِكتِــه محمــرّةً عينــاه كالكلـبِ
ومَعاشرا صـدأ الحديـدِ بهـم عبـق الهِنْـاء مخاطِم الجُربِ
لّمــا سمعــت نَزالِ قـد دُعِيت أيقنــت أنّهــمُ بنــو كعـبِ
كعبِ بنِ عمرو لا لِكعب بني الـ ــعنقاء والتِّبْيـانِ في النسبِ
فرميــتُ كبشَ القــوم مُعْتَمِداً فمضى وراشوه بــذي كعـبِ[3]
شكّــوا بحَقْوَيْـــه القــداحَ كما نــاط المُعَــرِّضُ أقدحَ القضْبِ[4]
فكـأنّ مُهــري ظــلّ مُنْغَمِسا بشبا الأسِنــة مَغْــرَةُ الجأبِ[5]
يــا ربّ موضوعٍ رفعتُ ومر فــوع وضعتُ بمنزل اللِّصبِ[6]
وحَلِيل غانِيــة هتكــتُ قرارها تحت الوغـى بِشديـدةِ العضبِ[7]
كانــت على حُــبّ الحياة فقد أحللتهـــا في منــزلِ غـربِ[8]
«جانِيك مَــنْ يَجْني عليكِ وقد تُعْدي الصِّحاحَ مبارِكُ الجربِ»[9]

---

1 حرشاء : خشنة . القيل : اللبن يشرب نصف النهار .
2 المثل «دونه خرط القتاد» في مجمع الميداني 1 : 265 ومستقصى الزمخشري 2 : 82 .
3 الكبش : الرئيس . راشوه : من الرشوة . ذو كعب : الرمح .
4 الحقو : الخصر . القداح : السهام . ناط : علق . المعرض : الرامي الذي يعرض القوس عرضاً ثم يرمي . أُقدح : جمع قِدح ، وهو السهم . القضب : جمع قضيب ، ويعني القوس .
5 المغرة : لون مائل إلى الحمرة . الجأب : موضع .
6 اللصب : مضيق الوادي .
7 العضب : الطعن .
8 غرب : بعيد .
9 المثل «جانيك من يجني عليك» في مجمع الميداني 1 : 169 وجمهرة العسكري 1 : 306 ومستقصى الزمخشري 2 : 48 .

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سُريج ؛ وليس هو في هذه القصيدة ، ولا وُجِد في الرواية ، وإنّما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تُضِيف المغنون شعراً إلى شعر ، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الرويّ والقافية .

صوت[1]

[من الهزج]

صرفتُ هواكَ فانصرفا ولم تَـرْعَ الذي سلفا
وبِنتَ فلـم أمتْ كلفا عليك ولم تَمُـتْ أسفا
كلانـا واجـد في النا س مِمّن ملّـــه خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذّل ، والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، رملٌ بالوسطى ، وفيه لعمر الميداني هزجٌ .

---

1 ديوان عبد الصمد بن المعذل (صادر) : 142 .

[247] ـ أخبار عبد الصمد بن المعذَّل ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البَختريّ بن المختار بن ذَرِيح بن أوس بن همّام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن جِدرِجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ . وقيل : ربيعة بن ليث بن حمران .

وجدت في كتابٍ بخطّ أحمد بن أبي كامل : حدّثني غيلان بن المعذّل أخو عبد الصمد ، قال : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد ، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعْميّ . والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دُعْميّ . ويكنى عبد الصمد أبا القاسم ، وأمّه أمّ ولد يقال لها : الزّرقاء . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصريّ المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان ، شديد العارضة . وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً ، إلاّ أنّه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلدِه وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما . وكان أبو عبد الصمد المعذّل وجدّه غيلان شاعرين ، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعذَّل بن غيلان هو الذي يقول : [من الطويل]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني ... أرى صالح الأعمال لا أستطِيعها

أرى خلّةً في إخوة وقرابةٍ ... وذي رَحِمٍ ما كان مِثلي يُضيعها

فلو ساعَدَتني في المكارم قدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوالِ ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش ، عن المبرِّد ، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزُبان عن الربعيّ أيضاً . قالا : وهو القائل : [من الطويل]

ولستُ بميّالٍ إلى جانبِ الغِنى ... إذا كانت العلياءُ في جانِبِ الفقرِ

وإنّي لصبّار على ما ينوبُني ... وحسبُكَ أنّ الله أثنى على الصبرِ

[تهاجى المعذّل وأبان اللاحقي]

أخبرني محمد بن خلفٍ ، قال : حدّثنا النَّخَعيّ وإسحاق حدّثنا الجماز قال : هجا أبان اللاحقيّ المعذَّل بن غيلان ، فقال : [من الخفيف]

---

1 ترجمة عبد الصمد بن المعذل في طبقات ابن المعتز 367–369 والسمط : 325 والموشح : 528 وفوات الوفيات 2 : 330 وأعلام الزركلي والتذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره الدكتور زهير زاهد (صادر) .

كنتُ أمشي مـع المعذَّلِ يوماً ففسا فَسوةً فكـدتُ أطيرُ
فتلفتُّ هـل أرى ظَرِبانـا من ورائي والأرضُ بي تستديرُ
فـإذا ليس غيرُه وإذا إعـ ـصارُ ذاك الفُساءِ منـه يفورُ
فتعجَّبت ثم قلـتُ لقد أعـ ـرِفُ ، هذا فيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعذَّل فقال : [من مجزوء الرمل]

صَحَّفَتْ أُمُّك إذْ سَمَّـ ـتك بالمهـدِ أبانـا
قـد عَلِمنـا مـا أرادت لم تُـرِدْ إلاّ أتانـا
صَيَّرتْ بـاءً مكان الـ ـتـاء واللهِ عِيانـا[1]
قَطَـعَ اللهُ وشيكـا مِـن مُسمِّيـك اللسانا

[المعذل وعبد الله بن سوار]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا المبرد قال : مرَّ المعذّل بن غيلان بعبد الله بن سوّار العنبريّ القاضي ، فاستنزلَه عبد الله ، وكان من عادة المعذَّل أن ينزل عنده ، فأبى ، وأنشده : [من الوافر]

أمِن حـقّ المـودّةِ أن نُقضّي ذِمامَكـمُ ولا تَقْضُـوا ذماما
وقد قال الأديبُ مقالَ صِدقٍ رآه الآخَـرُون لهـم إمـاما
إذا أكرمتُكـم وأهنتمـوني ولم أغْضَب لذلكـم فـذا ما

قال : وانصرف ، فبَكَّر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مُغضباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك . قال : ذَنْبُك أشدّ من عذرك ، وما لي أنا أعرف خَبَر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي ؟ ! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رَضِيَ عنه .

[يهجو شروين المغني]

حدّثني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن الحمدونيّ ، قال : كان شروين حسنَ الغناء والضّرب ، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتُلوّح له بخرقة حمراء ، ليظنَّها امرأةً تطالعه ، فكان حينئذٍ يغنّي أحسَنَ ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك ، فغضـب عليه عبد الصمد في بعض الأمـور ، فقال يهجـوه[2] : [من السريع]

---

1 والله عيانا في ل : فالله أعانا .

2 ديوانه : 198 .

مَن حلّ شروينُ له منزلاً فلتنههُ الأولى عن الثانيهْ
فليسَ يدعوه إلى بيته إلاّ فتًى في بيته زانيهْ

[زانٍ متزوّج زانية]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو عمرو البصريّ ، قال : قال عبدالصمد بن المعذَّل في رجلٍ زانٍ من أهلِ البصرة كانت له امرأةٌ تزني ، فقال[1] : [من السريع]

إن كنتِ قد صفَّرتِ أذْنَ الفتى فطالما صَفَّرَ آذانا
لا تعجِبي إن كنتِ كَشْخَنْتِه فإنَّما كشخنتِ كشخانا[2]

[عاشق جارية ابن الجوهريّ]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : حدّثنا سوّار بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهريّ ، وكانت له جاريةٌ مغنّيةٌ حسنة الغناء ، وكان ابنُ الجوهريّ شيخاً هِمّاً قبيح الوجه ، فتعشَّقَتْ فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه . وكان الفتى نظيفاً ظريفاً ، فاجتمعت معه مِراراً في منزله ، وكان عبد الصمد يعاشره ، فكان الفتى يكاتمه أمرَه ، ويحلِف له أنّه لا يهواها ، فدخلتُ عليهما ذات يومٍ بغتةً ، فبقيَ الفتى باهتاً لا يتكلّم ، وتغيّر لونه وتخلَّج في كلامه ، فقال عبد الصمد[3] : [من المتقارب]

صوت

لسانُ الهوى ينطقْ وَمَشْهَدُه يَصدقْ
لقد نَمَّ هذا الهوى عليك وما يُشْفقْ
إذا لم تكن عاشقاً فقلبُك لِمْ يخفقْ
وما لَكَ إمَّا بدَتْ تَحارُ فلا تنطِقْ
أشمسٌ تجلّت لنا أم القمرُ المشرقْ

الغناء في هذه الأبيات لرذاذٍ ، ويقال للقاسم بن زرزور ، رملٌ مطلقٌ .

قال : ثم طال الأمر بينهما ، فهربتْ إليه جملةً ، فقال عبد الصمد في ذلك[4] : [من المديد]

إلى امرىءٍ حازم ركِبَتْ أيَّ امرىء عاجزٍ تركَتْ

---

1 ديوانه : 182 .
2 كشخان : لا يغار على نسائه .
3 ديوانه : 144 .
4 ديوانه : 88–89 عن الأغاني .

فتنةُ ابن الجوهـريّ لقـد أظهرَتْ نُصحاً وقد أفِكتْ
أكذبَتْهـا عزمـةٌ ظهرت لا تبالي نفسَ مَن سفكتْ
ظفِرتْ فيهـا بمـا هَوِيَتْ ونَجَت من قُرب من فَرِكَتْ
ثـمّ خدود بعدها لُطِمَتْ وجيوب بعدهـا هُتِكَتْ[1]
وعيـون لا يُرقّـأن على حُسْنِ وجه فاتَهُنَّ بكَتْ[2]
خرجَـتْ والليـل مُعْتكِرٌ لم يَهُلْهـا أيَّـةً سلكَتْ
وعيونُ النّاس قـد هجعت ودُجى الظّلماء قد حَلَكتْ[3]
لم تَخَفْ وجـداً بعاشقها حُرمةَ الشَّهرِ الذي انتهكَتْ
ورأتْ لّمـا سَقَتْ كَمداً أنَّهـا في دينهـا نَسَكَتْ
مُلِّئَت كـفٌّ بها ظَفِرت دونَ هذا الخلق ما مَلَكتْ
أيُّ ملك إذ خـلا وخلَتْ فشكا أشجانَـه وشَكَتْ
تَجتـلي مـن وجههِ ذهباً وهـو يَجلُو فضّةً سُبِكَتْ
هكـذا فعـلُ الفتـاة إذا هـي في عشّاقها محكَتْ[4]

[هجاؤه جاراً له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني بعض أصحابنا قال : نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى جارٍ له يخطِر في مِشيته خطرةً منكرة ، وكان فقيراً رثَّ الحال ، فقال فيه[5] : [من الخفيف]

يتمشّى في ثَوب عَصْبٍ من العُرْ ي على عظْـم ساقِـهِ مسدولِ[6]
دبَّ في رأسه خُمـارٌ من الجو عِ سُرى خَمرةِ الرحيقِ الشمولِ
فبكـى شَجْوَه وحـنَّ إلى الخُـ ـبز ونـادى بزفـرةٍ وعويلِ
مَـن لقلـبٍ متيَّـم برغيفيـ ـن ونفسٍ تاقـت إلى طِفْشيلِ

1 ثم في الديوان : كم (وبها يستقيم الوزن) .
2 يرقّأن في الديوان : ما رقأن (ليستقيم الوزن) .
3 قد هجعت في ل والديوان : هاجعة .
4 محكت : لجت وتمادت .
5 ديوانه : 158 عن الأغاني .
6 العصب : ضرب من القماش تصنع منه البرود .

ليس تسمُــو إلى الولائــم نفسي جلَّ قــدرُ الأعــراس عن تأميلي
هــاتِ لونــاً وقُــلْ لتلكَ تغنّي «لستُ أبكي لدراسات الطُّلولِ»

[رثاؤه لطفيلي]

أخبرنا سَوّارُ بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة طُفَيليٌّ يُكَنَّى أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لِبْسَ القضاة ، وأخذ ابنَيْهِ معه وعليهما القلانِس الطوال ، والطّيالسة الرقاق[1] ، فيقدّم ابنيه ، فيدقُّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يُلبِث البوابَ حتى يتقدّم الآخر ، فيقول : افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقُّون جميعاً الباب ، ويقولون : بادِرْ ويلك ، فإنَّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم ، وهابَ منظرهم ، وإن كانت معرفتُه إيّاهم قد سبَقتْ لم يلتفت إليهم ، ومع كلٍّ واحد منهم فِهْرٌ[2] مدوَّر يسمونه «كَيسان» ، فينتظرون حتّى يجيءَ بعض من دُعِيَ ، فيفتح له الباب ، فإذا فتح طرحوا الفِهرَ في العتبة حيث يدور الباب ، فلا يقدر البواب على غلقه ، ويهجمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لُقمةً حارّة من فالوذج ، وبَلَعها لشدّة حرارتها ، فجمِعت أحشاؤه فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه[3] : [من البسيط]

أحزان نفسي عليها غيرُ مُنْصَرِمهْ وأدمُعي من جفوني الدّهرَ منسجِمَهْ
على صديقٍ ومولًى لي فُجِعْتُ بهِ ما إنْ لهُ في جميع الصالحين لُمَهْ[4]
كم جفنةٍ مِثْلِ جَوفِ الحوض مُتْرَعَةٍ كوماءَ جاء بهـا طباخُها رذِمَهْ[5]
قــد كلَّلتهـــا شحومٌ مِن قَليَّتها ومِــن سَنامِ جــزورٍ عَبْطةٍ سنِمَهْ
غُيِّبْتَ عنها فلم تَعرِف لها خبراً لهفي عليكَ وعــولي يا أبا سلمَهْ
ولو تكون لها حيّـاً لمـا بَعُدت يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمَهْ[6]
قـــد كنت أعلم أنَّ الأكل يقتله لكنّني كنت أخشى ذاك من تُخَمَهْ
إذا تعمَّم في شبليــهِ ثـــم غــدا فإنّ حوزةَ مـــن يأتيه مصطَلَمَهْ[7]

1 الرقاق في ل : الزرق .
2 الفهر : الحجر .
3 ديوانه : 172–173 .
4 اللمة : المثل والنظير .
5 الرذمة : التي تسيل دسماً .
6 الجاحم الحطمة : النار الشديدة .
7 مصطلمة : مستأصلة .

[أبياته في فتى كان يتعشّقه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان ، قال : حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه ، قال : كان عبد الصمد بن المعذّل يتعشَّق فتًى من المغنِّين ، يقال له : أحمد ، فغاضبه الفتى وهَجَره ، فكتب إليه[1] : [من المنسرح]

صوت

سَلْ جزَعي مُذْ صددت عن حالي هــل خَطَــر الصبرُ عـلى بـالي
لا غيَّرَ الله سوءَ فعلــك بــي إن كنــتُ أعتبتُ فيــك عُذَّالي
ولا ذممتُ البكا لي عليـك ولا حَمِدتُ حُسنَ السلُوِّ مــن سالِ
لــو كنتُ أبغي سِواكَ ما جهِلَتْ نفسيَ أنَّ الصُّـدود أعفــى لي[2]

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق .

[هجاؤه قينة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عليُّ بن محمدٍ النّوفليّ ، فقال : هجا عبد الصمد بن المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها : [من البسيط]

تفترُّ عن مَضحَكِ السِّدْرِيِّ إن ضحكت كَـرْفَ الأُتــان رأت إدلاءَ أعيارِ[3]
يَفــوحُ ريحُ كنيـفٍ مــن ترائبهـا سوداءُ حالكــةٌ دهمـــاءُ كالقـارِ

قال : فكَسَدت والله تلك القينة بالبصرة ، فلم تُدْعَ ولم تُستَتبع حتى أُخرِجَت عنها .

[عتابه لأحد الأمراء]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا المبرد ، قال : كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعةً فلم يجبه عنها ، لشيء كان بلغه عنه ، فكتب إليه[4] : [من الخفيف]

قد كتبتُ الكتاب ثم مَضى اليو م ولم أدرِ مـا جوابُ الكتابِ
ليتَ شِعري عــن الأمير لماذا لا يراني أهــلاً لردِّ الجوابِ
لا تَدَعْني وأنت رفَّعْتَ حالي ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

---

1 ديوانه : 107–108 عن الأغاني .
2 أعفى لي : أطيب وأحسن .
3 مضحك السدري : يقصد أبا نبقة الذي هجاه (سيأتي في هذه الترجمة) . كرف الأُتان : يقال كرف الحمار إذا شمّ بول الأتان . الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .
4 ديوانه : 79 عن الأغاني .

إن أكنْ مذنباً فعندي رجوعٌ وبلاءٌ بالعذر والإعتابِ
وأنا الصادقُ الوفاء وذو العهـ ـدِ الوثيقِ المؤكَّدِ الأسبابِ

[هجاؤه رجلاً من ولد المهلّب]

أخبرني الحِرْميّ بن عليّ ، قال : حدّثني أبو الشبل ، قال : كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلّب بن أبي صُفْرة يقال له : صبيانة . وكان له بستان سريٌّ في منزله . فكان يدعو الفتياتِ إليه ، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدراهم ، ويُقْصِرُ بهنّ على ما يحمِلنه من البستان معهنَّ ، مثلَ الرُّطب والبقول والرياحين . فقال فيه عبد الصمد قوله[1] : [من الرجز]

قومٌ زناةٌ مالهم دارهمُ جذرهم النَّمَّامُ والحَماحِمُ[2]
أنذلُ من تجمَعُه المواسم خَسُّوا وخسَّتْ منهم المطاعِمُ
فعدلُهم إن قِسْتَه المظالِمُ

[جزعه من هجاء الجماز]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني سوّار بن أبي شُراعة ، وأخبرنا به سوار أجازة ، قال : حدّثني أبي ، قال : لمّا هجا الجماز عبد الصمد بن المعذَّل جاءني فقال لي : أنقِذني منه . فقلت له : أمثلك يَفرَقُ من الجماز ؟ فقال : نعم ، لأنّه لا يبالي بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه ، ولا عِرض له ، وشعره ينفُق على مَن لا يدري . فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه : [من المجتث]

ابن المعذَّل مَنْ هُو وَمَنْ أبوه المعذَّلْ
سألت وَهبانَ عنه فقال بَيضٌ مُحَوَّلْ[3]

قال : وكان وَهبان هذا رجلاً يبيع الحمام ، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه ، وجعل يغشى المجالس ، ويَحلِف لهم أنّه ما قال : إنّ عبد الصمد بيضٌ مُحوَّل ، ويسألهم أن يعتذروا إليه ؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة . فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ، ويقول لي : ألم أقُلْ لك أنّ آفتي منه عظيمةٌ ، والله لدَوَرانُ وهبانَ على الناس يحلف لهم : إنّه ما قال إنّي بيضٌ مُحوَّل ، أشدُّ عليّ من هجائه لي . فبعثتُ إلى وهبانَ فأحضرته ، وقلت له : يا هذا ، قد عَلِمنا أنّ الجمازَ قد كَذَب عليك ، وعَذَرناك فنحبُّ أن لا تَتكلَّفَ العذرَ إلى الناس في أمرنا ، فإنّا قد عذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء .

---

1 ديوانه : 170 .
2 جذرهم : أصلهم . النمام : نبت طيب كالنعنع . الحماحم : الريحان العريض الورق وفي الديوان : الثمام والخماخم .
3 محول : حضنه غير أبويه .

[بين عبد الصمد ومضرطان]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ صِهر المبرد ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : قال لي أبو شراعة القيسيُّ : بَلَغ أبا جعفر مضرطان أنّ عبد الصمد بن المعذَّل هجاه ، واجتمعا عند أبي واثِلة السَّدوسيِّ ، فقال له مضرطان : بلغني أنّك هَجَوتني . فقال له عبد الصمد : مَن أنت حتى أهجوك ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء . فوثب إلى عبد الصَّمدِ فجعل يضربه . فقال الحَمدَويّ ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حَمدَوَيه ، وحَمدوَيه جدُّه ، وهو الذي كان يقتل الزنادقة : [من مخلع البسيط]

ألــذُّ مِــن صُحبة القَناني أو اقتــراحٍ عــلى قِيــانِ

لَكْــزُ فتًى من بني لُكَيْزٍ يُهْــدى لــه أهــون الهوانِ

أهــوى لـه بــازلٌ خِدَبٌّ يطحَــنُ قرنيْه بـالجرانِ[1]

فنال منـه ثُؤُورَ قــوم باليــد طــوراً وباللِّسانِ[2]

وكان يفسُو فصار حَقّــاً يضرِطُ من خوفِ مَضْرَطانِ

قال : وبلغ عبدَ الصَّمد شعر الحمدويّ ، فقال : أنا له . ففزع الحمدويُّ منه ، فقال : [من الطويل]

تَرَحٌ طُعِنــتُ بــه وهــمٌّ واردُ إذْ قِيــل إنّ ابنَ المعــذّلِ واجدُ

هيهاتَ أن أجدَ السَّبيلَ إلى الكَرى وابنُ المعذَّلِ مــن مِزاحي حارِدُ

فرضي عنه عبد الصمد .

[بين الجماز وعبد الصمد]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال : حدّثنا العنزيّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن عُقبةَ اليشكريُّ ، قال : قال لي عبد الصمد بن المعذّل ، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس ، حتى لم يبقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلاّ رواهما ، وهما : [من المجتث]

ابنُ المعــذّل مَــنْ هو ومَــن أبــوه المعــذَّلْ

سألتُ وهبــانَ عنــه فقــال بيــضٌ مُحَــوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحدٍ ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه ، وذلك لضعتِه ، وهو قولي[3] : [من مجزوء الرمل]

---

1 خدب : جمل شديد صلب . قرناه : جانباه ، وفي ل : قطريه . الجران : مقدّم عنق البعير .

2 ثؤور : جمع ثأر .

3 ديوانه : 194 .

نسبُ الجمّـاز مقصو ر إليــه مُنْتَهــاهُ
يتــراءى نسبُ النــا س فمـا يخفـى سِواهُ
يتحاجـى في أبي الجـ ـمَّاز مــن هُـو كاتباهُ
ليس يَدْري مَن أبو الجـ ـمَّاز إلاّ مَــن يراهُ

[ينادم بستانه]

أخبرني الأخفش قال حدّثنا المبرد قال : كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر ، فأنشدنا لنفسه فيه[1] : [من المتقارب]

إذا لم يــزرني نَدْمانِيَــهْ خلـوتُ فنادمــتُ بستانيَهْ
فنادمتُــه خَضِـراً مُونقـاً يُهَيِّجُ لي ذكــرَ أشجانيَهْ
يقــرِّب مَفْرَحَــةَ المُسْتَلِـذِّ ويُبعِــد همِّــي وأحــزانيَهْ
أرى فيه مثلَ مدارِي الظِّباءِ تظــلُّ لأطلائهــا حانيَهْ
ونَــوْرَ أَقاح شتيتِ النباتِ كما ابتسمَــتْ عجبـاً غانِيَهْ
ونرجسُه مثــلُ عـين الفتاة إلى وجــهِ عاشقهــا رانِيَهْ

[يزيد المسمعي وعليم]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يهوى جاريةً من جواري القِيان ، يقال لها : عُلَيْم ، وكان يعاشر عبد الصمد ، ويزيد يومئذٍ شابٌّ حديث السنّ ، وكان عبد الصمد يسمِّيه ابني ، ويسمِّي الجارية ابنتي ، فباع الفتى بستاناً له في نهر معقِل ، وضيعةً بالقِندَل[2] . فاشترى الجارية بثمنهما ، فقال عبد الصمد[3] : [من مخلع البسيط]

بُنيَّتي أصبحَتْ عَـرُوساً تُهدى من ابني إلى عروسِ
زُفَّتْ إليــه لخيرِ وقــتٍ فاجتمعا ليلــةَ الخميسِ
يــا معشرَ العاشِقِين أنتم بالمنزل الأرذلِ الخسيسِ
يزيدُ أضحى لكم رئيساً فاتّبعوا مَنْهــج الرئيسِ
مَن رام بَــلاًّ لرأسِ أيْرِ ذلَّل نفساً بِحَـلِّ كِيسِ

---

1 ديوانه : 183 .
2 القندل : محلة بالبصرة .
3 ديوانه : 125 عن الأغاني .

[الجماز وابن قلابة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني يزيد بن محمدٍ المهلبيّ ، قال : بلغ عبد الصمد بن المعذل أنّ أبا قِلابة الجَرميّ تدسَّس إلى الجماز لّما بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إيّاه ، فحمله على الزيادة في ذلك ، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضده ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابة حتّى أفحمَه ، فقال عبد الصمد فيهما[1] : [من مجزوء الكامل]

يا مَن تركتُ بصخرة ... صَمّاءَ هامتَه أمِيمَهْ[2]

إن الذي عاضدتَه ... أشبهتَه خُلُقاً وشيمَهْ

وكفِعل جدَّتك الحديـ ... ـثة فعلُ جدّته القديمَهْ

فتناصرا ، فابنُ اللئيـ ... ـمة ناصرٌ لابْنِ اللئيمَهْ

[عتاب صديق]

حدّثني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذّل صديقٌ يعاشره ويأنس به . فتزوّج إليه أمير البصرة ، وكان من ولد سليمان بن عليّ ، فنَبُلَ الرجلُ وعلا قدرُه ، وولاّه المتزوِّج إليه عملاً ، فكتب إليه عبد الصمد[3] : [من المنسرح]

أَحُلْتَ عمّا عهدتُ من أدبكْ ... أم نلتَ مُلْكاً فتِهتَ في كُتُبِكْ

أم هل ترى أنَّ في مناصفة الإخـ ... ـوان نقصاً عليك في حَسَبِكْ

أم كان ما كان منك عن غضبٍ ... فأيُّ شيء أدناك من غضبِكْ

إنَّ جفاءَ كتاب ذي ثقة ... يكون في صدره «وأمتعَ بِكْ»

كيفَ بإنصافنا لديكَ وقد ... شاركتَ آلَ النبيِّ في نسبِكْ

قلْ للوفاء الذي تقدِّره ... نفسك عندي مَلِلت من طلبِكْ

أتعبْتَ كفَّيْك في مواصلتي ... حسبُك ماذا لقيتَ من تعبِكْ[4]

فأجابه صديقه : [من المنسرح]

كيف يَحُول الإخاءُ يا أملي ... وكلُّ خيرٍ أنال من نسبِكْ

إن يكُ جهلٌ أتاك مِن قِبَلي ... فامنُنْ بفضلٍ عليَّ من أدبِكْ

---

1 ديوانه : 173–174 عن الأغاني .

2 أميمة : مشجوجة .

3 ديوانه : 80 .

4 الديوان : مواصلتي .

أنكرتَ شيئاً فلستُ فاعِلَه ... ولا تراه يُخَطُّ في كتبِكْ

[الصديق الكذوب]

حدّثني الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال: كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومَطَله به مَطْلاً طويلاً، فقال عبد الصمد[1]: [من المنسرح]

لي صاحبٌ في حديثه البركَهْ ... يزيدُ عند السُّكون والحركَهْ

لو قال «لا» في قليلِ أحرفِها ... لردَّها بالحُروفِ مشتبِكَهْ

[هجاء بني المنجاب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني سوّار بن أبي شُراعة، قال: كان يحيى بن عبد السميع الهاشميّ يعاشر عبد الصمد بن المعذَّل، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُغَنّيةٌ، وكان ينزل رحبةَ المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشميّ دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد[2]: [من الخفيف]

قل ليحيى مللتُ من أحبابي ... فلينكْهُمْ ما شاء من أصحابي

قد تركنا تَعَشُّقَ المُرْدِ لمّا ... أنْ بلَونا تنعُّم العزّابِ

وشنِئنا المؤاجرين فملْنا ... بعد خُبْرٍ إلى وصالِ القِحابِ

حبّذا قينةٌ لأهل بني المِنـ ... ـجابِ حلّتْ في رحبة المِنجابِ

صدَّقْتَ إذ يقول لي خُلُقَ الأحـ ... ـراح ليس الفِقاح للأزبابِ

حبّذا تلك إذ تُغَنّيك يا يحـ ... ـيى وتَسْقيك من ثنايا عذابِ

«ذكَرَ القلب ذِكْرَةً أُمَّ زيدٍ ... والمطايا بالسَّهْب سهب الركابِ»[3]

حبّذا إذ ركبْتَها فتجافت ... تتشكّى إليكَ عند الضِّرابِ

وتَغَنَّتْ وأنت تدفَعُ فيها ... غيرَ ذي خِيفة لهم وارتقابِ

«إن جَنْبي عَنِ الفراش لنابٍ ... كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرابِ»[4]

---

1 ديوانه: 151.

2 ديوانه: 81–82 عن الأغاني.

3 البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه: 25 والسهب: موضع.

4 تقدم في الجزء السابق أن هذا البيت لمعديكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل 12: 152. وانظر بعده شرح أبي الفرج.

ليت شعري هل أسمعنّ إذا ما زاحَ عنّي وساوسُ الكتابِ
مِنْ فتاةٍ كأنّها خُوطُ بانٍ مَجَّ فيها النعيمُ ماءَ الشبابِ[1]
إذْ تُغَنِّيك خلف سَجفٍ رقيق نَغَماتٍ تحبُّها بصوابِ
شفّ عنها محقَّق جَنَدِيٌّ فهي كالشّمس من خلال سَحابِ[2]
ربَّ شِعرٍ قد قلتُه بتباهٍ ويُغَرَّى به ذوو الألبابِ
قد تركتُ الملحّنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذنابِ[3]

قال : وشاعت الأبيات بالبصرة ، فامتنع مولى الجارية مِنْ معاشرة الهاشميّ ، وقطعه بعد ذلك .

[بينه وبين ابنَي هشام الكرنباني]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العَنَزيُّ ، قال : حدّثني أحمد بن صالح الهاشميّ ، قال : كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذّل ، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني ، فجرى بين ابنَي هشام الكرنباني ، وهما أبو واثلة وإبراهيم ، وبين الحرّ بن عبد الله ، لحاءٌ في أمر عبد الصمد ، لأنّهما ذكراه وسبّاه . فامتعض له الحسين وسبّهما عنه ، فرمَيا الحسين بابن المعذّل ، ونسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح ، وبلغ الحسين ذلك ، فلقيهما في سكّة المِرْبَد ، فشدَّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضرباً مُبرِّحاً . وأفلت أبو واثلة ، ووقّع سبيب السَّوط في عين إبراهيم ، فأثر فيها أثراً قبيحاً ، فاستعان بمشيخةٍ من آل سليمان بن عليّ . وهرب أبو واثلة إلى الأمير عليٍّ بن عيسى وهو والي البصرة ، فوجَّه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله ، فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة[4] ، فلمّا كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان ، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان ، ومشيخةٍ من آل سليمان ، فصاروا معه إلى عليّ بن عيسى في أمره . وأقبل عبد الصمد بن المعذّل لمّا رآهم ، فدخل معهم لنُصرة حسين . فكلّموا عليَّ بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلُكَ ، وجِلّةُ أهل مِصرك ، تصدّوا إليك في ابنهم وابن أخيهم ، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجّة بحداثته ، فإن هاهنا من يُعبِّر عنه ، وقد قلت أبياتاً ، فإن رأى الأمير أن يأذن في

---

1 الخوط : الغصن الناعم .
2 المحقق : ثوب محكم النسيج . جندي : نسبة إلى الجند من بلاد اليمن .
3 الملحنين في ل : المكشحين .
4 المحدثة : ماء ونخل في بلاد العرب .

إنشادها فعل . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله[1] : [من الكامل]

يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبارَكٍ رأسَ الدعائم سامق الأغصانِ
إنّ العلوج على ابنِ عمّك أصفقوا فأتوْك عنه بأعظم البهتانِ[2]
قَرفُوه عندَك بالتعدّي ظالماً وهم ابتدَوْه بأعظم العدوانِ
شَتَموا له عِرضاً أغرَّ مُهَذّباً أعراضُهم أولى بكلّ هوانِ
وسَمَوْا بأجسامٍ إليه مَهينةٍ وُصِلت بألأمِ أذرع وبنانِ
خُلِقت لمدِّ القَلْس لا لتناوُلٍ عِرضَ الشّريف ولا لمدِّ عنانِ[3]
لم يَحفَظُوا قرباه منك فينتهوا إذْ لم يَهابُوا حرمةَ السُّلطانِ
أيُذَلُّ مظلوماً وجدُّك جَده كيما يعزَّ بِذُلِّه عِلجانِ
وينال أقلفُ كَربلاءِ بلادُه ذلَّ ابنِ عمٍّ خليفةِ الرحمنِ
إنّي أُعيذُك أن تَنالَ بك التي تطغى العلوجُ بها على عَدنانِ

فدعا عليُّ بن عيسى حسيناً ، فضمَّه إليه ، فقال : انصرِف مع مشايخك . ودعا بهشام الكرنباني وابنَيه ، فعَذَلَهُمْ في أمره ، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك .

[عتابه لعبد الله بن المسيّب]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد ، قال : كان عبد الصمد بن المعذَّل يعاشر عبد الله بن المسيّب ويألفه ، فبلغه أنّه اغتابه يوماً وهو سكران ، وعاب شيئاً أنشده من شعره ، فقال فيه وكتب بها إليه[4] : [من الكامل]

عَتْبي عليك مُقارِنُ العُذرِ قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ منّي إليّ فما يَقْضي عليك بهفوةٍ فكري
لمّا أتاني ما نطقتَ به في السُّكرِ قلتُ جنايةُ السكرِ
حاشا لعبدِ الله يذكُرني مُسْتعْذِباً بنقيصتي ذكري
إنْ عابَ شعري أوْ تَحَيَّفَهُ فَلْيَهْنِه ما عاب مِن شعري

---

1 ديوانه : 184 عن الأغاني .
2 أصفقوا : أجمعوا .
3 القلس : حبل السفينة الغليظ .
4 ديوانه : 105–106 .

يا ابنَ المسيّب قد سبقتَ بما أصبحتَ مرتهناً به شكري
فمتى خُمِرتَ فأنتَ في سَعةٍ ومتى هَفوت فأنت في عذرِ
تَرْكُ العتاب إذا استحَقَّ أخٌ منك العتابَ ذريعةُ الهجرِ

أخبرني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرِّد ، قال : دعا عبد الصمد بن المعذَّل شرْوينَ المغنِّيَ ، وكان مُحسِناً متقدِّماً في صناعته ، فتعالَلَ عليه ومضى إلى غيره ، فقال عبد الصمد : والله لأَسِمَنَّه مِيسَماً لا يدعوه بعدَه أحدٌ بالبصرة إلاّ بعد أن يبذل عِرضَه وحريمَه . فقال فيه : [من السريع]

مَنْ حَلَّ شروينُ له منزِلا فلتنهَهُ الأولى عن الثانيهْ
فليس يدعوه إلى بيته إلاّ فتًى في بيته زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَن رأى .

[هجاء أبي رِهم]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن العباس العسكريُّ ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن أبي جرزة ، قال : كان أبو قلابة الجَرْميُّ وعبد الصمد بن المعذَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراويّ ، وكانت له جاريةٌ مغنّية ، يقال لها : جبلةُ ، وكان أبو رِهْم إليها مائلاً يتعشَّقها ، ثم اشتراها بعد ذلك . فلمّا أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رِهْم ، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم ، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة ، فقال أبو قِلابة : لا بدّ أن نهجوَ أبا رِهْم . فقالوا : قل . فقال : [من الهزج]

ألا قل لأبي رهمٍ سيهوى نعتَك الوصفُ
كما حالفَك الغيُّ كذا جانَبَك الظَّرفُ
أتانا أنّه أهدى إلى بحرٍ من الشَّغْفِ[1]
خُزَيمات من الصِّير فهلاّ معهُ رُغْفُ[2]
فنادَوْا اقسمي فينا فقد جاءكم اللُّطْفُ

فقال له عبد الصمد : سخنت عينُك أيْشٍ هذا الشعرُ ، بمثل هذا يُهْجى مَن يُراد به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذي حضرني ، فقل أنت ما يحضرك . فقال : أفعله وأجوِّد . فكان هذا سببَ هجاء عبد الصمدِ أبا رِهم . وأوّل قصيدةٍ هجاهُ بها قوله[3] : [من الوافر]

---

1 الشغف : مصدر شغف . وفي هذا البيت إقواء .
2 الصير : السمك المملوح .
3 ديوانه : 127 .

دعُوا الإِسلامَ وانْتَحِلُوا المجوسا وأَلْقُوا الرَّيْطَ واشتَمِلُوا القَلُوسا[1]
بنـي العبـدِ المُقيم بنهر تِيَرى لقــد أنهضتُ طيرَكم نحوسا
حـرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ فـلا يُمسِي بأُمِّكـم عَروسا
إذا ركَـدَ الظلامُ رأت عُسَيْلاً يَحُثُّ على نَدامـاهُ الكؤسا[2]
ويُذْكِرُهـم أبـو رِهْـم بهجْوٍ فيستدعي إلى الحُـرَم النُّفوسا
ويُخْلِيهـم هِشامٌ بالغـواني ويُحمي الفضلُ بينهم الوطيسا
فتسمع في البيوت لهـمْ هبيباً كما أهملتَ في الزَّربِ التيوسا[3]
لقــد كان الزناةُ بـلا رئيس فقد وجـد الزناةُ بهـم رئيسا
هـم قَبَلُوا الزنـاء وأنشؤوه وهم وسمـوا بجبهته حبيسا[4]
لئن لم تنف دعوتَهم سَدُوسٌ لقد أخزى الإلهَ بهم سَدوسا

وقال فيه[5] : [من السريع]

لــو جـادَ بالمـال أبو رِهم كجُـودِهِ بالأخـت والأمِّ
أضحى ومـا يُعرفُ مِثْلٌ لَه وقيل أسخى العُربِ والعُجمِ
من بَـرَّ بالحرمـة إخوانَه أحَـقُّ أن يُشْكـر بالشتمِ

وله فيه من قصيدة طويلة[6] : [من مجزوء الخفيف]

هــو والله مُنْصِـفٌ زوجُـه زوجُ زوجتِهْ
يقسِمِ الأيـرَ عـادلاً بين حِرْهـا وفقحتِهْ

[في نزهة]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا العَنَزيّ ، قال : حدّثني أبو الفضل بن عبدان ، قال : خرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال[7] : [من الخفيف]

1 الريط : جمع ريطة ، ملاءة غير ذات لفقين أي كلها نسج واحد وقطعةٌ واحدة . القلوس : جمع قلس . وهو حبل السفينة الغليظ .
2 عسيل : اسم شخص .
3 الهبيب : صوت التيس عند السفاد . الزرب : موضع الغنم .
4 قبلوا : كانوا كالقابلة . الحبيس : الموقوف .
5 ديوانه : 175 عن الأغاني .
6 ديوانه : 89 عن الأغاني .
7 ديوانه : 96 .

قــد نزلنـا بِروضةٍ وغديـرٍ وهجرنا القصر المنيف المشيدا
بعريشٍ تــرى مــن الزاد فيه زُكرتَيْ خَمرةٍ وصقراً صَيودا[1]
وغريرين يطربـــان الندامى كلّمـا قلـتُ أبديـا وأعيدا
غنّيـاني ، فغنّيـاني بلحــن سلِس الرَّجْع يصدع الجلمودا
«لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فلق الـ ـصُّبح مغيراً ولا دُعيتُ يزيدا»
حيٍّ ذا الزورَ وانهَهُ أن يعودا إنّ بالبـــاب حارسِينَ قعودا[2]
مــن يزُرْنا يجدْ شِواءَ حُبارى وقديـراً رخصاً وخمراً عَتيدا
وكرامـاً معذَّلــين وبيضاً خلعوا العُذْر يسحبون البُرودا
لستُ عن ذا بمُقْصِرٍ ما جزائي قرَّبــت لي كريمــةٌ عنقودا

[يتغزّل بالأفشين]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى الأفشين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد ، وكان من أحسنِ الناس ، وهو واقفٌ على بابِ الخليفة مع أولادِ القوّاد ، فأنشدنا لنفسِه فيه ، قال[3] : [من الخفيف]

أيّها اللاحِظِي بطرفٍ كليلِ هل إلى الوصل بيننا مِن سبيلِ
عِلــم الله أنّنــي أتمنّــــى زورةً منك عند وقتِ المَقِيلِ
بعد ما قد غدوتَ في القُرْطُق الجَو نِ تَهادى وفي الحسام الصقِيلِ[4]
وتكفَّيتَ في المواكـب، تختـا ل عليهـا تميـل كلَّ مَميلِ[5]
وأطلــتَ الوقوف منـــك بِبـا بِ القصر تلهو بكلِّ قال وقيلِ
وتحدّثــتَ في مطــاردة الصَّيــ ــد بخُبـرٍ بِــهِ ورأي أصيلِ
ثمَّ نازعتَ في السنان وفي الرمـ ـح وعلم بمرهَفات النصولِ[6]

---

1 زكرة : زق الشراب .
2 الزور : الزائر .
3 ديوانه : 159–160 .
4 القرطق : ضرب من الثياب . الجون : الأسود والأبيض ، من الأضداد .
5 تكفيت : تمايلت مزهواً .
6 الرمح في ل والديوان : الدرع .

وتكلَّمتَ في الطِّراد وفي الطَّعـ ـن ووثبٍ على صِعابِ الخيولِ
فإذا مـا تفـرّقَ القـومُ أقبلـ ـتَ كريحانـةٍ دنَـتْ لذبولِ
قـد كساك الغبـارُ منـه رِداءً فوقَ صُدغ وجَفنِ طرفٍ كحِيلِ
وبدتْ وردةُ القَسامة من خَـ ـدِّكَ في مُشرقٍ نقـيّ أسيلِ
ترشَح المسكَ منـه سالفةُ الظبْـ ـي وجيدُ الأُدمانـة العطبولِ[1]
فأسوف الغبار ساعـة ألقـا ك برشفِ الخدّيـن والتقبيلِ[2]
وأحُلُّ القَباء والسَّيفَ من خَصـ ـرِكَ رِفقا باللُّطـف والتعليلِ
ثم يُؤتى بمـا هويتَ من التَّشـ ـريفِ عنـدي والبرّ والتبجيلِ
ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّر بِ تَهادى في مُجْسَد مصقولِ[3]
ثم أُسقيك بعـد شربيَ مِنْ رِيـ ـقِك كأساً من الرحيق الشمولِ
وأغنّيـك إن هَوِيـتَ غِنـاءً غيرَ مستكـرَهٍ ولا مملـولِ
لا يزال الخَلخال فوق الحشايا مثـل أثنـاء حيّـةٍ مقْتولِ
فإذا ارتاحـت النفوسُ اشتياقاً وتمنّـى الخَليلُ قـربَ الخليلِ
كان مـا كان بيننا ، لا أسمّيـ ـهِ ولكنّـه شفـاءُ الغليلِ

[متيم أقعدت يحيى بن أكثم على طريق القافية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ والمبرّد وغيرهما ، قالوا : كانت متيّم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فعلِقها عبد الصمد بن المعذَّل ، وكانت لا تخرج إلاّ مُنتقبة ، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ ، وقدِمت متيّم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي ، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها ، فأمرها بأن تُسفِر ، فلمّا قدِم عبد الصمد قيل له : لو رأيت متيّم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله . فقال عبد الصمد قوله[4] : [من الطويل]

ولمّـا سَرَت عنهـا القنـاعَ متيّمٌ تَـروَّحَ منهـا العنبـريُّ متيّما

1 السالفة : صفحة العنق . الأدمانة : السوداء . العطبول : المرأة الطويلة العنق .
2 أسوف : أشم .
3 المجسد : الثوب المعصفر .
4 ديوانه : 174–175 .

رأى ابنُ عبيدِ الله وهو مُحَكَّمٌ عليها لها طَرفاً عليه محكَّما
وكان قديماً كالحَ الوجهِ عابساً فلمّا رأى منها السفورَ تبسَّما
فإنْ يَصْبُ قلبُ العنبريِّ فقبلَه صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أيَّ شيء أردت مِنِّي حتى أتاني شرُّكَ من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّمُ أقعدَتْكَ على طريق القافية !

[من هجائه لأخيه أحمد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد العبديّ ، قال : حدّثني الأنيسيّ ، قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذَّل ، وكان خرج من البصرة على أن يغزو ، فلمّا دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده : [من البسيط]

أفضلتَ نُعْمى على قومٍ رعيت لهم حقّاً قديماً من الودّ الذي دَرَسا
وحرمةَ القصدِ بالأمال إنّهمُ أتَوْا سواكَ فما لاقَوْا به أنسا
لأنت أكرمُ منه عند رفعته قولاً وفعلاً وأخلاقاً ومُغْتَرسا

فأمر له بخمسمائة دينارٍ ، فقبضها ورجع إلى البصرة ، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر ، وبلغ عبد الصمد خبرُه ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يُري الغزاةَ بأنّ الله هِمّتُه وإنّما كان يَغزو كيسَ إسحاقِ
فباع زُهداً ثواباً لا نَفادَ له وابتاعَ عاجل رِفدِ القوم بالباقي

فبلغ إسحاق بن براهيم قوله ، فقال : قد مسَّنا أبو السمّ عبد الصمد بشيءٍ من هجائه . وبعث إليه بمائة دينار ، فقال له موسى بن صالح : أبى الأميرُ إلاّ كرماً وظَرْفاً .

[هجاؤه لأبي نبقة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل ، قال : حدّثني الحسن الأسديّ ، قال : قدِم أبو نبقةَ من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهلِ البصرة هداياه ، ولم يُهدِ إلى عبد الصَّمد شيئاً فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أما كان في قَسْب اليمامةِ والتمرِ وفي أَدَمِ البحرين والنَّبق الصُّفرِ
ولا في مناديل قسَمْتَ طريفَها وأهديتَها حَظٌّ لنا يا أبا بكرِ

---

1 ديوانه : 145 عن الأغاني .
2 ديوانه : 106 عن الأغاني .

سَرَتْ نحــو أقوامٍ فـلا هَنَـأْتهُمْ ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أأنتَ إلى طالوتَ ذِي الوفرِ والغِنى وآلِ أبي حرب ذوي النَّشَب الدثرِ[1]
ولم تأتِنــي ولا الرياشيَّ تمرةٌ غَصِصتَ بباقي ما ادَّخرتَ من التمرِ
ولم يُعـطَ منهــا النهشليُّ إداوةً تكون له في القَيظِ ذُخراً مَدى الدهرِ[2]
أقـول لفتيانٍ طويــتُ لطيِّهــم عُرى البيد ، منشورَ المخافةِ والذعرِ
لئن حُكّــم السدريُّ بالعدل فيكم لَمّا أنصف السدريُّ في ثَمَر السدرِ
لئن لم تكنْ عيناك عــذرَك لم تكن لدينا بمحمودٍ ولا ظاهـرِ العذرِ

[هجاؤه يزيد المهلبي]

أخبرنا الحسن بن عُليلٍ ، قال : حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ ، قال : وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذّل تباعُدٌ ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم ، وكان يقال ذلك في عبد الصمد ، فقال فيه[3] : [من الوافر]

يقـول ذوو التَّشؤُّمِ ما لقينا كما لقي ابن سهــلٍ مِن يَزيدِ
أتتــه منيَّــــةُ المأمــونِ لَمَّا أتــاه يزيــدُ مــن بلـدٍ بعيدِ
فصيّر منــه عسكَره خــلاءً وفَـرَّق عنــه أفواجَ الجنودِ
فقلت لهم وكم مشؤومِ قـومٍ أبادَ لهــم عَديــداً من عِديدِ
رأيتَ ابنَ المعذّل يالَ عمرو بشُؤم كان أسرعَ في سعيدِ
فمنه مــوتُ جِلَّــةِ آل سَلم ومنــه قض آجــامِ البريدِ[4]
ولم ينزل بــدارٍ ثــم يمسي ولَمّــا يستمعْ لَطْــمَ الخدودِ
وكلُّ مديحِ قومٍ قــال فيهم فإنّ بعَقْبه «يا عينُ جودي»
إذا رجلٌ تسمَّع منــه مدحاً تنسَّمَ منـه رائحـةَ الصعيدِ[5]
فلو حصف الذين يُبيح فيهم أثاروا منــه رائحــةَ الطريدِ

1 النشب الدثر : المال الكثير .
2 مدى الدهر في ل : من الذخر . والاداوة : وعاء من جلد يوضع فيه الماء .
3 لم يدرجها جامع شعره في ديوانه .
4 قض : هدم . الآجام : الحصون .
5 الصعيد : القبر .

فليس العزُّ يمنع منــه شؤماً ولا عتبــاً بأبـــواب الحديدِ

[من هجائه لأخيه]

حدّثني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرّد ، قال : مرّ أحمد بن المعذّل بأخيه عبد الصمد وهو يَخطِر ، فأنشأ يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

إن هذا يَـرى أُرى أنّـــه ابـنُ المهلَّبِ
أنــت والله مُعْجِبٌ ولنـــا غير مُعْجِبِ

[في غلام يُدعى المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا أبي وغيره ، وحدّثني به بعض آل المعذّل ، قال : مرّ عبد الصمد بن المعذّل بغلام يقال له : المغيرة ، حسنِ الصوتِ حسن الوجه ، وهو يقرأ ويقول القصائد ، فأعجب به ، وقال فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

أيّها الرافع في المسـ ـجد بالصَّوتِ العَقِيرَةْ
قتلَتني عينُـك النَّجـ ـلاءُ ، والقتلُ كبيرَةْ
أيُّهـــا الحكــام أنتمْ فاصِلُو حُكمِ العشيرَةْ
أحَـــلالاً مـــا بقلبي صنعت عينـــا مُغِيرَةْ

[شعره في الحمّى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى ، قال : جاءنا عبد الصمد بن المعذّل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي ، فأنشدنا قصيدةً له في صفة الحُمَّى ، فقال لي محمد بن عمر : امضِ إلى منزلِ عبدِ الصمد حتى تكتبها . فمضيت إليه حتى كتبتها ، وهي[3] : [من المتقارب]

هجـــرتُ الصِّبا أيَّما هَجْره وعِفــت الغَـــوانيَ والخمرَةْ
طوتْني عـــن وصلهـا سكره بكـأس الضّنا أيَّمـــا سَكرَةْ[4]

[بين عبد الصمد وأبي تمام]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن يزيد

1 ديوانه : 83 عن الأغاني .
2 ديوانه : 107 عن الأغاني .
3 من قصيدة طويلة في ديوانه 110-111 .
4 الديوان : لوتني .

الكاتب ، قال : جَمَعَ بين أبي تمّامٍ الطائيٍّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وكان في أبي تمام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه[1] : [من الخفيف]

أنــت بــين اثنتين تبرزُ للنا س ، وكلتاهما بوجهٍ مذالِ[2]

لست تنفَــكُّ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبــاً لنوالِ

أي ماء لِحُــرِّ وجهك يبقى بين ذُلِّ الهــوى وذلّ السؤالِ

قال : فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً . وجاء به وقد كتب فيه[3] : [من البسيط]

أفِيَّ تنظِمُ قــولَ الزُّور والفَنَــدِ وأنت أنْزَرُ من لا شَيء في العددِ[4]

أشرَجْتَ قلبك مِن بُغضي على حُرَقٍ كأنّها حركاتُ الرُّوح في الجسدِ[5]

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بَظْرِ أمّه ، يا غثّ ، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء» ، وأخبرني عن قولك «اسرجتَ قلبك» ، قلبي مِفرشٌ أو عيبة[6] أو خُرجٌ فأُشرِجَه ، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجَعَه بحرف .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه ، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام .

[يستثقل الفراش وابنه]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي ، قال : حدّثني العنَزِيّ ، قال : كان عبد الصمد بن المعذّل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن عليّ يعرف بالفرّاش ، وكان له ابنٌ أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو ، وكان يخلُف بعض أُمراء البصرة ، وكان الفرّاش هذا يصلّي به ، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلمّا مضى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد بن المعذّل[7] : [من الكامل]

---

1 ديوانه : 161–162 .
2 مذال : مهان .
3 لم ترِد في ديوانه .
4 الفند : الكذب .
5 أشرجت : شددت .
6 العيبة : الحقيبة .
7 ديوانه : 107–108 عن الأغاني .

غَدَرَ الزمانُ وليتَه لم يَغْدِرِ وحَدا بشهر الصوم فِطرُ المفطرِ
وثَوتْ بقلبك يا محمدُ لوعةٌ تَمْري بوادرَ دمعِك المتحدّرِ[1]
وتقسمتك صبابتان لِبينِه أسفُ المَشُوق وخَلَّة المتفكّرِ
فاستبق عينك واحشُ قلبَكَ يأسه واقْرَ السلامَ على خِوان المُنْذرِ
سَقياً لدهرك إذ تَرَوَّحَ يومُه والشّمسُ في عَلياءَ لم تتهوّرِ[2]
حتى تُنِيخَ بكلكل متزاورٍ وتَمَدَّ بُلعومَا قَمُوصَ الحنجرِ[3]
وتَرُود منك على الخوان أناملٌ تَدَع الخوانَ سرابَ قاعٍ مقفرِ
وَيْح الصِّحافِ من ابن فَرَّاش إذا أنْحى عليها كالهِزَبْرِ الهَيْصَرِ
ذو دُرْبَة طَبٌّ إذا لمَعَتْ له بُشُرُ الخوان بَدا بحَلِّ المئزرِ
ودَّ ابنُ فَرّاش وفرّاشٌ معاً لو أنَّ شهرَ الصوم مدّةُ أشهرِ
يُزري على الإسلام قلّةَ صبره وتراه يَحمَد عِدّة المُتَنصّرِ
لا تَهلِكنَّ على الصِّيام صبابةً سيعود شهرُك قابلاً فاستبشرِ
لا درّ دَرُّك يا محمّدُ من فتى شَينِ المغيبِ وغيرِ زَينِ المَحْضَرِ

[هجاؤه ليزيد المهلبيّ]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني أبو محمد البصريّ وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذّل ، قال : كان يزيد بن محمدٍ المهلبيّ يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابُّه ، ويرمي كلّ واحد منهما صاحبه بالشؤم ، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تِيرى ونواحِيها ، فقال عبد الصمد يهجوه[4] : [من الوافر]

أبوك أميرُ قريةِ نهرِ تِيرى ولستَ على نسائك بالأميرِ
وأرزاقُ العباد على إله لهمْ وعليك أرزاقُ الأيورِ
فكم في رزق ربّك من فقيرٍ وما في أهل رزقك من فقيرِ

[مدح أمير البصرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثني

1 تمري : تستدر .
2 تروّح يومه : انقضى . لم تتهور : لم تسقط .
3 متزاور : منحرف . القموص : السريع .
4 ديوانه : 109 عن الأغاني .

أحمد بن منصور ، قال : شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهن ، فدخل إليه عبد الصمد بن المعذّل بعد خروجه عنه ، فأنشده قوله[1] : [من الوافر]

بأيمنِ طائـرٍ وأسرِّ فـالِ ... وأعـلى رُتبـةٍ وأجَلِّ حالِ

شربتَ الدهنَ ثم خرجتَ عنه ... خروجَ المشرفيِّ مـن الصقالِ

تكشفَ عنك مـا عانَيْتَ عنه ... كما انكشف الغمامُ عن الهلالِ

وقـد أهديـتُ ريحاناً طريفاً ... بـه حاجيتُ مستمِعاً سؤالي

ومـا هـو غيرَ ياءٍ بعد حاء ... وقـد سبقا بميم قبـل دالِ[2]

وريحانُ الشباب يعيش يومـاً ... وليس يموت ريحـانُ المقالِ

ولم تـك مؤْثـراً تُفّاح شمٍّ ... على تفّـاحِ أسمـاع الرجالِ[3]

[اعتذاره عن الإسكافيّ]

أخبرني جحظة ، قال : حدّثني ميمون بن مِهران[4] ، قال : حدّثني أحمد بن المغيرة العجليُّ ، قال : كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبد الصمد بن المعذّل ، فرفع إليه رجلٌ رقعة ، فقرأها فإذا فيها : [من البسيط]

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نظرُ ... أو لا فأعْلَمَ ما آتـي وما أذَرُ

فدفعها إلى عبد الصمد ، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها : [من البسيط]

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ ... والحرُّ يعذِر من بالعسر يعتذرُ[5]

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل : هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزّك الله الجواب فِعلا ، ونُجْحُ سَعْي الآمِلِ حقٌّ واجبٌ على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

[يستثقل ابن أخيه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعلي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ ، قال : كان لأحمد بن المعذّل ابنٌ ثقيلٌ تيّاهٌ شديد الذهاب بنفسه ، وكان مُبَغَّضاً عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمّه عبد الصمد ، فلمّا رآه قال لَمن معه[6] : [من مجزوء الخفيف]

---

1 ديوانه : 163–164 .

2 أي مدحي .

3 الديوان : ريحان في الحالين .

4 ل : هارون .

5 بالعسر في ل : بالصدق .

6 تقدم أن هذا الهجاء كان لأخيه أحمد ، ص 178 .

إنّ هـذا يَرى أُرى أنّـــهُ ابـنُ المهلَّبِ
أنــت واللهِ مُعْجبٌ ولنـــا غير معجِـبِ

قال : وقال فيه أيضاً[1] : [من البسيط]

لو كان يُعطى المُنى الأعمامُ في ابن أخٍ أصبحتَ في جوف قُرقورٍ إلى الصينِ[2]
قـد كان همّاً طويـلاً لا يقامُ له لـو كان رؤيتُنا إيّـاك في الحينِ
فكيفَ بالصَّبرِ إذا أصبحتَ أكثرَ في مجال أعيننـا مـن رمـلِ يَبرينِ
يـا أبغَضَ الناسِ في عُسْر ومَيْسَرةٍ وأقــذَرَ الناس في دُنْيـا وفي دِينِ
لو شاء ربِّي لأضحى واهباً لأخي بمُــرٍّ ثُكلِـكَ أجـراً غيرَ ممنونِ
وكان خيراً لـه لـو كان مؤتـزراً في السّالِفات على غُرْمول عِنّينِ
وقائلٍ ليَ مـا أضناكَ قلتُ لـه شخصٌ ترى وجهَه عيني فيُضنيني
إنّ القلوبَ لتُطوى منك يا ابن أخي إذا رأتــك على مثـل السّكاكينِ

صوت

[من الوافر]

أتتك العيسُ تنفُـخ في بُراهـا تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ[3]
بأبيضَ مِـن أميــة مَضرِحِيٌّ كأن جَبينَــهُ سيــفٌ صَنيعُ[4]

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، والغناء لابن المهربد ، رمل بالبنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

1 ديوانه : 186-187 .
2 قرقور : ضرب من السفن .
3 البرى : حلقات توضع في أنوف الإبل ، واحدتها بُرة . القطوع : جمع قِطع ، وهو طنفسة توضع تحت الرحل .
4 المضرحي : السيد الكريم . الصنيع : السيف المجرب المجلوّ .

[248] ـ أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ . وأمّه أمّ أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بن أميّة بن محرِّث بن شِق بن رقبة بن مخدج من بني كِنانة ، ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف . شاعر إسلاميّ متوسِّط الحال[2] في شعراء زمانه ، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كلّ واحد منهما من صاحبه .

أخبرني محمد بن العباس العسكريُّ قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، عن العمريّ ، عن العتبيِّ والهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسان .

[خبره مع معاوية عند عزله مروان بن الحكم]

وأخبرني به عمّي عن الكراني ، عن العمريّ ، عن الهيثم ، عن صالح بن حسانٍ قال : قدِم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان ، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص ، وكان مروان وجَّه به وقال له : القَه أمامي فعاتبْه لي واستصلِحْه . وقال عمّي في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلمّا بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقّاه ، وقال له : أقِمْ حتى أدخل إلى الرجل ، فإن كان عَزلَك عن موجدة دخلتُ إليه منفرداً . وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس . قال : فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامَه ، فلما قدِم عليه دخل إليه وهو يعشّي الناس ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

أتتك العِيسُ تنفُخ في بُراها ... تَكشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أمَيَّة مضرحيٍّ ... كأنَّ جبينه سَيفٌ صنيعُ

فقال معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئت . فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له ، فقال : على أيِّ الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرسي . قال : وما صفته ؟ قال : «أجشُّ هزِيم» ، يعرِّض بقول

---

1 ترجمة عبد الرحمن بن الحكم في الوافي 18 : 138–140 وفوات الوفيات 2 : 276–279 وانظر وفيات الأعيان 6 : 359 والتذكرة الحمدونية في مواطن متفرقة .

2 ل : المحل .

النجاشيّ له : [من الطويل]

ونجّى ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيـــم والرمـاحُ دواني[1]
إذا خلْتَ أطرافَ الرِّمـاح تنالُه مَرَتْـــه بـــه السَّاقانِ والقدمانِ[2]

فغضب معاوية ، وقال : أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يُتَّهَم بذلك في امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حَمَلَك على عزل ابن عمّك ، أَلِجنايةٍ أوجَبَتْ سُخطاً ، أم لرأيٍ رأيته ، وتدبيرٍ استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحتُه . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده فلقي أخاه مروان . فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضعفك ، أعَرَّضْتَ للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لبس حُلّته ، وركب فرسَه ، وتقلّد سيفَه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبيَّن الغضب في وجهه : مرحباً بأبي عبد الملك ، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منّا إليك . قال : لا ها[3] اللهِ ما زرتُك لذلك ، ولا قدِمتُ عليك فألفيتك إلاّ عاقّاً قاطعاً ، والله ما أنصفتَنا ولا جَزيتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآلِ أبي العاص ، والصِّهر برسول الله ﷺ لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب وشرَّفوكم ، وولَّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمر إليكم ، أبيتم إلاّ أثَرَة وسوءَ صنيعة ، وقُبْحَ قطيعة ، فرويداً رُويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفاً وعشرين ، وإنّما هي أيّامٌ قلائل حتى يُكمِلوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمّي في خبره : فقال له معاوية : عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلاّ واحدةٌ لأوجبْت عزلَك : إحداهنّ أنّي أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفيَ منه ؛ والثانية كراهتك لأمر زياد ؛ والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها . فقال له مروان : أما ابنُ عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني ، ولكن إذا تساوت الأقدامُ علم أين موقعه . وأمّا كراهتي أمر زياد فإنّ سائر بني أميّة كرهوه ، ثم جعل الله لنا في ذلك الكُره خيراً كثيراً . وأمّا استعداء رملَة على عمرو فوالله إنّي لتأتي عليَّ سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً ، يعرِّض بأن رملة إنّما تستعدي عليه طلباً للنكاح ،

---

1 العلالة : البقية من السير . الهزيم : الفرس الشديد الصوت .

2 مرته : حثته على السير .

3 ها للتنبيه قبل القسم .

فقال له معاوية : يا ابن الوزغ[1] ، لستَ هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنّي لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمٌّ عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّة ، يعني أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمتَ أين تقع منّي ! فانخزل معاوية ثم قال : [من الوافر]

فـإن أكُ في شرارِكُم قليـلاً فإنّـي في خيارِكُـم كثيـرُ
بُغاثُ الطَّير أكثرُهـا فِراخـاً وأمُّ الصَّقرِ مِقْـلاتٌ نزورُ[2]

قال : فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له ، وقال : لك العتبى[3] ، وأنا رادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كَلاَّ والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً ، وخرج . فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قطّ سقطةً مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأيَّ شيءٍ تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن منّي أخبرك بذلك . فدنا منه ، فقال له : إنّ الحكم بن أبي العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختي أمِّ حبيبة لمّا زُفَّت إلى النبيّ ﷺ ، وهو الذي تولّى نقلها إليه ؛ فجعل رسول الله ﷺ يُحِدّ النظرَ إليه ، فلمّا خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أحدَدْتَ النظرَ إلى الحكم ؛ فقال : «ابن المخزومية ؛ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين ، أو قال أربعين ، ملكوا الأمر بعدِي» . فوالله لقد تلقّاها مروان من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعنَّ هذا أحدٌ منك ، فإنّك تضع من قدرك وقدرِ ولدِك بعدَك ، وإنْ يَقضِ الله عزّ وجلّ أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكتُمْها عليّ يا أبا بحر إذاً ، فقد لعمري صدَقْتَ ونصحت .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال ، حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني يعقوب بن القاسم الطَّلحيّ قال : حدّثني ثِمالٌ عن أيّوب بن دِرباسٍ بن دَجاجة قال : شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن ، إلى معاوية . ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف ، وزاد فيه : فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أَتَقطُـر آفـاقُ السماءِ لـه دماً إذا قيل هذا الطَّرْفُ أجردُ سابحُ
فحتّى متى لا نَرفـع الطَّرْفَ ذِلّةً وحتّى متـى تعيا عليك المنادِحُ

---

1 الوزغ : سام أبرص .

2 بغاث الطير : ضعافها . والمقلات : الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل ، والمرأة التي لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل .

3 العتبى : الرضا .

[بكاء عبد الرحمن لمرأى رأس الحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فلمّا وضع بين يدي يزيد في الطَّشت بكى عبد الرحمن ثم قال : [من الطويل]

أبلغْ أميرَ المؤمنين فلا تكُنْ كمُوترِ قوسٍ ثم ليس لها نَبْلُ
لَهامٌ بجنب الطّفّ أدنى قرابةً مِن ابن زيادِ الوغدِ ذي الحسب الرذلُ
سُمَيّةُ أمسى نسلُها عَدَدَ الحصى وبنتُ رسولِ الله ليس لها نسلُ

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا ؟!

[بكاء ابن عباس حين نفى ابن الزُّبير الأمويين]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني هارون بن معروف قال : حدّثنا بشر بن السريّ قال : حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال : رأيتهم ، يعني بني أميَّةَ ، يتتايعون[1] نحو ابن عبّاسٍ حين نفى ابنُ الزُّبير بني أمية عن الحجاز ، فذهبتُ معهم وأنا غلامٌ ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه ، فقال له عبيد بن عُمير ، مالي أراك تذرِف عيناك ؟ فقال له : إن هذا ، يعني عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتاً أبكاني ، وهو : [من الطويل]

وما كنت أخشى أن تَرى الذلَّ نِسوتي وعبد منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمّنا بني أميّة ، وإنّا إنّما كنّا أهلَ بيتٍ واحد في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيّما دخل .

[ولع عبد الرحمن بجارية مروان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : حدّثنا العمريّ عن الهيثم قال : حدّثني أخي عبّاسٌ : أنّ عبد الرحمن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنْباء» ويهيم بمحبّتها ، فبلغ ذلك مروان ، فشتَمَه وتوعّده وتحفّظ منه في أمر الجارية ، وحَجَبها ، فقال فيها عبد الرحمن : [من الطويل]

لعَمْرُ أبي شنباء إنّي بذِكرها وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لحقيقُ

---

1 يتتايع : يتهافت ويسرع في اللجاجة .

وإنّي لهـا ، لا ينزِع الله ما لها عـليّ وإن لم ترعـه ، لصدِيقُ
ولمّا ذكَرتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ متى أنت عن هذا الحديث مُفِيقُ

[رحم الفيل من ولد الأتان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ قال : حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ ، ولم أسمعه من العُمريّ ، عن الهيثم بن عدِيّ قال : لمّا ادّعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ، والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه آل زياد ، وذلك غلط ، قال[1] : [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويـةَ بنَ حـرب مُغَلْغَلـةً مـن الرجُل الهجانِ[2]
أتغضبُ أن يقـالَ أبوك عفٌّ وتَرضى أن يقـالَ أبوك زانِ
فأشهَدُ إن رِحْمَكَ من زِيادٍ كرحْمِ الفيلِ من وَلَـدِ الأتانِ
وأشهدُ أنّها ولـدَتْ زِيـاداً وصخرٌ مـن سُميَّةَ غيرُ داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب ، فحلف ألاّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبد الرحمن إلى زياد ، فلمّا دخل عليه قال له : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :

ألا أبلغْ معاويـةَ بن حـربٍ مُغلغَلَـةً مـن الرجُـلِ الهجانِ

قال : لا أيّها الأمير ، ما هكذا قلت ، ولكنّي قلت :

ألا مـن مبلغٌ عنّـي زياداً مغلغلـةً مـن الرّجُلِ الهجانِ[3]
مِـن ابن القَرم قرم بني قُصَيّ أبي العاصي بنِ آمنةَ الحصانِ
حلفتُ بـربٌ مكّـةَ والمصلّى وبالتـوراة أحلـفُ والقُرآنِ
لأنت زيـادةٌ في آلِ حـرب أحبُّ إليّ مـن وُسْطى بناني
سُرِرتُ بقُربـه وفرِحْتُ لمّا أتـاني الله منـهُ بالبيانِ
وقلتُ لـه أخـو ثقةٍ وعمٌّ بعـون الله في هـذا الزمانِ
كذاك أراكَ والأهـواءُ شتّـى فمـا أدري بغَيبٍ مـا تراني

فرضيَ عنه زيادٌ ، وكتب له بذلك إلى معاوية ؛ فلمّا دخل عليه بالكتاب قال : أنشِدْني ما قلتَ لزياد . فأنشده ، فتبسّم ثم قال : قَبَح الله زياداً ما أجْهَلَه ، واللهِ لَما قلتَ له أخيراً حيث تقول : [من الوافر]

---

1 سترد هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة يزيد بن المفرغ منسوبة إليه 18 : 194 .
2 المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . الرجل الهجان : الحسيب ، والرجُل في ل : القرم .
3 الرجل في ل : القرم .

لأنت زيـادةٌ في آل حـربِ

شرٌّ من القول الأوّل ، ولكنّك خدعتَه فجازت خديعتُك عليه .

[يهجو أخاه الحارث]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غَزاة البحر ، فنكَص واستعفى ، فوجَّه مكانه ابن أخيه عبدَ الملك بن مروان وهو يومئذٍ شاب فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث : [من الوافر]

شَنِئتُك إذ رأيتــك حَوْتَكِيّـا قريبَ الخُصيتَين من الترابِ[1]

كأنّكَ قملــةٌ لَقِحَتِ كِشافاً لبُرغوثٍ ببعـرةٍ أو صُؤَابِ[2]

كفاكَ الغزو إذ أحجَمْتَ عنه حديثُ السنّ مُقتَبَلُ الشَّبابِ

فليتك حيضةٌ ذهبَتْ ضلالاً وليتَكَ عند مُنقَطَع السَّحابِ

[يهجو أخاه مروان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة قال : لَطَمَ عبدُ الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذٍ والٍ لأهل المدينة . فاستعداه الحناط عليه ، فأجلسه مروان بين يديه وقال له : الطِمه ، وهو أخو مروان لأبيه وأمّه ، فقال الحنّاط : والله ما أردتُ هذا ، وإنّما أردت أن أُعْلِمه أنّ فوقَه سلطاناً ينصرني عليه ، وقد وهبتُها لك . قال : لست أقبلها منك فخُذْ حقَّك . فقال : والله لا ألطمه ، ولكنّي أهبها لك . فقال له مروان : إن كنتَ ترى أنّ ذلك يُسخِطني فوالله لا أسخَط . فخذْ حقَّك . فقال : قد وهبتها لك ، ولست والله لاطمه . قال : لستُ والله قابلَها ، فإن وهبتَها فهَبْها لمن لطمك ، أو لله عزَّ وعلا . فقال : قد وهبتُها لله تعالى . فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان : [من الطويل]

كلُّ ابنِ أمٍّ زائـدٌ غير ناقـصٍ وأنت ابنُ أمٍّ ناقـصٌ غير زائدِ

وهبتُ نصيبي منك يا مَرْوَ كلَّه لعَمْرٍو وعثمانَ الطّويل وخالدِ

[يرثي قتلى قريش يوم الجمل]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلفٍ الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة

1 الحوتكي : القصير الضاوي أو الكثير الأكل .

2 صؤاب وصئبان : بيض القمل .

قال : نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريشٍ يوم الجمل فبكى ، وأنشأ يقول : [من المتقارب]

أيا عينُ جُودِي بدَمْع سَرَبْ ... على فِتيةٍ من خِيار العربْ[1]
وما ضَرَّهم ، غيرَ حَيْنِ النّفوس ... أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ

[رواية أخرى لتعريضه بمعاوية]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : حدّثني المدائنيّ عن شيخ من أهل مكّة قال : عرَضَ معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيلَه ، فمرَّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالةٍ . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتَ ، إنّما عرّضتَ بقول النجاشيّ فيَّ : [من الطويل]

ونجّى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالةٍ ... أجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دوانِ
سَليمُ الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا ... كسِيدِ الغَضى باقٍ على النَّسلانِ[2]

أخرجْ عنّي فلا تساكنّي في بلد . فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية ، وقال له عبد الرحمن : وحتى متى نُستذلُّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

أَتَقطُر آفاقُ السَّماءِ لنا دماً ... إذا قُلت هذا الطَّرفُ أجردُ سابحُ
فحتّى متى لا نَرفع الطّرفَ ذِلّةً ... وحَتّى متى تَعيا عليك المنادحُ

فدخل مروان على معاوية ، فقال له مروان : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي ؟ أما والله إنّك لتعلمُ قولَ النبي ﷺ وآله فينا ، ولقَلَّ ما بقي من الأجل . فضحِك معاوية وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك . والله أعلم بالصواب .

صوت

[من البسيط]

قولا لنائِلَ ما تَقضينَ في رُجلٍ ... يَهوى هواكِ وما جَنّبتِه اجتَنَبا
يُمسِي معي جَسدِي والقلبُ عندكمُ ... فما يعيش إذا ما قلبُه ذَهَبا

الشعر لمسعدة بن البختريّ ، والغناء لعَبادل ، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لعريب ثقيل أوّل آخر عن ابن المعتزّ ، ولها فيه أيضاً خفيف رملٍ عنه .

1 الدمع السرب : السائل المنسرب .
2 الشظى : عظم لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه . العبل : الغليظ . والشوى : الأطراف . شنج النسا : شديد غير مسترخ . والسيد : الذئب .

[249] ـ أخبار مسعدة بن البختري ونسبه

هو مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صفرة ، بن أخي المهلّب بن أبي صفرة ، وقد مضى نسبه متقدّماً في نسب يزيد بن محمدٍ المهلّبيّ وابن أبي عيينة وغيرهما .

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأَسَيْديّ وكان يهواها .

[التشبيب بنائلة وأمّها وجدتها]

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينة ، عن القحذميّ قال : كان مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صُفرة ، يشبّب بنائلة بنت عُمَر بن يزيد الأَسَيْدي أحد بني أُسَيْدِ بن عمرٍو بن تميم ، وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شُرَطِ العراقِ من قِبَل الحجّاج ، وفيها يقول : [من مجزوء الوافر]

أنائـــلَ إنَّنـــي سَلَمٌ   لأهلِكِ فاقبلي سَلْمِي

قال القحذميّ : وأُمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفرات بن معاوية البَكّائيّ ، وأمّها المُلاءة بنت زُرارة بن أوفى الجُرشيّة ، وكان أبوها فقيهاً محدِّثاً من التابعين . وقد شبّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها .

قال عيسى : فحدّثني محمد بن سلامٍ قال : لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّب بها وبأمّها وجدّتها غير نائلة . فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد بن المهلّب تزوّجها ، فقُتِل عنها يوم العَقر ، وفيها يقول الفرزدق : [من الطويل]

إذا ما المَزُونيات أصبَحنَ حُسَّرا   وبَكَّـــينَ أشلاءً على غير نائلِ

فكم طالبٍ بنتَ المُلاءةِ إنّها   تذكّر رَيعـانَ الشّبابِ المزايِلِ

وفي الملاءة أمِّها يقول الفرزدق : [من البسيط]

كم للمُلاءةِ من طيفٍ يؤرِّقني   إذا تَجرثَمَ هادي الليل واعتكرا

[قصة يا لثارات ذات النحيين]

أخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال : خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بَوادي البصرة فلقيت بدوياً معه نحيا سمن فقالت له :

يا بدويّ أتبيعُ هذا السمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرِناه . ففتح نِحياً[1] فنظرَتْ إلى ما فيه ، ثم ناولَته إيّاه وقالت : افتح آخر . ففتح آخرَ فنظرتْ إلى ما فيه ثم ناولته إيّاه ، فلمّا شَغَلَتْ يديه أمرَت جواريها فجعلْن يركُلن في استه وجعلت تنادي : يا لَثارات ذات النِّحيين !

قال الزُّبير : تَعني ما صُنِع بذات النِّحيين في الجاهلية ؛ فإنّ رجلاً يقال له خَوَّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيا سمنٍ فقال : أريني هذا . ففتحت له أحد النِّحيين ، فنظر إليه ثم قال : أريني الآخر . ففتحَتْه ، ثم دفعه إليها ، فلمّا شَغَل يديها وقع عليها ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن ، فضربت العربُ المثل بها ، وقالت : «أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحيَين[2]» . فأرادت عاتكة بنت الملاءة أنّ هذا لم يفعله أحدٌ من النساء برجلٍ كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها ، وأنّها أدركت للنساء ثأرهنّ من الرجال بما فعلَتْه .

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنا أبو هفان عن إسحاق الموصليّ عن الزُّبير والمسيَّبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله : أنّ المُلاءة بنت زرارة لقِيت عمر بن أبي ربيعة بمكّة وحوله جماعةٌ ينشدهم . فقالت لجاريةٍ : مَن هذا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ، المنتقل بغزله من ذات وِدادٍ إلى أُخرى ، الذي لم يدُمْ على وصلٍ ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل ، أما والله لو كنتُ كبعض مَن يواصل لما رضيتُ منه بما يرضين ، وما رأيت أدناً من نساء أهل الحجاز ولا أقرَّ منهنَّ بخَسفٍ ، والله لأَمةٌ من إمائنا آنفُ منهنّ ؛ فبلغ ذلك عمر عنها ، فراسَلَها فراسلَته ، فقال[3] : [من الكامل]

حَيِّ المنازل قد عَمِرن خَرابا ... بين الجُرَينِ وبين رُكنِ كُسابا[4]

بالثِّنيِ من مَلِكانَ غَيّر رَسَمها ... مَرُّ السحابِ المُعقِباتِ سحابا[5]

وذيولُ مُعصِفةِ الرياح تجرّها ... دُقَقاً فأصبحت العِراصُ يبابا[6]

ولقد أُراها مَرّةً مأهولةً ... حَسَناً جَنابُ مَحلِّها مِعشابا

دارُ التي قالتْ غداةَ لقيتُها ... عِند الجِمار فما عييتُ جوابا

---

1 النحي : الزق .

2 المثل «أشغل من ذات النحيين» في مجمع الميداني 1 : 376 وجمهرة العسكري 1 : 564 ومستقصى الزمخشري 1 : 196 وفصل المقال : 503 .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 46–47 .

4 عمرن : يقين ، وفي الديوان : تركن . الجرين وكساب : موضعان . وفي الديوان : الجرير .

5 الثني : المنعطف من الوادي أو الجبل . وملكان : اسم وادٍ .

6 دقق التراب : دقاقه ، واحدها دقة . والعراص : جمع عرصة ، وهي البقعة الخالية بين الدور .

هذا الذي بـاعَ الصَّديقَ بغيره ويريـد أن أرضى بـذاك ثوابا
قلت اسمعي منِّي المَقالَ ومَن يُطِعْ بصديقـه المتملِّـقَ الكَـذّابا
وتكـنْ لديـه حبالُـه أنشوطةً في غير شيءٍ يقطِـع الأسبـابا
إن كنت حاولتِ العتاب لتعلمي مـا عندنـا فقـد أطلتِ عتابا
أو كان ذلـك للبِعـاد فإنّـه يكفيكِ ضربُكِ دونـك الجِلبابا
وأرى بوجهـك شَرَق نُورٍ بيّنٍ وبوجـهِ غيرِك طَخْيـةً وضبابا[1]

صوت

[من الخفيف]

أسعِداني يـا نَخْلَتَيْ حُلـوانِ وارثيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
واعلمـا أنَّ ريبَهُ لم يـزل يَفـ ـرُقُ بـين الأُلاَّفِ والجيرانِ
أسعِداني وأيقِنـا أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ
ولَعمري لـو ذُقتما أَلَمَ الفُـرْ قَـةِ أبكـاكما كما أبكاني
كم رمَتْنيَ بـه صروفُ الليالي من فـراق الأحبابِ والخُلاَّنِ

الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لحكمٍ الواديِّ ، هزج بالوسطى عن عمرٍو والهشاميّ .

---

1 الطخية : الظلام .

[250] ـ أخبار مطيع بن إياس ونسبه[1]

[نسبه]

هو مطيع بن غياث الكناني . ذكر الزُّبير بن بكارٍ أنه من بني الدِّيلِ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصليُّ عن سعيد بن سَلْمٍ أنه من بني ليث بن بكرٍ . والدِّيل وليث أخوان لأبٍ وأُمٍّ ، أُمُّهما أمّ خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمارِ بنِ أراشِ بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهي التي يضرب بها المثل فيقال : «أسرع من نكاحِ أم خارجة»[2] . وقد ولدت عدّة بطونٍ من العرب حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارِباً . فممَّن ولدت الدِّيل وليث والحارث وبنو بكر بن عبدِ مناة بن كنانة ، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأُسيِّد والهُجيم ، بنو عمرٍو بن تميم ، وخارجة بن يشكر ، وبه كانت تكنى ، ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحِها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خطْبٌ ، فتقول له : نِكْح . وزعموا أنّ بعض أزواجها طلَّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حيِّها ، فلقيها راكبٌ فلمّا تبيَّنَتْه قالت لابنها : هذا خاطبٌ لي لا شكَّ فيه ، أفتراه يُعجِلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبُّها .

ولا أعلم أنِّي وجدتُ نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحدٍ إلاّ في حديثٍ أنا ذاكره ؛ فإن راويَه ذكر أن أبا قُرعة الكنانيّ جدّ مطيع ، فلا أعلم أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه به . أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبر على حاله .

[تلاحي ابن الزُّبير وجدّ مطيع]

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدّثني العمريّ وأبو فراس عمّي جميعاً ، عن شُراحِيل بن فراس ، أنّ أبا قرعة الكنانيّ ، واسمه

---

1 ترجمة مطيع بن إياس في طبقات ابن المعتز : 93–95 وتاريخ بغداد 13 : 226 وفوات الوفيات 4 : 145–150 وفي التذكرة الحمدونية كثير من أخباره وشعره وقد جمع غرونباوم شعره في «شعراء عباسيون» 1 : 30–76 .

2 المثل «أسرع من نكاح أم خارجة» في مجمع الميداني 1 : 348 وجمهرة العسكري 1 : 529 ومستقصى الزمخشري 1 : 166 وفصل المقال : 500 .

سلمى بن نوفلٍ ، قال : وهو جدُّ مطيع بن إياس الشاعر ، كانت بينه وبين ابن الزُّبير قبل أن يلي مقارضة[1] ، فدخل سلمى وابن الزُّبير يخطُب الناس ، وكان منه وجِلاً ، فرماه ابن الزُّبير ببصره حتى جلس ، فلمّا انصرف من المجلس دعا حَرَسيّاً فقال : امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد ، فادْعُ لي سلمى بن نوفلٍ . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهاً أيّها الضبّ . فقال : إنّي لست بالضبِّ ولكنّ الضبَّ بالضَّمر[2] من صخر . قال : إيهاً أيّها الذِّيخ[3] . قال : إن أحداً لم يبلغ سنّي وسنَّك إلاّ سمِّي ذيخاً . قال : إنّك لهاهنا يا عاضّ بظر أمّه . قال : أعيذك بالله أن يتحدّث العرب أنّ الشيطان نَطَقَ على فيك بما تنطق به الأُمَة الفَسْلة ، وايمُ الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحدٌ[4] إلاّ قد كانت أمُّه كذلك .

[والد مطيع بن إياس]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا علي بن محمد بن سليمان النوفليّ عن أبيه قال : كان إياسُ بن مسلم ، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً ، وكان قد وفد إلى نصر بن سيّار بخراسان فقال فيه : [من الطويل]

إذا ما نِعالي من خُراسانَ أقبلت ... وجاوزتُ منها مَخرما ثم مَخْرِما[5]

ذكـرتُ الذي أوليتَنـي ونشَرْتُه ... فإن شئتُ فاجعلني لشُكرِكَ سُلَّما

فأمّا نسب أبي قُرعة هذا فإنّه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة . ذكر ذلك المدائنيّ . قال المدائنيّ : وكان سلمى بن نوفل جواداً . وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

يسوَّدُ أقـــوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بل السيِّد الميمونُ سلمى بن نوفلِ

[رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره]

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العِشرة ، مليح النادرة ، ماجِناً متَّهماً في دينه بالزندقة ، ويكنى أبا سُلمى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أَمَدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزُّبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها ،

1 المقارضة : تبادل الذم أو المدح .

2 الضمر : رملة بعينها .

3 الذيخ : ذكر الضباع .

4 هكذا وردت هذه العبارة .

5 عنى بالنعال ذوات النعال ، وهي الإبل ، أو لعلّها «بغالي» . مخرم : الجبل أنفه .

فوُلِد له مُطيع .

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومتصرِّفاً بعده في دولتهم ، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقاربهم لا يَكسُد عند أحدٍ منهم ، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلاّ حكايةً بوفوده على سليمان بن علي ، وأنّه ولاّه عملاً . وأحسبه مات في تلك الأيّام .

[ظريف لا تحمد صحبته]

حدّثني عمّي الحسن بن محمد ، قال : حدّثني محمد بن سعد الكرانيُّ عن العمري عن العُتبيّ عن أبيه قال : قدِم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أرَ قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلى حديثاً منه ، وكان يحدِّثني عن مُطيعِ بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وحمادٍ الراوية ، وظرفاء الكوفة ، بأشياء من أعاجيبهم وطُرَفهم ، فلم يكن يحدِّث عن أحد بأحسن ممّا كان يحدّثني عن مطيع بن إياس ، فقلت له : كنت والله أشتهي أن أرى مُطيعاً ، فقال : والله لو رأيته للقِيتَ منه بلاءً عظيماً . قال : قلت : وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه . قال : كنتَ ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه ، ولا يصحبه أحدٌ إلاّ افتضح به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب قال : سألتُ رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيعَ بن إياسٍ عنه فقال : لا تُرِدْ أن تسألني عنه . قلت : ولِم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إيّايَ عن رجلٍ كان إذا حَضَرَ مَلَكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، وإذا عُرفتَ بصحبته فَضَحك .

[إعجاب الوليد بن يزيد به]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن عمرو قال : حدّثني أبو توبة صالح بن محمدٍ عن محمد جبير ، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال : قال لي جعفر بن يحيى : ذكر حكمٌ الواديّ ، أنّه غنّى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السنّ ، فقال : [من الرجز]

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس لها جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّت كأنّها ثعبانُ
قد جُدلت فجاءت كأنّها عنانُ

فطرِب حتى زحف عن مجلسه إليّ ، وقال : أعِد فدَيتك بحياتي . فأعدته حتى صَحِل

صوتي[1] ، فقال لي : ويحك ، مَن يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانيّ . فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد ، فحُمِل إليه . فما أشعر يوماً إلاّ برسوله قد جاءني ، فدخلتُ إليه ومطيع بن إياسٍ واقفٌ بين يديه ، وفي يد الوليد طاسٌ من ذهب يشربُ به . فقال له : غنّ هذا الصوت يا واديّ . فغنّيته إيّاه ، فشرِبَ عليه ، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : ادن منّي . فدنا منه ، فضمَّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه ، وقبَّل مطيعٌ رجلَه والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالسِ إليه ، ثم تمَّ يومه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيّام على هذا الصوت .

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، والصنعة لحَكمٍ . وقد حدّثني بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضور مطيع .

حدّثني به أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال : حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : بلغني عن حكمٍ الواديّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أمِّه عن حكم الواديّ قال : وفدتُ على الوليد بن يزيد مع المغنّين ، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ ، وعليه دُرّاعة وشي ، وبيده عقد جوهرٍ ، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينارٍ ، فقال : مَن غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي . فغنّوه فلم يطرب ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرهم سنّاً فغنّيته : [من الرجز]

إكليلهـــا ألـوانُ ووجهُهـا فَتّـانُ
وخالُهـــا فريـدٌ ليس لـه جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّتْ كأنَّهـــا ثعبـانُ

فرمى إليّ بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليَّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته .

[صحبته لزنادقة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ عن ابن توبة قال : كان مطيع بن إياسٍ ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيُّ ، وابن المقفّع ووالبةُ بن الحُباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلكٍ ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزَّندقة .

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدّثني عليٌّ بن محمدٍ النوفليّ عن أبيه وعمومته ، أنّ مطيعَ بن إياسٍ وعُمارة بن حمزة مولى بني هاشم ، وكانا مرميّين بالزندقة ، نزعا إلى عبد الله بن

1 صحل صوتي : بح .

معاوية بن جعفر بن أبي طالبٍ لَمّا خرج في آخر دولة بني أميّة ، وأوّل ظهورِ الدعوة العباسية بخراسان ، وكان ظَهَرَ على نواحٍ من الجبل : منها أصفهان وقُمّ ونَهاوَند ، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانه ولا يفارقانه .

قال النوفليّ : فحدّثني إبراهيم بن يزيد بن الخشكِ قال : دخل مطيع بن إياس على عبدالله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يذبُّ عنه بمنديل ، ولم يكن في ذلك الوقت مَذابٌّ ، إنّما المذابُّ عباسية ، قال : وكان الغلام الذي يذُبُّ أمردَ حسن الصورة ، يروقُ عين الناظر ، فلمّا نظرَ مطيعٌ إلى الغلام كاد عقله يذهب ، وجعل يكلِّم ابن معاوية ويُلجلِج ، فقال ابن معاوية : [من المنسرح]

إنّي ومـا أعْمَـل الحجيجُ له　　أخشى مُطيع الهوى على فرجِ

أخشـى عليـه مغامساً مَرِسا　　ليس بذي رِقْبـةٍ ولا حَرَجِ[1]

[ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال : حدّثنا عليُّ بن محمد النوفليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه عيسى قال : كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسيّ النوفليّ وعيلان اسم أبيه ، وكان شيخاً كبيراً دُهريّاً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عَسَّ لم يبقَ أحدٌ إلاّ قتله ، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس ، قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإنْ تَقَنَّـع شيباً　　لخبيثُ الهَوى على شَمَطِهْ[2]

أَجِزْ يا عُمارة . فقال : [من الخفيف]

ابنُ سبعـينَ منظراً ومَشِيبا　　وابنُ عَشرٍ يُعَـدُّ في سقطِهْ[3]

فأقبل على مطيع فقال : أجزْ . فقال : [من الخفيف]

وله شُرطـةٌ إذا جَنّـه الليـ　　ـلُ فعُوذوا بالله من شُرَطِهْ

[فعل قبيح وعذر أقبح]

قال النوفليّ : وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً ، فدخل عليه قومه فلاموه على فِعله ، وقالوا له : أنت في أدبك وشرفك وسُؤدِك وشعرك تُرمى بهذه الفاحشة القذِرة ؟ فلو أقصرتَ عنها ! فقال : جَرِّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قَبح الله فعلَك وعُذْرَك ، وما استقبلتنا به .

---

1 المغامس» الشديد الشجاع . وكذلك المرس . الرقبة : التحفظ والخشية .

2 الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .

3 السقط : الفضيحة .

[يفسد على حماد صاحبته]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرني أبو عبد الملك المروانيّ قال : حدّثني مطيع بن إياس قال : قال لي حماد عجردٍ : هل لك في أن أُريكَ خُشَّةَ صديقي[1] ، وهي المعروفة بظَبْية الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنّك إن قعدتَ عنها وخبُثت عينُك في النظر أفسدْتَها عليّ . فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمةٍ تسوءك ، ولأسُرَّنّك . فمضى وقال : والله لا أتكلّم ، لئن خالفتَ ما قلتُ لأخرجنّك . قال : قلت : إنْ خالفتُ إلى ما تكْرهُ فاصنَعْ بي ما أحببت . قال : امضِ بنا . فأدخلني على أظرفِ خَلْق الله وأحسنهم وجهاً ، فلمّا رأيتها أخذَني الزَّمع[2] وفطِن لي : فقال : اسكنْ يا ابن الزانية . فسكنتُ قليلاً ، فلحظتني ولحظتُها أخرى ، فغضِبَ ووضع قُلَنسِيَتَه عن رأسه ، وكانت صَلَعَته حمراء كأنها استُ قردٍ ، فلمّا وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت : [من الهزج]

وَارِ السَّوأَة السوآ ... ءَ يا حَمَّاد عن خُشَّهْ
عن الأترجَّةِ الغَضّـ ... ـةِ والتفاحةِ الهشَّهْ

فالتفت إليَّ ، وقال : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتَكَ بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فقالت له : الزانية أُمُّك ! وثاورته وثاوَرَها ، فشقّت قميصه ، وبصَقَت في وجهه ، وقالت له : ما تصادِقُك وتدعُ مثل هذا إلاّ زانية ! وخرجنا وقد لقي كلَّ بلاء ، وقال لي : ألم أقلْ لك يا ابن الزانية : إنّك ستفسدُ عليَّ مجلسي . فأمسكتُ عن جوابه ، وجعل يهجوني ويسبُّني ، ويشكوني إلى أصحابنا . فقالوا لي : اهجُه ودعنا وإيّاه . فقلت فيه : [من الهزج]

ألا يا ظبيةَ الوادي ... وذاتَ الجسدِ الرادِ[3]
وزينَ المِصر والدّارِ ... وزينَ الحيِّ والنادي
وذاتَ المَبسمِ العذبِ ... وذات المِيسَم البادي
أمَا باللهِ تستحْيِيـ ... ـنَ من خُلَّة حَمّادِ[4]
فحمَّادٌ فتًى ليس ... بذي عِزٍّ فتنقادي
ولا مالٍ ولا عِزٍّ ... ولا حَظٍّ لمرتادِ

---

1 يقال هذه صديقي وصديقتي . وخشة : اسم المرأة .

2 الزمع : شبه الرعدة .

3 الراد : الرخص اللين .

4 الخلة : الصداقة .

فتوبـي واتّقـي اللهَ وَبُتّـي حَبْـلَ عجرادِ
فقـد مُيِّزتِ بالحسنِ عـن الخَلْقِ بإفرادِ
وهـذا البينُ قـد حُمَّ فجُـودي منكِ بالزّادِ

في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكمٍ الواديّ رمَلٌ . قال : فأخذ أصحابنا رِقاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوها في الطريق . وخرجتُ أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم . فلمّا رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزّنا ، فعلّها ابن الزانية ، وساعدتموه عليّ !

قال : وأخذها حكمٌ الواديُّ فغنَّى فيها ، فلم يبقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا مُكارٍ إلاّ غنَّى فيها ، ثم غَنِيتُ مدّةً وقدِمتُ ، فأتاني فما سلَّم عليّ حتى قال لي : يا ابن الزانية ، ويلك أما رحِمتني من قولك لها : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

بالله قتلتني قَتَلك الله ! والله ما كلّمتني حتى الساعة . قال : قلت : اللهمّ أَدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه ، وآسِفْه[1] عليها ، وأغرِه بِها ؛ فشتمني ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قُم بنا حتى أمضيَ بك فأريك أختي ، وكانت لمطيع صديقة مغنّية يسمّيها «أختي» وتسمّيه أخي ، قال مطيع ، فمضينا فلمّا خرجتْ إلينا دعوت قيِّمةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً ، وعرّفتُها أنّ الذي معي حمّاد . فضحِكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء . وقد علمتْ بموضعه وعرَفَته ، فكان أوّل صوت غنّت : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليَّ فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانية أسررت هذا إلى قيمتها ؟ فقلت لا والله ، فقالت : كذبت والله يا ابن الزانية وشاتَمته صاحبتي ساعةً ، ثم قامت فدخلت . وجعـل يتغيَّـظ عليّ فقلت : أنتَ ترى أنّـي أمرتُها أن تغنّيَ بما غنّت ؟ قال : أرى ذلك وأظنُّه ظنّاً ، لا والله ، ولكنّي أتيقّنه ! فحلفتُ له بالطلاق على بُطلان ظنّه ، فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس مَن أفسد ذلك المجلس . فقال : قد والله فَعَلَ . وانصرفنا .

[يفسد صديقة يحيى الحارثي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال : قال يحيى بن زيادٍ الحارثيُّ لمطيع بن إيـاس : انطلِقْ بنا إلى فلانـة صديقتي ، فإنّ بيني وبينها مغاضبة ، لتُصلِح بيننا ، وبئس المصلح

1 آسفه : أغضبه .

أنت . فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيعٌ ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع : ما يُسكتك ، أسكتَ الله نأْمَتك[1] ؟ فقال لها مطيع : [من الخفيف]

أنتِ مُعتَلَّة عليه وما زا ل مُهيناً لنفسه في رضاكِ

فأعجبَ يحيى ما سمع ، وهَشَّ له فقال له مطيع :

فدَعِيه وواصلي ابنَ إياسٍ جُعِلَتْ نفسُه الغداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت ، فما زال يَجلِد بها رأسه ويقول : ألهذا جئتُ بك يا ابن الزانية ؟ ومطيع يُغوِّث[2] حتى ملَّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه وقد سَدِر[3] .

حدّثني الحسن بن عليٍّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : مرِض حمّاد عجردٍ ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلاّ مطيع بن إياس ، وكان خاصةً به ، فكتب إليه حمّاد : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي مَن كان يرجو ثَوابَ الله في صِلة المريضِ
فإن تُحدِثْ لك الأيّامُ سُقماً يحول جريضُه دونَ القريضِ[4]
يكنْ طولُ التأوُّهِ منك عندي بمنزلة الطَّنينِ من البعوضِ

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال : قدِم مطيع بن إياسٍ من سفر فقدِم بالرغائب ، فاجتمع هو وحمّاد عجردٍ بصديقته ظَبيةِ الوادي ، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة ، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائفِ ما أفاد ، فلمّا جلسوا يشربون غَنَّتْ ظبيةُ الوادي فقالت : [من الطويل]

أظنُّ خليلي غُدوةً سيسير وربِّي على أن لا يسير قديرُ

فما فَرَغت من الصوتِ حتّى غنَّت صاحبةُ مطيع : [من الخفيف]

ما أُبالي إذا النَّوى قرَّبتهم ودنونا من حَلَّ منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمّاد يشتمها .

---

1 النأمة : الصوت .
2 يغوث : يقول «واغوثاه» .
3 سدر : تحير .
4 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 444 .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

أظُنُّ خليلي غدوةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسيرَ قديرُ
عجبتُ لِمَن أمسى محبّاً ولم يكن ... له كفَنٌ في بيته وسريرُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيم الموصليّ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى .

[لا يفيق من هوى مكنونة]

حدّثني الحسن قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجانيّ قال : كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له : عُمَر بن سعيد ، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيع يهواها حتى اشتُهِر بها ، وقال له : إنّ قومك يشكونك ويقولون : إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة ، وقد لحقَهم العيبُ والعارُ بك من أجلها ؛ فأنشأ مطيع يقول : [من المنسرح]

قد لامَني في حبيبتي عُمَرُ ... واللّومُ في غيرِ كُنهِهِ ضجَرُ
قال أفِقْ ، قلتُ لا ، فقال بلى ... قد شاعَ في الناس عنكما الخبرُ
قلتُ قد شاع فاعتذارِيَ ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
عَجزٌ لعمرِي وليس ينفعُني ... فكُفَّ عنّي العتابَ يا عمرُ
وارجعْ إليهم وقُل لهُمْ قد أبى ... وقال لي لا أُفيقُ فانتحروا
أعشق وحدي فيُؤخَذون به ... كالتُّرك تَغزُو فيُقتل الخَزَرُ

[أين المحصنات]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني ابن أبي أحمد عن أبي العِبَر الهاشميّ قال : حدّثني أبي أنّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زيادٍ ، وحماد الراوية وهما يتحدّثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : في قَذْف المحصَنات . قال : أو في الأرض محصَنة فتقذِفانِها ؟!

[يضع حديثاً لتولية المهدي]

حدّثني عيسى بن الحسن الورّاق قال : حدّثني عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزياتِ . وحدّثنيه الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدّثني محمد بن هارون قال : أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهديّ ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك . فأمَرَ بإحضار الناس فحضَروا ، وقامت الخطباء فتكلّموا ، وقالت الشعراء فأكثَرُوا في وصف المهديّ وفضائله ، وفيهم مطيع بن إياسٍ . فلمّا فرَغَ من كلامه

في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين . حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبيّ ﷺ قال : «المهديُّ منّا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا . يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً» ، وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس ، فقال له : أُنشُدُكَ اللهَ هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعم ، مخافةً من المنصور . فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهديّ .

قال : ولمّا انقضى المجلسُ ، وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : أرأيتم هذا الزنديق إذ كَذَبَ على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كِذبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهِد كلُّ مَن حضر عليَّ بأنّي كاذب ؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه . فجفاه وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفرٌ ماجناً ، فلمّا بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشَقَّتْ عليه البيعة لمحمدٍ ، فأخرج أيره ثم قال : إن كان أخي محمدٌ هو المهديّ فهذا القائم من آل محمدٍ .

[أبو جعفر يتهمه بإفساد ابنه]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ يخدُم جعفرَ بن أبي جعفر المنصور وينادمه ، فكره أبو جعفرٍ ذلك ، لما شُهر به مطيعٌ في الناس وخَشِيَ أن يُفسده ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت على أن تفسِد ابني عليّ وتعلِّمَه زندقتك ؟ فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنَّ بي هذا ، والله ما يسمع مني إلاّ ما إذا وعاه جمَّله وزيَّنه ونبَّله ! فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلاّ ما يضرُّه ويغرُّه . فلمّا رأى مطيعٌ لجاجه في أمره قال له : أتؤمِنُني يا أميرَ المؤمنين عن غضبك حتى أصدُقَك ؟ قال : أنت آمن . قال : وأيُّ مُستصلَحٍ فيه ؟ وأيُّ نهايةٍ لم يبلُغْها في الفساد والضّلال ؟ قال : ويلك ، بأيّ شيء ؟ قال : يزعم أنّه يتعشّق امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خِطبتها ، وجمعِ أصحاب العزائم عليها ، وهم يغُرونه ويَعِدونه بها ويمنُّونه ، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هزل ولا كفرٍ ولا إيمان . فقال له المنصور : ويلك ، أتدري ما تقول ؟ قال : الحقّ والله أقول ، فسل عن ذلك . فقال له : عُد إلى صحبته واجتهد أن تُزيلَه عن هذا الأمر ، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه .

أخبرني عمّي قال : حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياسٍ منقطعاً إلى جعفرِ بن أبي جعفر المنصور ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً ، فقال لمطيع : قد أفسدتَ ابني يا مطيع . فقال له مطيع : إنّما نحن رعيّتُك فإذا أمرتَنا بشيءٍ فَعَلْنا .

[جعفر يتعشّق امرأة من الجن]

قال : وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه : ما حَملك على أن دخلتَ داري بغير إذن ؟ فقال له أبو جعفر : لعن الله من أشبهَك ، ولعنك ؛ فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، قال : وكان خليعاً ، فقال : أريد أن أتزوّج امرأةً من الجنّ ! فأصابه لمم ، فكان يُصرَع بين يَدَيْ أبيه والربيع واقف ، فيقول له : يا ربيع ، هذه قدرةُ الله .

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه : فأصاب جعفراً من كثرة وَلَعِهِ بالمرأة التي ذكر أنّه يتعشّقها من الجنّ صَرْعٌ ، فكان يصرع في اليوم مرّاتٍ حتى مات ، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً ، ومشى في جنازته ، فلمّا دُفِن وسوِّي عليه قبره قال للربيع : أنشِدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد . فأنشده : [من المنسرح]

يا أهــليَ ابكُوا لقلبيَ القرِح ... وللدُّمــوع الــذَّوارفِ السُّفُحِ

راحُوا بيحيى ولو تطاوِعُني الـ ... ـأقــدارُ لم يَبتكِر ولم يَـرُحِ

يا خيرَ من يَحْسُن البكاءُ له الـ ... ـيومَ ومَــن كان أمس لِلمَدحِ

قال : فبكى المنصور ، وقال : صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

أخبرني به عمِّي أيضاً عن الخزاز عن المدائنيّ ، فذكر مثله .

[شعره في جارية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال ، حدّثني المغيرة بن هشامٍ الرَّبَعيّ قال : سمعت ابن عائشة يقول : مرّ مطيع بن إياسٍ بالرُّصافة ، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَت من قصر الرُّصافة كأنّها الشمس حسناً ، وحواليَها وصائفُ يرفعنَ أذيالها ، فوقف ينظر إليها إلى أن غابتْ عنه ، ثم التفتَ إلى رجلٍ كان معه وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا خَرجْــنَ من الرُّصا ... فــة كالتَّماثيــل الحسانِ

يَحففُــنَ أحــورَ كالغزا ... لِ يميسُ في جُدُل العِنانِ[1]

قطّعْــنَ قلبــي حسرةً ... وتقسُّمــاً بــين الأمــاني

ويــلي عــلى تلــك الشما ... ئِـلِ واللطيفِ من المعاني

يــا طُــولَ حَــرِّ صبابتي ... بــينَ الغــواني والقيــانِ

[جزع ابنته من رحيله]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعيد ، عن ابن توبة صالح بن محمد ، قال : حدّثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال : قال محمد بن الفضل بن السكونيّ : رَحَل مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلمّا رأته بنتُه قد صَحّح العزم على الرّحيل بَكت ، فقال لها : [من الخفيف]

اسكُتي قد حَزَزْتِ بالدَّمع قلبي ... طالمــا حَــزَّ دمعُكُنَّ القُلوبا

وَدَعي أن تقطِّعــي الآنَ قلبي ... وتُرِينــي في رِحلتــي تعذيبا

---

1 الجدل : جمع جديل ، وهو الزمام المجدول . يعني أنها مجدولة القوام .

فعسى اللهُ أن يُدافِعُ عنّــي ريبَ مـا تحذرين حتّى أءُوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذو المعـالي بِعزيـزٍ عليــه فادعــي المُجيبا
أنا في قبضـةِ الإلـــه إذا ما كنت بعيداً أو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية ، فكانَ أوّلها : [من الخفيف]

ولقد قلتُ لا بنتي وهي تكوي بانسِكابِ الدُّموعِ قلبــاً كئيبا

وبعده بقية الأبيات .

[أومأ لقينة بقبلة فصدته]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ ، عن صالح الأصمّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ ، وعندهم قينةٌ تغنيهم ، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ ، فقالت له : تُراب ؛ فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنَّ قلبي قــد تصابى بعـد مــا كان أنــابا
ورَمــاه الحــبُّ منــه بسهــــامٍ فــــأصابا
قــد دَهاه شادِن يَلـ ـبَس في الجِيد سِخابا[1]
فهو بــدرٌ في نِقابٍ فــإذا ألقــى النقابا
قلتَ شمسٌ يوم دَجْنٍ حَسَرت عنها السَّحابا
ليتني منــه على كَشْـ ـحَينِ قــد لانا وطابا
أحضَرُ النّاس بما أكـ ـــرَهُــه منــهُ جوابا
فــإذا قُلْتُ أنِلْنــي قبلــةً قـــال تُرابا

لحكم الواديِّ في هذه الأبيات هزجٌ بالبِنصر ، من رواية الهشاميّ .

[سرعة بديهته]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال : ذكر موسى بن صالح بن سنحٍ بن عميرة أنّ مطيعَ بنَ إياسٍ كان أحضَرَ الناس جوابا ونادرة ، وأنّه ذاتَ يوم كان جالساً يعدِّد بطونَ قريشٍ ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها ، فقيل له : فأين بنو كنانة ؟ قال : [من الخفيف]

بِفَلَسْطِين يُسرِعون الرُّكوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات : [من الخفيف]

---

1 الشادن : الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه . السخاب : القلادة من الزهر .

حَلَقٌ من بنـي كنانةَ حولي بفِلَسطين يُسرعون الرُّكوبا

[فضح أبا دهمان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العتبيّ قال : كان أبو دهمان صديقاً لمطيع ، وكان يظهر للناس تألُّهاً[1] ومروءةً وسمتاً حسناً ، وكان ربما دعا مُطيعاً ليلة من الليالي أن يصير إليه ، ثم قطَعه عنه شُغل ، فاشتغَلَ به وجاء مطيعٌ فلم يجِده ، فلمّا كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه ، فأنشدهم فيه : [من المجتث]

ويـلِيَ ممَّـنْ جفـاني وحُبُّـه قـد بـراني
وطَيفُـه يلقــاني وشخصُـه غير دانِ
أغَــرّ كالبدرِ يُغْشي بحسنــه العينــانِ
جــارَيَّ لا تَعذلاني في حبِّــه ودعــاني
فــربّ يـومٍ قصيرٍ في جَوْسق وجِنانِ
بالـرّاح فيــه يُحَيًّا والقصفِ والريحـانِ
وعندنــا قينتــانِ وجهاهمــا حَسَنانِ
عُوداهُمــا غَـرِدانِ كأنّمــا ينطقــانِ
وعندَنــا صاحبـانِ للدّهــر لا يَخضَعانِ
وربّ يــوم طعانٍ شهدتــه أرونـانٍ[2]
فكنــتُ أوّل حــامٍ وأوّلَ السَّرَعــانِ[3]
في فتيــةٍ غيرِ ميـلٍ عند اختلافِ الطِّعانِ
من كلّ خَرْق نجيبٍ في السرِّ والإعـلانِ
حَمّــالِ كلِّ عظيـم تضيق عنــه اليدانِ
وإنْ ألحَّ زمــــان لم يستكِـنْ للـزمانِ
فــزالَ ذاك جميعاً وكلُّ شيء فــانِ
مَن عاذري مِن خليلٍ موافــقٍ مِلْــدانِ[4]
مُداهــنٍ متــوانٍ يكنــى أبـا دهمانِ

---

1 التألّه : التنسك والتعبّد .
2 أرونان : متلهب كالنار .
3 السرعان : المتسابقون .
4 ملدان : لين ناعم .

متـى يَعِـدْك لقاءٌ فالنّجـمُ والفرقدانِ
وليس يُعتِـمُ إلاَّ سكرانَ مَـعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غـلامٍ كأنّه غُصنُ بـانِ
مِـن خَندريسٍ عُقارٍ كحُمْـرة الأرجُوانِ[1]

قال : فلقيه بعد ذلك أبو دهمان ، فقال : عليك لعنة الله فضحتني وهَتَفْتَ بي ، وأذَعْتَ سرِّي ، لا أُكلِّمُك أبداً . ولا أُعاشرك ما بقيت ، فما تفرُق بين صديقك وعدوِّك .

[إنكاره للزندقة]

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجليّ العطّار بالكوفة ، قال : حدّثني عليُّ بن عُمْروسٍ عن عمِّه عليِّ بن القاسم قال : كنتُ آلفُ مطيع بن إياس ، وكان جاري ، وعنَّفني في عشرته جماعةٌ ، وقالوا لي : إنّه زنديق . فأخبرته بذلك . فقال : وهل سمعتَ منّي أو رأيتَ شيئاً يدلُّ على ذلك ، أو هل وجدتَني أُخِلُّ بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ ؟ فقلت له : والله ما اتَّهمتُك ولكنّي خبَّرتك بما قالوا . واستحيَيْتُ منه . فعجل عليَّ السكر ذاتَ يوم في منزله . فنمت عنده ، ومُطِرنا في جوف الليل وهو معي ، فصاح بي مرّتين أو ثلاثاً ، فعلمتُ أنّه يريد أن يصطبح ، فكَسِلت أن أجيبَه ، فلمّا تيقَّن أنّي نائمٌ جعل يردِّد على نفسه بيتاً قاله ، وهو قوله : [من الكامل]

أصبَحتُ جمَّ بلابلِ الصَّدرِ عَصراً أكاتمُـه إلى عَصرِ[2]

فقلت في نفسي : هذا يَعمل شعراً في فنّ من الفنون . فأضاف إليه بيتاً ثانياً ، وهو قوله : [من الكامل]

إن بُحْتُ طُلَّ دمي وإن تُرِكَتْ وَقَـدَتْ عـليَّ توقُّـدَ الجمرِ[3]

فقلت في نفسي : ظفِرت بمطيع . فتنحنحتُ ، فقال لي : أما ترى هذا المطر وطيبه ، اقعدْ بنا حتى نشرب أقداحاً . فاغتنمتُ ذلك ، فلمّا شربنا أقداحاً قلت له : زعمتُ أنّك لستَ بزنديق . قال : وما الذي صَحَّح عندك أنّي زنديق ؟ قلت : قولك : «إن بُحتُ طلَّ دمي» ، وأنشدته البيتين ، فقال لي : كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعتُ منك ثالثاً . فقال : بلى قد قلتُ ثالثاً . قلت : فما هو ؟ قال : [من الكامل]

ممّـا جنَاه على أبي حسنٍ عُمَـرٌ وصاحبُه أبـو بكرِ

وحدّثني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن

---

1 الخندريس : الخمرة المعتقة . والعقار : التي تذهب الوعي .
2 جم بلابل الصدر : كثير الوساوس والهموم .
3 طل دمه : أبيح .

المدبّر قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : جاء مطيع بن إياس إلى إخوانٍ له وكانوا على شراب ، فدخل الغلام يستأذن له ، فلمّا سمع صاحب البيت بذِكره خرج مبادراً ، فسمعه يقول : [من الكامل]

أمسيتُ جمَّ بلابِلِ الصدرِ ... دهراً أزجّيه إلى دهرِ

إن فُهْتُ طُلَّ دمي وإن كُتِمَتْ ... وقَدَت عليَّ توقُّدَ الجمرِ

فلمّا أحسَّ مطيعٌ بأنَّ صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال :

ممّا جناه على أبي حسن ... عمرٌ وصاحبُه أبو بكرِ

وكان صاحب البيت يتشيّع ، فأكبَّ على رأسه يُقبِّله ويقول : جَزاكَ اللهُ يا أبا مسلم خيراً !

[رميت ابنته بالزندقة]

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب : أنَّ الرشيد أُتِيَ ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة ، فقرأت كتابَهم واعترفَت به ، وقالت : هذا دِينٌ علَّمَنيه أبي ، وتُبتُ منه . فقبِل توبتها وردّها إلى أهلها .

قال أحمد : ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها : «الفراشيَّة» قد رأيتُهم ، ولا عقِب لمطيع إلاّ منهم .

[دعوة ليحيى بن زياد]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد ، وكان بها رجلٌ يقال له : الفهميّ ، مغنٍّ مُحسن ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات . قال : [من مجزوء الرمل]

عندنا الفهميُّ مَسرُو ... رٌ وزَمّارٌ مُجيدُ

ومُعاذٌ وعِياذٌ ... وعُمَيرٌ وسعيدُ

ونَدامى يُعْمِلون الـ ... ـقَلْزَ والقَلْزُ شديدُ

بعضُهم ريحانُ بعض ... فهم مِسكٌ وعُودُ

قال : فأتاه يحيى ، فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهديّ ، فضحك منها ، وقال : تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة .

قال الكرانيّ : القَلْز : المبادلة[1] .

وجدتُ هذا الخبر بخطِّ ابن مَهْرُوَيْه ، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني .

---

1 القلز في المعجم : ضرب من الشرب أو الوثب .

فذكر أنَّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته ، واصطبح يوم الأضحى . وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات : [من مجزوء الرمل]

قـد شربنا ليلةَ الأضـ ـحـى وساقينا يزيدُ
عندنا الفهميُّ مسرو رٌ وزَمَّـــار مُجيــدُ
وسليمـــانُ فَتانـا فهـو يُبدي ويُعيدُ
ومُعـــاذٌ وعِيـــاذٌ وعُمَيـر وسَعيـــدُ
وندامـى كلُّهم يَقْـ ـلِـزُ والقَلْـزُ شديدُ
بعضهم ريحانُ بعض فهـــمُ مسك وعودُ
غابت الأنحُسُ عنهم وتلقَّتهـم سُعـــودُ
فترى القـوم جُلوساً والخَنـا عنهـم بعيدُ
ومطيعٌ بنُ إيـاس فهـو بالقَصْف ولِيدُ
وعـلى كرِّ الجديديْـ ـنِ ومـا حَلَّ جليدُ

[دعوة أخرى إلى الشرب واللهو]

ووجدت في كتاب بِعقبِ هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيعٍ : «أنا اليومَ نشيطٌ للشُّربِ ، فإن كنتَ فارغاً فَصِرْ إليّ ، وإن كان عندك نبيذٌ طيِّب ، وغناءٌ جيّد جِئتُك» . فجاءته رقعته وعنده حمادٌ الراوية وحكم الوادي ، وقد دَعَوا غلاماً أمرد ، فكتب إليه مطيع : [من مجزوء الرجز]

نَعَـمْ لنـا نبيذٌ وعندَنـا حَمّـادُ
وخيرُنـا كثيـرٌ والخيـر مُستزادُ
وكُلّنا من طَرَبٍ يطيـرُ أو يكادُ
وعندنـــا واديُّنا وهـو لنا عمادُ
ولهوُنـا لذيـــذٌ لم يَلْهُـــهُ العِبادُ
إنْ تشتـه فساداً فعندَنـــا فسادُ
أو تشتـهِ غلامـاً فعندنـا زيـادُ
مـا إنْ بـه التواءٌ عنـا ولا بِعـادُ

قال : فلمّا قرأ الرقعة صار إليهم ، فأتمّ يومه معهم .

[مدح الغمر بن يزيد]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُرَيزيّ عن أبيه قال : مدح مطيع بن إياس الغمرَ بن يزيدَ بقصيدته التي يقول

فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تَلْحَ قلبك في شَقائِـه وَدَعِ المتيَّـمِ في بلائِـهْ[1]
داوِ الفـؤاد مـن السقام فقـد بدا لـك عظم دائِـهْ
كفكِفْ دموعَك أنْ تفيضَ بناظـرٍ غـرقٍ بمائِـهْ
ودَع النسيبَ وذكـرَه فبحَسب مَثلك من عنائِهْ
كم لـذّةٍ قـد نلتَهـا ونعيـم عيشٍ في بهائِـهْ
بنواعِـمٍ شبْـهِ الدُّمـى والليلُ في ثِنْيَـيْ عمائِـهْ[2]
واذكـر فتًـى بيمينـه حَتْفُ الزمان لدى التوائِهْ
وإذا أُبَيَّـةُ حُصِّلَـتْ كان المهـذَّبَ في انتمائِهْ
وإذا الأمـورُ تفاقَمَـتْ عِظَماً فمصدَرُها برائِـهْ[3]
وإذا أردتَ مديحَـه لم يُكْدِ قولُك في ثنائِـهْ[4]
في وجهـه عَلَـمُ الهدى والمجـدُ في عِطْفَـيْ ردائِـهْ
وكأنّمـا البـدر المنـ ـير مُشَبَّه بـه في ضيائِـهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل قصيدة أخذ بها جائزة سنيّة ، وحرّكته ورفعَت من ذكره ، ثم وصلهُ بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه .

[علاقته بيحيى بن زياد]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه ، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هِجْرةٍ[5] كانت بينهما وتباعُد : [من الخفيف]

يـا سميَّ النبيِّ الذي خَـ ـصَّ بـه الله عبدَه زكريا
فدعاه الإلهُ يحيى ولم يَجْـ ـعَلْ له الله قبلَ ذاك سَمِيّا
كنْ بصبٍّ أمسى بحبّكَ برّاً إنّ يحيى قد كان بَرّاً تقيّا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته : [من المديد]

قد مضى يَحْيى وغودِرْتُ فردا نُصْبَ مـا سَرَّ عيونَ الأعادي

---

1 لا تلح : لا تلم .
2 ثنيي عمائه : كناية عن شدة الظلام .
3 رائه : رأيه .
4 لم يكد : لم يخب .
5 هجرة : جفوة .

وأرى عَيْنِيَ مُـذْ غـابَ يحيـى ... بُدِّلت مـن نَومهـا بالسُّهادِ
وسَّدتْهُ الكـفُّ منِّـي ترابـاً ... ولقـد أرثي لـه مـن وِسادِ
بـين جِيرانٍ أقامـوا صُموتاً ... لا يُحِيرونَ جـواب المنادِي
أيُّها المزن الذي جـاد حَتَّى ... أعشبَتْ منـه متونُ البوادي
اسقِ قبراً فيـه يحيـى فإنِّي ... لـك بالشكرِ مُـوافٍ مُغادِ

[أسفه على جوهر حين بيعت]

نسختُ من نسخةٍ بخطّ هارون بن محمد بن عبد الملك قال : لمّا بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها ، وفيه غناء من خفيفِ الرمل أظنّه لحكَم : [من السريع]

صاح غـرابُ البينِ بالبِـين ... فكـدتُ أنقـدُّ بنصفَـين
قد صار لي خِدنانِ مِن بَعدهم ... هـمٌّ وغـمٌّ شرُّ خِدنَـين
أفدِي التي لم ألْقَ مِن بعدها ... أُنْساً وكانـت قُـرَّةَ العين
أصبحتُ أشكو فرقـةَ البين ... لمّـا رأت فُرقَتَهـم عينـي

[حج لم يتم]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدّثنا العباس بن ميمون بن طائع قال : حدّثني ابن خرداذبه قال : خرج مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ حاجّين ، فقَدَّما أثقالَهما وقال أحدهما للآخر : هل لك في أن نمضي إلى زُرارة فنقصفَ ليلتنا عنده ، ثم نَلحَقَ أثقالنا ؟ فما زال ذلك دأبَهم حتى انصرف الناس من مكّة . قال : فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين . وقال مطيعٌ في ذلك : [من الوافر]

ألم ترني ويحيـى قد حجَجْنا ... وكان الحجُّ من خيرِ التجارَهْ
خرجنـا طالِبَـيْ خيرٍ وبِـرٍّ ... فمال بنـا الطريقُ إلى زُرارَهْ
فعادَ الناس قـد غنموا وحَجُّوا ... وأُبْنا موقَريـن مـن الخسارَهْ

وقد رُوِي هذا الخبر لبشّارٍ وغيره[1] .

[شعره في ريم الجارية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا الفضل بن محمدٍ اليزيديُّ عن إبراهيم الموصليٍّ عن محمد بن الفضل قال : خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته ، فمضى إلى البصرة ، وخرج

---

1 انظر ترجمة بشار 3 : 128 . والأبيات فيها منسوبة إلى سعد بن القعقاع رفيق بشار .

حمّاد عجردٍ إليها معه ، وعاد حمّادٌ الراوية إلى الكوفة ، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها : «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها : [من الكامل]

لــولا مكانُــكِ في مدينتهــمْ ... لظعنتُ في صَحبي الألى ظَعَنُوا
أُوطنــتُ بَغْــداداً بحبِّكُــم ... وبغيرهــا لولاكُــم الوطــنُ[1]

قال : وقال مطيعٌ في صبوح اصطَبَحَه معها : [من الطويل]

ويــومٍ ببغداد نعِمْنــا صباحَــه ... على وجــه حوراء المدامع تُطْرِبُ
ببَيت تــرى فيــه الزُّجاجَ كأنّه ... نجومُ الدُّجى بين النَّدامى تَقَلَّبُ
يُصَرِّف ساقينــا ويقطب تــارةً ... فيا طيبَها مقطوبــةً حين يَقْطِبُ[2]
علينا سحيــقُ الزعفــران وفوقَنــا ... أكاليلُ فيهــا الياسَمين المُذَهَّبُ
فما زلتُ أُسقى بين صَنْجٍ ومِزهَرٍ ... من الرّاحِ حتّى كادت الشمس تغرُبُ

وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

أمسى مطيــع كلِفــا ... صبّاً حزينــا دَنِفــا
حُــرٌّ لِمَن يعشَقُــه ... بِرِقِّـــه معترفـــا
يــا ريمُ فاشفي كَبِداً ... حَــرَّى وقلبــا شُغِفا
ونوِّلينـــي قبلــةً ... واحــدةً ثــمَّ كفى

قال وفيها يقول : [من السريع]

يا ريمُ قــد أتلفتِ رُوحي فما ... منها معــي إلاَّ القليلُ الحقيرْ
فأذنِبــي إن كنــتِ لم تُذْنِبــي ... فيّ ذُنوبــاً إنَّ ربِّــي غفــورْ
ماذا على أهلِكِ لو جُدتِ لي ... وزُرْتني يــا ريــمُ فيمن يزورْ
هل لك في أجــرٍ تُجازَيْ به ... في عاشقٍ يرضيه منكِ اليسيرْ
يَقبَل مــا جدتِ بــه طائعــاً ... وهــو وإن قــلَّ لديــه الكثيرْ
لعمريَ مَــن أنتِ له صاحبٌ ... مــا غاب عنه في الحياة السُّرورْ

قال وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

يا ريــمُ يا قاتلتي ... إن لم تجودِي فَعِدي

---

1 أوطن المكان : اتخذه وطناً .

2 يقطب : يمزج .

بَيَّضْتِ بالمطل وإخلا فِكِ وعـدي كَبِدي
حالَفَ عيني سُهُدي ومـا بهـا من رَمَدِ
يا ليتَنـي في الأحد أبليتِ منّي جسدي
لَمن بـه من شِقْوتي أخذتُ حتفي بيَدي

[من غزله بجوهر]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس، يقوله في جوهر جارية بربر: [من السريع]

يا بأبي وجهُكِ من بينهمْ فإنّـه أحسنُ مـا أبصِرُ
يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدرُ إذا يَزْهَـرُ
جاريةٌ أحسَنُ من حَلْيها والحَلْيُ فيـه الدرُّ والجوهرُ
وجِرمُها أطيبُ من طيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرُ[1]
جاءت بها بربـرُ مكنونةً يـا حبّذا مـا جَلبتْ بَربرُ
كأنّمـا رِيقَتُهـا قهـوةٌ صُبَّ عليهـا بـاردٌ أسمرُ[2]

[عبث بأبي العمير]

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا قال: حدّثني منصور بن بشر العُمركي عن محمد بن الزِّبرقان قال: كان مطيع بن إياسٍ كثير العبثِ، فوقف على أبي العمير: رجلٍ من أصحاب المُعَلّى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال: [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديـك أبـا العُمير أراني الله في استِكَ نصفَ أيرِ

فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لَوْ جُدْتَ لأحدٍ بالأيرِ كلّه لجدتَ به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بِحُبِّك له لا نريده كلّه إلاّ لك. فأفحمه، ولم يعاود العبث به.

قال: وكان مطيع يُرمى بالأُبنة.

[لا يحمد الله على السلامة]

قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمَد الله على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم تَرُعك هدَّته، ولم يُصِبْك غباره، ولم تغرم أجرةَ بنائه.

[مدح جرير بن يزيد فأجازه سرّاً]

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليَسَع الشيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: وفد مطيع بن

1 الجرم: الجسم.
2 يعني العسل.

إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ وقد مدحه بقصيدته : [من المتقارب]

أمِـن آل ليلى عَزمـتَ البُكورا ... ولم تَلْقَ ليلى فَتَشفي الضَّمِيرا

وقـد كنتَ دهـرك فيما خلا ... لليـلى وجاراتِ ليـلى زَءُورا

ليـالي أنـت بهـا معجَـبٌ ... تَهيم إليهـا وتَعصِي الأميرا

وإذْ هـي حـوراءُ شِبهُ الغزا ... لِ تُبصِرُ في الطَّرف منها فُتُورا

تقول ابنتـي إذْ رأت حالتـي ... وقرَّبـتُ للبين عَنْساً وكُورا[1]

إلى مَـن أراكَ ، وقتـك الحتُو ... فَ نفسي ، تجشَّمتَ هذا المَسيرا

فقلـتُ : إلى البَجَـليِّ الذي ... يفُكُّ العُنـاةَ ويُغنـي الفقيرا[2]

أخِي العُرف أشْبَه عنـد النـدى ... وحَمْـلِ المِئـينَ أبـاهُ جديرا

عَشِيرِ الندى ليس يرضى النَّدى ... يـدَ الدَّهرِ بعد جَريـرٍ عشيرا

إذا استكثر المجتـدون القليـ ... ـلَ للمُعْتَفِينَ استقلَّ الكثيرا

إذا عَسُر الخير في المجتَديـ ... ـن كان لديه عَتيـداً يسيرا

وليس بمانـع ذي حاجـةٍ ... ولا خـاذلٍ مَن أتـى مُستجيرا

فنَفسي وَقَـتْك أبـا خالـدٍ ... إذا ما الكُماةُ أغاروا النُّمورا[3]

إلى ابن يزيـدَ أبـي خالـدٍ ... أخي العرفِ أعملتُها عيسجورا[4]

لِنَلْقـى فواضلَ مـن كفِّـه ... فصادفت منـه نـوالاً غزيرا

فإن يكـنِ الشُّكرُ حُسْنَ الثنا ... ءِ بالعرفِ مِنّي تجدْني شكورا

بصيراً بمـا يستلـذُّ الـرّوا ... ةُ من مُحْكَم الشِّعر حتّى يسيرا

فلمّا بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً ، ولم يعلمْ أحد بحضوره ، ثم قال له : قد عرفت خبرَك ، وإنّي متعجِّل لك جائزتَك ساعتي هذه ، فإذا حضرتَ غداً فإنّي سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء ، وأزوِّدُك نفقة طريقِك وأصرِفُك ، لئلاّ يبلغَ أبا جعفرٍ خبري فيُهلكني . فأمر له بمائتيْ دينار ، فلمّا أصبحَ أتاه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فقال له : يا هذا لقد رميتَ بآمالك غير مرمًى ، وفي أيِّ شيءٍ أنا حتّى ينتجِعَني الشعراء ؟ لقد أسأتَ إليَّ لأنّني لا أستطيع تبليغك

1 الكور : الرحل .

2 العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

3 الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المدجج بالسلاح .

4 العيسجور : الناقة الصلبة السريعة .

مَحابِّك[1] ، ولا آمَن سُخطك وذمَّك . فقال له : تسمع ما قلتُ فإنّي أقبل ميسورَك ، وأبسُط عُذْرَك . فاستَمَع منه كالمتكلّف المتكرّه ، فلمّا فَرَغ قال لغلامه : يا غلام كم مبلغُ ما بقي من نفقتنا ؟ قال : ثلاثمائة درهم . قال : أعطه مائة درهمٍ لنفقة طريقه ، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله ، واحتبِس لنفقتنا مائة درهم . ففعل الغلام ذلك ، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً ، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره .

[بعض ما غنّي فيه من شعره]

أنشدني وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أمِّه ، لمطيع بن إياسٍ ، وفيه غناء : [من المنسرح]

واهاً لشخص رجوتُ نائلَه ... حتّى انثنى لي بِودِّهِ صَلَفا

لانَتْ حواشيهِ لي وأطمَعَني ... حتّى إذا قلت نلتُه انصرفا

قال : وأنشدني حمّاد أيضاً عن أبيه ، لمطيع بن إياس ، وفيه غناءٌ أيضاً : [من مجزوء الوافر]

خليـلي مخلفٌ أبـدا ... يمنّيـني غـداً فغـدا

وبعـد غدٍ وبعـد غدٍ ... كـذا لا ينقضِي أبَدا

لـه جمرٌ على كبِـدي ... إذا حَرَّكتُـه وَقَـدا

وليس بلابثٍ جَمْرُ الـ ... ـغَضى أن يُحرِق الكَبِدا

وفي هذه الأبيات لعَريب هزج .

[أطيب الأشياء]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال : حدّثنا العنزيّ عن مسعود بن بشرٍ قال : قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياسٍ : أيُّ الأشياء أطيبُ عندك ؟ قال : «صهباءُ صافية ، تمزجها غانية ، بماءِ غادية» .

قال : صدقت .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو عبد الله التميمي قال : حدّثنا أحمد بن عبيدٍ . وأخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرّانيّ عن العمَريّ عن العُتْبيّ قال : سكر مطيع بن إياسٍ ليلةً ، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلَف بالطلاق : [من مجزوء الكامل]

لا تحلِفـا بطلاقِ مَنْ ... أمسَتْ حوافرها رقيقَهْ

مهلاً فقـد علـم الأنا ... مُ بأنّها كانت صديقَهْ

---

1 محابك : ما تحب .

فهجره يحيى وحَلَف ألاّ يكلّمه أبداً ، فكتب إليه مطيع : [من الخفيف]

إنْ تصِلْني فمثلُك اليوم يُرْجى عفوُه الذّنبَ عن أخيه ووَصْلُهْ
ولئن كنت قد هممتَ بهجري لِلذي قــد فعلتُ إنّي لأهلُهْ
وأحَقُّ الرّجال أن يَغفِر الذّنـ ـبَ لإخوانــه الموفَّـرُ عقلُهْ
الكريمُ الذي لـه الحسَبُ الثّا قبُ في قومه ومن طاب أصلُهْ
ولئــن كنتَ لا تصاحِب إلاّ صاحباً لا تَزِلّ مـا عاشَ نعلُهْ
لا تجدْه وإن جهِدْتَ ، وأنّى بـالذي لا يكـاد يُوجَد مثلُهْ
إنّما صاحبي الذي يغفـر الذنـ ـبَ ويكفيــه مـن أخيه أقلُّهْ
الذي يَحفظُ القديمَ من العهـ ـد وإنْ زَلَّ صاحبٌ قلَّ عذلُهْ
ورعى مـا مضى مِن العهد مِنه حين يؤذِي من الجهالة جهلُهْ
ليس مَـن يُظهِـرُ المودّةَ إفْكاً وإذا قـال خالَف القولَ فِعلُهْ
وَصْلُه للصَّديق يـومٌ فإنْ طا لَ فيومـانِ ثـم ينبـتُّ حبلُهْ

قال : فصالحه يحيى وعاوَدَ عشرته .

[الجليس الثقيل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال : حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال : حدّثني أبي عن رجلٍ من أهل الشام قال : كنتُ يوماً نازلاً بدَير كعب ، قد قدمتُ من سفرٍ ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ وآلةٌ وعَيبة ، فكان قريباً من موضعي ، فدعا بطعام فأكل ، ودعا الراهبَ فوهَبَ له دينارين ، وإذا بينه وبينه صداقةٌ ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويحدِّث الراهب ، وأنا أراهما ، إذْ دخل الدَّير رجل فجلس معهما ، فقطع حديثهما وثقُل في مجلسه ، وكان غثَّ الحديث ، فأطال . فجاءني بعض غِلمان الرجل النازل فسألته عنه ، فقال : هذا مطيع بن إياس . فلمّا قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً ، وجعل يشرب حتى سكر ، فلمّا كان من غدٍ رَحَلَ ، فجئت موضعَه فإذا فيه مكتوب : [من الخفيف]

طَرْبةٌ مــا طرِبْتُ في دَيْـر كعبِ كدتُ أقضي من طَرْبتي فيه نَحْبي
وتذكّــرتُ إخوتــي ونَدامــا يَ فهــاج البكاءَ تَذْكارُ صحبي
حينَ غابوا شتّى وأصبحتُ فرداً ونــأوْا بــينَ شرقِ أرضٍ وغَربِ

وهمُ ما هُم ، فحسبيَ لا أبْـ ـغي بديلاً بِهم لعمرُكَ حسبي
طلحة الخيرِ منهمُ وأبو المُنْـ ـذِرِ خِلِّي ومالكٌ ذاكَ ترْبي
أيُّها الداخِلُ الثقيلُ علينا حينَ طاب الحديثُ لي ولِصَحْبي
خِفَّ عنّا فأنت أثقَلُ واللـ ـهِ علينا من فَرسَخَيْ دَيْر كعبِ
ومِن النّاس مَن يَخِفُّ ومِنهم كَرحى البَزرِ رُكِّبت فوقَ قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عمر بن محمد قال : حدّثنا الحسين بن جهور قال : تكايد مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وزادا [في العربدة] حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلَّمه به ممّا دار بينهما ، فقال مطيع : [من مجزوء الكامل]

لا تحلفَنْ بطلاقِ مَنْ أمستْ حوافِرُها رقيقَهْ
هيهاتَ قد علِمَ الأميـ ـرُ بأنَّها كانت صدِيقَهْ

فغضِب يحيى وحَلَفَ ألاَّ يكلِّم مطيعاً أبداً ، وكانا لا يكادان يفترقان في فَرَحٍ ولا حُزنٍ ، ولا شدّةٍ ولا رخاء ، فتباعد ما بين يحيى وبينه ، وتجافَيا مدّة ، فقال مطيعٌ في ذلك ، وندم على ما فَرَط منه إلى يحيى ؛ فكتب إليه بهذا الشِّعر ، قال : [من السريع]

كنت ويحيى كيد واحدةٍ نَرمِي جميعاً وترانا معا
إن عضَّني الدَّهرُ فقد عَضَّه يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجعا
أو نامَ نامتْ أعين أربعٌ منّا وإن أسهرْ فلن يَهْجَعا
يسرُّني الدَّهرُ إذا سَرَّه وإنْ رماه فَلَنا فَجَّعا
حَتّى إذا ما الشَّيب في مَفرِقي لاحَ وفي عارضه أسْرَعا
سَعى وُشاةٌ فمشَوْا بيننا وكاد حبلُ الودِّ أن يُقطَعا
فلم أُلُمْ يحيى على فِعْلِه ولم أَقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا
لكنَّ أعداءً لنا لم يكن شيطانُهم يرى بنا مَطمَعا
بينا كذا غاص على غرة فأوقَدَ النِّيرانَ مستجمِعا
فلم يزل يُوقِدُها دائباً حَتَّى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسيّ ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمِّه . قال إسحاق في خبره : «دخل رجلٌ على إخوانٍ يشربون» ، وقال الأصمعيّ : دخل سُراعة بن الزندبود على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وعندهما قينةٌ تغنّيهما ، فسقَوه أقداحاً وكان على الريق ، فاشتدَّ ذلك عليه ، فقال مطيعٌ للقينة : غنّي سراعةَ . فقالت له : أيَّ

شيء تختار ؟ فقال : غنّي : [من المتقارب]

طبيبيَّ داويتُما ظاهراً فمن ذا يداوي جَوًى باطنا

ففطِن مطيعٌ لمعناه ، فقال : أبِك أكل ؟ قال : نعم . فقدَّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم .

[شعره في محمد بن سالم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال : حدّثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشميّ عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يهوى ابنَ مولًى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجتُ أباه إلى ضيعةٍ لي بالريّ لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

أيا ويحَه لا الصَّبر يملك قلبه فيصبرَ لَمَّا قِيل سار محمدُ
فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ فحتّى متى في جهده يتجلَّدُ
قد اضحى صريعاً باديات عظامُه سِوى أنَّ روحاً بينها تتردّدُ
كئيباً يمنِّي نفسَه بلقائه على نأيه واللهُ بالحزن يشهدُ
يقول لها صبراً عَسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاءٍ بطلعته الغَدُ
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قُوّتي فأصبحت ما لي منذ فارقني يدُ

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه : [من المتقارب]

صوت

طبيبيَّ داويتُما ظاهرا فمن ذا يداوى جوًى باطنا
فقوما اكوياني ولا تَرحَما من الكيِّ مستحصِفا راصِنا[1]
ومُرّا على منزل بالغُمَيم فإنّي عهدتُ به شادنا
فَتورَ القيام رخيمَ الكلا مِ كانَ فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزُّبير بن بكارٍ ، لعمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيلٍ القرشيّ العدويّ ، والغناء لمعبدٍ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرو ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تَشبَّه فيه بالأوائل . ولو قال قائل : إنّه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق .

1 المستصحف : الشديد .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، أنّ غيلان بن خرشةَ الضَّبِّيَّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هُمْ ، حتّى غَنّت القينة : [من المتقارب]

طبيبيٌّ داويتُما ظاهراً فمن ذا يداوي جوًى باطنا

وكان أعرابيّاً جافياً به لوثة[1] ، فغضِب ووثَب وهو يقول : السوط وربٍّ غيلانَ يُداوِي ذلك الجوى ! وخرج من عندهم .

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيره ، ولكنَّ ذكرَه هاهنا حسن فذكرته .

وممّا فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

[من الكامل]

أمسيتُ جَمَّ بلابلِ الصدرِ دهـرا أزجيّـهِ إلى دهـرِ
إن فُهت طُلّ دمي وإن كُتِمتْ وقَـدَت عليّ توقّـدَ الجمرِ

الغناء لحكم الوادي ، هزج بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[مطيع وجوهر]

أخبرني ابن الحسين قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنّية جارية بربر[2] ، وكانت محسنةً جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ، ثم قال : [من مجزوء الخفيف]

ولقد قلـتُ مُعلناً لسعيـدٍ وجعفـرِ
إن أتتنـي مَنيّتـي فدمي عنـد بربـرِ
قتلتْنـي بمنعهـا ليَ من وصْل جوهرِ

قال : وجوهر تضحك منه .

[هجاء حماد عجرد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال : بلغ مُطيعَ بن إياسٍ أن حماد عجردٍ عابَ شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في مُنقذ بن بدرٍ الهلاليّ ، فأجابه مُنقِذٌ عنه بجوابٍ ، فاستخفَّهما حمّاد عجرد ، وطعن عليهما ، فقال فيه مطيع : [من مجزوء الخفيف]

---

1 لوثة : مس من الجنون .

2 ل : يزيد .

أيّها الشاعِرُ الذي عـاب يحيـى ومُنقِذا
أنتَ لـو كنتَ شاعرا لم تقـل فيهمـا كذا
لستَ والله فاعلمـنّ لـدى النقدِ جِهبذا[1]
تعـدِلِ الصبرَ بالرضا ء وصفواً إلى القذى

[مطيع ومكنونة]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال : كنت جالساً مع مطيع بن إياس ، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانية ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها ، فلم تسلِّم ، وعبِث بها مطيعُ بنُ إياسٍ فشتمته ، فالتفت إليّ وأنشأ يقول : [من المجتث]

فديـتُ مـن مـرّ بنا يومـاً ولم يتكلّـمْ
وكان فيما خلا منـ ـه كلّمـا مـرّ سلّمْ
وإنْ رآنِـيَ حيًّـا بطرفـــه وتبسّمْ
لقـد تبـدّل ، فيما أظـنّ ، والله أعلمْ
فليت شِعريَ مـاذا عـليّ في الودّ يَنْقَمْ
يـا ربِّ إنّك تعلمْ أنّي بمكنـونَ مغرَمْ
وأنّنـي في هواهـا ألقـى الهوان وأعظَمْ
يـا لائِمي في هواها احفظْ لسانك تَسْلَمْ
واعلم بأنّك مهمـا أكرمت نفسَك تُكرَمْ
إنّ الملولَ إذا مـا مـلّ الوصالَ تجرّمْ[2]
أو لا فما ليَ أُجفى من غير ذنب وأُحرَمْ[3]

[تشبيب بجوهر ثم هجر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر ، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر . وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـا بربـرْ لقـد أفسدتِ ذا العسكرْ
إذا مـا أقبلـت جوهـرْ يفـوح المسكُ والعنبـرْ

---

1 الجهبذ : النقاد الخبير .
2 تجرم عليه : ادعى عليه لم يفعله .
3 وأحرم في ل : وأصرم .

وجوهـرُ دُرّة الغـوّا ص مـن يمْلكُها يُحبَرْ[1]
لهـا ثغـرٌ حكـى الدرّ وعَيْنـا رَشَإٍ أحـورْ

في هذه الأبيات هزج لحكمٍ الواديّ . قال وفيها يقول : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرةْ في قيـاس الـدرر المشْتَهِرَةْ
أو كشمسٍ أشرقت في بيتها قذفـتْ في كلّ قلب شرَرَهْ
وكأنّي ذائـقٌ مـن فمهـا كلّما قبَّلـتُ فاهـا سُكّرَهْ
وكأنّي حـين أخلـو معهـا فائـز بالجنّـة المُخْتَضِرَةْ

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصَّحّاف يهواها متخلٌ معها ، فقال مطيع يهجوها : [من الخفيف]

نـاك والله جوهـرَ الصَّحَافُ وعليها قميصُهـا الأفوافُ[2]
شامَ فيها أيراً لـه ذا ضُلوع لم يشِنهُ ضعفٌ ولا إخطافُ[3]
جَـدَّ دفْعاً فيهـا فقالت ترفّقْ مـا كذا يـا فتى تُناك الظّرافُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال ، قال محمد بن صالح بن النطاح : أُنشِد المهديُّ قول مطيع بن إياسٍ : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـا بربـرْ لقد أفتنتِ ذا العسكرْ
بـريح المسك والعنبر وظبـي شادنٍ أحـورْ
وجوهـر درّة الغـوّا ص مـن يَملكُها يُحْبَرْ
أمـا والله يـا جوهر لقد فُقتِ على الجوهرْ
فـلا والله مـا المهديُّ أولى منـك بـالمِنبرْ
فإن شئتِ ففـي كفيْـ ـكِ خلعُ ابنِ أبي جعفرْ

فقال المهديّ : اللهمّ العنهما جميعاً ، ويلكم ! اجمَعوا بين هذين قبل أن تخلعَنا هذه القحبة . وجعل يضحك من قول مطيع . ووجدتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن عليّ أتمّ من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأوّلين : [من الخفيف]

زعموها قالت وقد غاب فيها قائمـاً في قيامـه استحصافُ

---

1 يحبر : يُسَرُّ .
2 الأفواف : الرقيق .
3 إخطاف : ضمور .

وهو في جـارة استِها يتلظّى   يـا فتـى هكذا تُناك الظّرافُ
ناكهـا ضيفُهـا وقبّل فاهـا   يا لقَومي لقد طغـى الأضيافُ
لم يـزَل يرهَـزُ الشهيَّةَ حتى   زال عنها قميصُها والعِطافُ[1]

وقال هارون بن محمدٍ في خبره : بيعت جوهرُ جارية بربر ، فاشترتها امرأة هاشمية من ولدِ سليمان بن علي كانت تغنّي[2] بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تبعـدي يـا جوهـرُ   عنّـا وإن شطَّ المزارُ
ويْلي لقـد بعُـدت ديا   رُك سُلِّمت تلـك الديارُ
يُشفى بريقتهـا السَّقا   مُ كأنَّ ريقتَهـا العُقارُ
بيضاءُ واضحـة الجبيـ   ـنِ كأن غُرّتهـا نهارُ
القلب قلبـي وهْـو عنـ   ـد الهاشميّـةِ مستعارُ

[هجاء كلواذى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال : حدّثنا علي بن منصورٍ المؤدّب أنّ صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بِكَلواذى ، فمضى إليها ، فلم يستطبها ، فقال يهجوها : [من الخفيف]

بلـدة تُمطِر الترابَ على النـا   س كما يُمطر السماءُ الرذاذا[3]
وإذا مـا أعـاذ ربّـي بلاداً   من خرابٍ كبعضِ ما قد أعاذا
خرِبت عاجلاً ولا أُمهِلَتْ يو   مـاً ولا كان أهلُهـا كَلْواذى

[عبث مطيع وأصحابه بالتاجر الكوفيّ]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحيّ قال حدّثني عافية بن شبيب بن خاقان التميميّ أبو معْمَر قال : كان لمطيع بن إياسٍ مُعامِل من تجار الكوفة ، فطالت صحبته إيّاه وعشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه . فكان إذا شرب يعمل كما يعملون ، وقال كما يقولون ؛ وإذا صحا تهيّب ذلك وخافه . فمرّ يوماً بمطيع بن إياسٍ وهو جالس على باب داره ، فقال له : مِن أين أقبلت ؟ قال : شيَّعتُ صديقاً لي حجّ ، ورجعتُ كما ترى ميّتاً من ألمِ الحرِّ والجوعِ والعطشِ . فدعا مطيع بغلامه وقال له : أيّ شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا ، ومن البوارِدِ

1 العطاف : الرداء .
2 ل : تفتن .
3 التراب في ل : السحاب .

والحارّ كذا ، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشّ الخيشُ وفُرِغَ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيش وشِبْه الجنّة . قال : أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفَيتَ بها وإلاّ انصرفتَ . قال : وما هي ؟ قال : تشتِمُ الملائكة وتنزل . فنفَر التاجر وقال : قَبحَ الله عِشرَتكم قد فضحتموني وهتكتموني . ومضى فلم يبعدْ حتى لقيه حمّاد عجردٍ فقال له : ما لي أراك نافراً جزِعاً ؟ فحدّثه حديثَه . فقال : أساء مطيعٌ ، قَبَحه الله ، وأخطأ ، وعنـدي والله ضِعف مـا وَصفَ لك ؛ فهل لك فيه ؟ فقال : أشدّ الهلّ ، بي والله إليه أعظم فاقـة . قال : أنت الشريك فيـه على أن تشتمَ الأنبياء فإنّهم تعبَّدونا بكلّ أمرٍ مُعنِتٍ متعِبٍ ، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم . فنفر التاجر وقال : أنت أيضاً فقبحَك الله ، لا أدخلُ ؛ ومضى فاجتاز بيحيـى بن زيادٍ الحارثـيّ فقـال له : ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً ؟ فحدّثه بقصّته . فقال : قَبحَهما الله ! لقد كلّفاك شَطَطاً ، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما ، وعندي والله أضعاف ما عندهما ، وأنت الشريك فيـه على خصلةٍ تنفعـك ولا تضرُّك ، وهي خلاف ما كلفاك إيّاه من الكفر . قال : وما هي ؟ قال : تصلي ركعتين تُطِيل ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلس ، فنأخذ في شأننا . فضجر التاجرُ وتأفّف وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تعِبٌ ميِّت ، تُكلِّفني صلاةً طويلةً في غير بِرٍّ ولا لإطاعة يكون ثمنها أكل سُحتٍ[1] وشرب خمر وعِشرة فَجَرةٍ وسماع مغنياتٍ قِحابٍ . وسبّه وسبّهما ومضى مغضَباً . فبعث خلفه غلامـاً وأمره بـردّه ، فـردّه كَرهاً ، وقـال : انزِل الآن على ألاّ تُصلِّيَ اليوم بتةً . فشتمه أيضاً وقال : ولا هذا . فقال : انزل الآن كيف شئتَ وأنت ثقيل غير مساعدٍ . فنزل عنده . ودعا يحيى مطيعاً وحماداً ، فعبِثا بالتاجر ساعة وشتماه ، ثم قُدّم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصلّى التاجر الظهر والعصر ، فلمّا دبّت الكاس فيـه قـال لـه مطيع : أيُّما أحبّ إليك : تشتمُ الملائكة أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له حماد : أيما أحبّ إليك : تشتمُ الأنبياء أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقـال لـه يحيـى : أيما أحـبّ إليك : تصلّي ركعتين أو تنصرف ؟ فقام فصلّى الركعتين ، ثـم جلس فقالـوا لـه : أيما أحبّ إليك : تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف ؟ قال : بل أتركها يا بَني الزانية ولا أنصرف . فعمل كلَّ ما أرادوه منه .

[المهديّ يهدده ثم يجيزه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكوني قال : رفع صاحب الخبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إياسٍ زِنديقٌ ، وأنّه يعاشر ابنه جعفراً وجماعةً من أهلِ بيته ، ويوشك أن يفسدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه . فقال له المهديّ : أنا به عارف ، أمّا الزندقة

---

1 السحت : ما خبث من الكسب وحرم .

فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحِلّ للمحارم . قال : فأحضره وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائر أهله . فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي ، والله لقد بلغني أنهم يتقادَعون[1] عليك ، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلاّ بك ، فقد غرّرتَهم وشهّرتهم في الناس ، ولولا أنّي شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة ممّا نُسبتَ إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك . وقال للربيع : اضربه مائتي سوطٍ واحبسه . قال : ولِمَ يا سيدي ؟ قال : لأنك سِكّيرٌ خمّير قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك . فقال له : إن أذِنتَ وسمعتَ احتججتُ . قال : قل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسُوقي إنمّا تنفُق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا في أيّامكم مُطرَّحٌ ، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك عشيرة غيري ، وأصفيتُه على ذلك شكري وشِعري ، فإن كان ذلك عائباً عندك تبتُ منه . فأطرق ، ثم قال : قد رفع إليّ صاحب الخبر أنّك تتماجَن على السُّؤّال وتضحك منهم . قال : لا والله ، ما ذلك من فعلي ولا شأني ، ولا جرى منّي قطّ إلاّ مرّة ؛ فإنّ سائلاً أعمى اعترضني ، وقد عبَرتُ الجسرَ على بغلتي ، وظنّني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهمّ سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجندَ أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم ، فتجبَ فيها الزكاة عليهم ، فيصدّقوا عليّ منها . فنفرت بغلتي من صياحه ورفعِه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك ، سلِ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يُحتاج إليها ، فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ، ورُفع عليّ في الخبر قولي له هذا . فضحك المهدي وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبس . فقال له : أدخل عليك لِمَوجِدة وأخرج عن رضًى وتبرأ ساحتي من عَضيهة[2] وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير ، فيتجدّد عنده ذنوبه . قال : وكان المهديّ يشكر له قيامه في الخطباء ووضعَه الحديث لأبيه في أنه المهديُّ . فقال له : اخرج عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين ثم عد إليّ . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب لك إلى سليمان بن عليّ فيُولّيك عملاً ويُحسِن إليك . قال : قد رضيتُ فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي ، فولاّه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هندٍ ، فعزله به .

حدّثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أنّ مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بن علي بالبصرة ، وواليها على الصدقة داود بن أبي هند ، فعزله وولّى عليها مطيعاً .

1 يتقادعون : يتهافتون .

2 العضيهة : الإفك والبهتان .

[هجاء مالك بن أبي سعدة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال : كان مالك بن أبي سَعدة عمّ جابرٍ الشطرنجيّ جميل الوجه حسن الجسم ، وكان يعاشر حمّاد عجردٍ ومطيع بن إياس ويشرب معهما ثمّ فسَد ما بينهما وبينه وتباعد . فقال حماد عجردٍ يهجوه : [من المتقارب]

أتـوبُ إلى الله مـن مالكٍ صديقاً ومن صُحبتي مالكا
فـإن كنـتُ صاحبتهُ مـرّةً فقد تبتُ يا ربِّ من ذلكا

قال : وأنشدها مطيعاً ، فقال له مطيع ، سخِنت عينُك ! هكذا تهجو الناس ؟ قال : فكيف كنت أقول ؟ قال : كنتَ تقول : [من مجزوء الخفيف]

نظرةً مـا نظرتُهـا يــوم أبصرتُ مالِكا
في ثيابٍ مُعَصْفَـــرا تٍ على الوجه بارِكا
تركتْنـي ألُوط مـن بعد مـا كنتُ ناسكا
نظرة مـا نظرتُهـا أو ردّتْنـي المهالكا

[حبذا أيام بني أمية]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبتُه له بغير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد عجرد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيّام بني أمية وسَعتَها ونَضرتَها وكثرة ما أفادوا فيها ، وحسْنَ مملكتهم وطيبَ ذَراهم بالشام ، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيّام المنصور ، وشدّة الحرّ ، وخشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ، فقال مطيع بن إياس : قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا . قالوا : هات . فأنشدهم : [من الخفيف]

حبّذا عيشُنا الذي زال عنّـا حبّذا ذاك حـين لا حَبَّذا ذا
أين هذا مـن ذاك سَقياً لهذا ك ولسنا نقـول سَقيـا لهـذا
زاد هــذا الزمانُ عُسراً وشرّاً عندنـا إذ أحلَّنـا بغْـداذا
بلدة تُمطر التُرابَ عـلى النا س كما يمطـر السماءُ الرّذاذا
خَرِبت عاجلاً وأُخرب ذو العر ش بأعمـالِ أهلِهـا كَلْواذى

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال : لمّا خرج حمّاد مع محمد بن العبّاس إلى البصرة ، عاشر جماعةً من أهلها وأربابها وشعرائها ، فلم يجدْهم كما يريد ، ولم يستطِبْ عِشرتهم واستغلظ طبعَهم ، وكان هو ومطيع بن إياسٍ وحمادٌ الراوية ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفس واحدة ، وكان أشدَّهم أُنْساً به مطيع بن إياس ، فقال حمادٌ يتشوّقه : [من مجزوء الرمل]

لستُ واللهِ بنـــاسٍ لِمطيع بـــن إياسِ
ذاك إنسانٌ لـه فضْـــلٌ على كلِّ أُنـاسِ
غـــرَسَ الله لـــه في كبـدي أحلى غِراسِ
فإذا ما الكاسُ دارتْ واحتساها مَن أُحاسي
كان ذِكرانـا مُطيعا عندها رَيحـانَ كاسي

[تشوّقه إلى يحيى بن زياد]

حدّثنا عيسى بن الحسين عن حمّادٍ عن أبيه قال : دعا مطيع بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ ، يقال له بستان صَبّاح ، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخِ مُردٍ وشبّان ، ومغنين ومغنّيات ، فكتب مطيع إلى يحيى بن زيادٍ الحارثيّ يخبره بأمره ويتشوّقه ، قال : [من السريع]

كم ليلـــةٍ بالكرخ قد بِتُّها جـــذلانَ في بستانِ صَبَّــاحِ
في مجلس تنفَـحُ أرواحُــه يـــا طِيبَها مِـــن ريح أرْواحِ
يُدِيـــر كأساً فـــإذا مـــا دَنَت حُفَّـــت بأكـــوابٍ وأقـداحِ
في فِتيـــةٍ بيض بهاليلَ مـــا إن لَهـــمُ في النـاس من لاحِ
لم يَهْنني ذاك لفقْـد امـــرىءٍ أبيضَ مثـــلِ البـــدرِ وضّاحِ
كأنّمــــا يُشرق مـــن وجهه إذا بــــدا لي ضـوءُ مِصْباحِ

قال : فلمّا قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته ، فركب إليهم ، وحمل إليهم ما يُصلحهم من طعام وشراب وفاكهة ، فأقاموا فيه أيّاماً على قصْفهم حتى ملّوا ، ثم انصرفوا .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال : قال مطيع بن إياس : جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوةِ[1] ويكتم ذاك ، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك ، فقال : [من الطويل]

لأَحسَن مــن بيدٍ يحارَ بها القَطا ومِــن جَبَلَيْ طَيٍّ ووصفِكما سَلْعا
تَلاحُظُ عَيْنَــيْ عاشِقَـين كلاهما له مُقلةٌ في وجــه صاحبِه ترعى

[عتاب المهدي له]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو المَضاء قال : عاتب المهديّ مطيع بن إياسٍ في شيءٍ بلغه عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن

1 الصبوة : جهلة الفتوة .

كان ما بلغك عنّي حقّاً فما تُغني المعاذير ، وإن كان باطلاً فما تضرّ الأباطيل . فقبِل عذرَه وقال : فإنّا ندعُك على جملتِك ولا نكشفك .

[مع جوهر المغنية]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : اجتمع حمّاد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكَمٌ الوادي يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودعَوْا جوهرَ المغنّية ، وهي التي يقول فيها مطيع : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهره ... في قياسِ الدّررِ المشتهرَه

فشربوا تحت كرمٍ معروشٍ حتى سكِروا ، فقال مطيع في ذلك : [من مجزوء الوافر]

صوت

خرجنا نمتطِي الزهرا ... ونجعلُ سقفَنا الشجرا
ونشربُها مُعتّقَةً ... تَخالُ بكأسِها شَرَرا
وجوهرُ عندنا تحكي ... بِدارةِ وجهِها القمرا
يزيدك وجهُها حُسْنا ... إذا ما زدتَه نظرا
وجوهرُ قد رأيناها ... فلم نَرَ مثلَها بَشَرا

غنّى فيه حكم الوادي غناءً خفيفاً ، فلم يزالوا يشربون عليه بقيّة يومهم . وقد رُوي أنّ بعض هذا الشعر للمهديّ وأنّه قال منه واحداً ، وأجازه بالباقي بعض الشعراء . وهذا أصحّ . لحن حكمٍ في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى .

[عقوقه لأبيه]

حدّثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه ، فأقبل يوماً من بُعْد ، ومطيع يشرب مع إخوان له ، فلمّا رآه أقبل على أصحابه فقال : [من مجزوء الكامل]

هذا إياسٌ مُقبلاً ... جاءت به إحدى الهَناتِ[1]
هوَّزٌ فُوه وأنفُه ... كَلَمُنَّ في إحدى الصّفاتِ
وكأنّ سعْفَصَ بطنُه ... والثغرَ شين قُرَيِّشاتِ
لمّا رأيتك آتياً ... أيقنتُ أنّكَ شرُّ آتِ

1 الهنات : الشرور .

[مدح معن بن زائدة]

حدّثني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكونيّ قال : مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها : [من المنسرح]

أهْلاً وسهلاً بسيّد العربِ ذِي الغُرَرِ الواضحاتِ والنُّجبِ
فتى نـزارٍ وكهْلِها وأخِي الـ ـجودِ حَوى غايَتَيْهِ من كَثَبِ
قيـل أتـاكم أبـو الوَليـد فقا ل الناس طُرّاً في السهلِ والرَّحَبِ
أبـو العُفاةِ الذي يلـوذُ بـه من كانَ ذا رغْبةٍ وذا رهَبِ
جاء الذي تُفـرَجُ الهمومُ بـه حين يُلَـزُّ الوَضِين بالحَقَبِ[1]
جاء وجـاء المضاءُ يقدُمُه رأيٌ إذا هـمّ غيرُ مؤتَشِبِ[2]
شهْمٌ إذا الحربُ شبّ دائرُها أعادهـا عَـوْدةً على القُطُبِ
يطفىء نيرانَهـا ويوقدُهـا إذا خبَت نارُها بـلا حطبِ
إلاّ بِوقـعِ المُذكَّراتِ يُشَبِّهْـ ـنَ إذا مـا انْتُضِينَ بالشُّهُبِ[3]
لم أرَ قِرْنـاً لـه يُبـارزُه إلاّ أراه كالصقْـر والخَرَبِ[4]
ليْثٌ بخَفَّانَ قـد حَمى أجَماً فصار منهـا في منزل أشِبِ[5]
شِبْلاه قـد أُدّبـا بـه فهُمـا شِبْهاهُ في جِـدّه وفي لعِبِ
قـد ومِقـا شكلَه وسيرتَـه وأحكما منـه أكرمَ الأدبِ[6]
نعـم الفتى تُقرنَ الصّعابُ به عنـد تَجاثي الخصومِ للرُّكَبِ
ونعـم مـا ليلة الشتاء إذا اسـ ـتُنْبِحَ كلبُ القِرى فلم يُجِبِ
لا ونَعَـمْ عنـده مخالفـة مثل اختلاف الصَعود والصَّبَبِ
يَحْصَرَ مِن لا فـلا يهمُّ بها ومنه تُضحي نَعَـمْ على أَرَبِ
ترى لـه الحِلْمَ والنُّهى خُلُقا في صولة مثل جاحِمِ اللَّهَبِ
سيف الإمامَيـن ذا وذاك إذا قـلّ بنـاةُ الوفـاء والحسبِ

---

1 يلز : يقرن . الوضين : بطان عريض منسوج من شعر أو سيور . الحقب : الحزام .

2 مؤتشب : مختلط ، أي أنه غير متردد .

3 المذكرات : جمع مذكر ، وهو السيف .

4 الخرب : ذكر الحبارى .

5 خفان : موضع كان مأسدة ، ومنه المثل : ليث بخفان خادر . الأشب : الكثير الشجر .

6 ومقا : أحبا .

ذا هَوْدَةٍ لا يُخافُ نبوتُها ودينُه لا يُشابُ بالريبِ[1]

فلمّا سمعها معن قال له : إن شئتَ مدحناك كما مدَحتنا وإن شئت أثبناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب ، فأنشأ يقول لمعنٍ : [من الوافر]

ثناءٌ من أميرٍ خيرُ كسْبٍ لصاحبِ مغنمٍ وأخي ثراء

ولكنّ الزمانَ بَرى عِظامي وما مِثلُ الدراهمِ من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال : لقد لَطَفتَ حتى تخلّصتَ منها ، صدقت ، لعَمري ما مثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ ، وخلع عليه وحمَله .

[ضرطة صديقه الأعرابيّ]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني المهلّبيّ عن أبيه عن إسحاق قال : كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه ، فضرط ذات يومٍ وهو عنده ، فاستحيا وغاب عن المجلس . فتفقّده مطيع وعرف سبب انقطاعه ، فكتب إليه وقال : [من البسيط]

أظهرت منك لنا هجراً ومقلِيةً وغبتَ عنّا ثلاثاً لست تغشانا[2]

هَوِّن عليك فما في الناس ذو إبلٍ إلاّ وأينقُه يَشْردن أحيانا

[مجون مطيع وأصحابه في الصلاة]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدّثنا عنه قال : اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم ، فشربوا أيّاماً تباعاً ، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكارى : ويْحكم ! ما صلينا منذ ثلاثة أيّامٍ فقوموا بنا حتى نصلّي . فقالوا : نعم . فقام مطيع فأذّن وأقام ، ثم قالوا : من يتقدّم ؟ فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنّية : تقدّمي فصلّي بنا . فتقدّمت تصلّي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مطيَّبة بلا سراويل ، فلمّا سجدت بان فرجها ، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبّله وقطع صلاته ، ثم قال : [من المتقارب]

ولمّا بدا فرجها جاثماً كرأس حلِيقٍ ولم يَعتمِدْ

سَجدتُ إليه وقبّلتُهُ كما يفعل الساجدُ المجتهدْ

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا وعادوا إلى شربهم .

[تهنئته المهديّ]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن

1 الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .

2 مقلية : بغضاً .

القاسم مولى الهادي قال : كتب المهديّ إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجّه إليه بابنه موسى ، فحمله إليه ، فلمّا قدم عليه قامتِ الخطباء تهنئه ، والشعراء تمدحه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إياس فقال : [من مجزوء الرمل]

أحمــدُ الله إلهَ الــ ـــخلق ربَّ العالمينا
الذي جــاء بموسى سالمــــاً في سالمينـا
الأميرِ ابن الأمير ابـــ ـــن أميـرِ المؤمنينا

فقال المهديّ : لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس ، وأمر له بصلة .

[نصيحته يحيى بن زياد]

قـال أبو الفرج : ونسخت من كتاب لأبي سعيدٍ السكَّري بخطّه . قال : حدّثني ابن أبي فنن ، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائنيّ عن ابن أبي الدواهي ، وخبر السكري أتمّ واللفظ له ، قال : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قِيان ، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه ، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد عجردٍ وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[1] ، وكلّهم كان يعشق ابنه أصبغ ، حتى كان يوم نَوْروز وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبحَ مع يحيى بن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً ؛ فقال أبو الأصبغ لجواريه : إنّ يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم ، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح لمثله . ووجّه بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيـى يدعوه ويسأله التعجيل ، فلمّا جاءه استأذن له الغلام ، فقال له يحيى : قل له يدخل ، وتنحّ أنت واغلقْ الباب ولا تَدَعِ الأصبغ يخرج إلاّ بإذني . ففعل الغلام ودخل الأصبغ ، فأدّى إليه رسالة أبيه ، فلمّا فرغ راوده يحيى عن نفسه . فامتنع ، فثاوره[2] يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَلّ تِكّته ، فلم يقدر عليهـا ، فقطعهـا وناكـه . فلمّا فرغ أخرج من تحت مُصلاّه أربعين ديناراً ، فأعطـاه إيّاهـا ، فأخذهـا ، وقال له يحيى : امض فإنّي بالأثر . فخرج أصبغُ من عنده ، فوافاه مطيعُ بن إياس ، فرآه يتبخَّر ويتطيّب ويتزيّن ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمَخَ بأنفه ، وقطّب حاجبيه ، وتفخّم ؛ فقال له : ويحك ما لك ؟ نزل عليك الوحي ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يومىء برأسه : لا لا ، في كلّ كلامه . فقال له : كأنّك قد نكتَ أصبغ بن أبي الأصبغ قال : إي والله الساعة نكته . وأنا اليوم في دعوة أبيه . فقال مطيع : فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبّل

1 يطرفونه : يهدون إليه الطريف .

2 ثاوره : واثبه .

متاعَك . فأبداه له يحيى حتى قبّله ثم قال له : كيف قدَرتَ عليه ؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ . فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معي والرجل لم يدْعُك ؟ وإنّما يريد الخَلوة . فقال : أشَيّعُك إلى بابه ونتحدّث . فمضى معه ، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع ، فصبَر ساعة ، ثم دقّ الباب فاستأذن ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغُل لا أتفرّغ معه لك . فتعذّر . قال : فابعث إليّ بدواةٍ وقرطاس ، فكتب إليه مطيع : [من الرمل]

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كلّ حـال ناعمـاً مُتّبَعا
لا تصيِّرنيَ في الودّ كمـن ... قَطعَ التِّكّـة قطْعاً شَنِعا
وأتى مـا يشتهـي لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حفظُ حـقّ ضَيّعا
لو ترى الأصبَغَ مُلقًى تحتَه ... مستكينا خَجلا قـد خَضَعا
ولَـهُ دفْـعٌ عليه عَجِـل ... شَبِقٌ ساءَكَ مـا قـد صنَعا
فادعُ بالأصبغِ واعلم حالَه ... سترى أمـراً قبيحـاً شنِعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ قال : لا والله . فضرب بيده إلى تِكّة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكّأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى بي إليك مطيعٌ ابن الزانية ، وهذا ابني وهو والله أفْره من ابنك ، وأنا عربيّ ابن عربيّة وأنتَ نَبَطيّ ابن نَبَطيّة ، فنِك ابني عشر مرّات مكان المرّة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجواري ، وسكن غضب أبي الأصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها إليه ، وقام خجِلاً ، وقال يحيى : والله لا أُدخِل مطيعٌ الساعي ابن الزانية . فقال أبو الأصبغ وجواريه : والله ليدخلنّ ، فقد نصحنا وغشَشْتنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكلّ لسان ، وهو يضحك .

[مكايدون في مجلس الأمير]

أخبرني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكرانيّ عن العُمريّ عن العتبيّ قال : حضر مطيع بن إياس وشُراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُباب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحمّاد عجرد ، مجلساً لأميرٍ من أمراء الكوفة ، فتكايدوا جميعاً عنده ، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ، ويهجونه فغلبهم جميعاً ، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما : [من البسيط]

وخَمسةٍ قد أبانوا لي كِيادَهُمُ ... وقد تلظّى لهم مِقْلًى وطِنْجيرُ[1]

---

1 طنجير : وعاء تعمل فيه الحلوى .

لو يقدرون على لحمي لمزّقه   قردٌ وكلبٌ وجِرْواهُ وخِنزيرُ

[اللذة المضاعفة]

أخبرني وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنّه في تَخت[1]، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

[تعريض حمّادٍ بمطيع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمّادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقيّاً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: مَن يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حمّاد: نعم هذا شعر الحطيئة لّما حضر الكوفة وصار بها حَلَقياً. يعرّض حمّاد بأنّه كذاب، وأنّه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

[خاطب لمودته]

حدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني محمد بن إسحاق البغويّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لِمَن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألاّ تقبلَ فيّ قولَ قائلٍ. ويقال إنّ الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذِكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم. فذكر الجاحظ أنّ مطيعاً حلف أنّها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتِفاها ومأكمتاها، فتدحرج تحتها الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنّه قالها في امرأة من أبناء الدَّهاقين كان يهواها، وشعره يدلّ على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط.

[شوقه إلى جودانة]

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال: أخبرني مطيع بن إياس الليثيّ، وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجّاج بن يوسف، أنّه كان مع سَلْم بن قتيبة، فلمّا خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصّته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبّها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنّيت أن أكون أقمتُ؛ وتتبَّعْتها نفسي، ونزلنا حلوان،

---

1 التخت: وعاء من خشب أو نسيج لصيانة الثياب.

فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنان دابّتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقتُها وقلت : [من الخفيف]

أسعِداني يـــا نخلتَيْ حُلْوانِ وابكيا لي من رَيْبِ هذا الزمانِ
واعلما أنّ رَيْبَه لم يـزل يفْـ ـرُق بـين الأُلاّف والجيرانِ
ولَعمري لو ذقتمـا أَلَمَ الفُر قـة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعـداني وأيْقنـا أن نحساً سوف يلقـاكما فتفترقـانِ
كم رمتني صروفُ هذِي الليالي بفـراق الأحبـابِ والخُلاَّنِ
غير أنّي لم تلـق نفسي كما لا قيت من فُرقـة ابنة الدُّهقانِ
جارة لي بالرّيّ تُذهبُ همِّي ويُسَلِّـي دنوُّهــا أحـزاني
فجعتني الأيّامُ أغبطَ ما كنـ ـت بصدع للبيْن غير مُدانِ
وبرغمي أن أصبحَتْ لا تراها الـ ـعينُ منّي وأُصبحَتْ لا تَراني
إنْ تكنْ ودّعتْ فقد تركتْ بي لَهبـاً في الضمير ليس بوانِ
كحريق الضّرام في قصب الغا ب زَفَتْـهُ رِيحـانِ تختلفانِ[1]
فعليكِ السلام مِنِّيَ مـا سا غَ سلاماً عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خطّ أبي أيّوب المدائنيّ عن حمّاد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرّيّ جارية أيّام مُقامي بها مع سَلْم بن قتيبة ، فكنتُ أتسترّ بها ، وكنتُ أتعشّق امرأةً من بنات الدَّهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها . فلمّا خرجنا بعتُ الجارية وبقيَتْ في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها ، فلمّا نزلنا عَقَبة حُلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت : [من الخفيف]

أسعـداني يـا نخلتي حُلـوان وارْثيا لي من ريب هذا الزمانِ

وذكر الأبيات ، فقال لي سَلْم : ويلك فيمن هذه الأبيات ؟ أفي جاريتك ؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت : نعم . فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي . فلم يلبث أن ورد كتابه : إنّي وجدتُها قد تداولها الرجال وقد بلغت خمسة آلاف درهم ، فإن أمرت أن أشتريها فعلت . فأخبرني بذلك وقال : أيهما أحبّ إليك ؟ هي أو خمسة آلاف درهم ؟ فقلت : إما إذ كانت قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها . فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولا والله ما كان في

---

1 زفته : ساقته .

نفسي منها شيء ، ولو كنت أحبّها لم أبالِ إذا رجعتْ إليّ بمَن تداولها . ولم أُبالِ لو ناكها أهلُ مِنَى كلُّهم .

[الشعر في نخلتَي حلوان]

أخبرني عمّي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشميّ عن سلام الأبرش قال : لمّا خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جمّاراً ، فأعلمه أنّ بلده ليس بها نخل . ولكن على العقبة نخلتان ، فَمُر بقطع إحداهما . فقطعت ، فأُتِي الرشيد بجمارتها ، فأكل منها وراح[1] . فلمّا انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب : [من الخفيف]

أسعداني يـا نخلتـي حلوانِ وابكيا لي من رَيْب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنـا أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ

فاغتمّ الرشيد ، وقال : يعزُّ عليّ أن أكون نحسَكما ، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الحارثيّ بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيّوب قال : لمّا خرج المهديّ فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضع فتغدّى ودعا بحسنةَ فقال لها : أما ترين طيبَ هذا الموضع ؟ غنِّيني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحاً ، فأخذت مِحكّة كانت في يده وأوقعت على مِخَدّة وغنَّته : [من الطويل]

أيـا نخلتَيْ وادي بُوانَة حبَّذا إذا نام حرّاسُ النخيلِ جَناكُما

فقال : أحسنت . ولقد همَمْت بقطع هاتين النخلتين ، يعني نخلتَي حلوان ، فمنعني منهما هذا الصوت . وقالت له حسنة : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرق بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

أسعـداني وأيقنـا أن نحساً سوف يلقـاكما فتفترقـانِ

قال : أحسنت والله فيما قلتِ ، إذ نبّهتني على هذا ، والله لا أقطعهما أبداً ، ولأوكلَنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ . ثم أمر بأن يُفعَلَ ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات .

---

1 راح : ارتاح .

نسبة هذا الصوت الذي غنّته حسنة

[من الطويل]

أيا نخلتي وادي بُوانـة حبّذا إذا نـام حُرّاسُ النخيلِ جَناكما

فطِيبُكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طُـولِ الفَتـاء فَتاكما

يقال إنّ الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[1] . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ .

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن الخرّاز عن المدائنيّ أنّ المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق ، فكانت تُضَيِّقه وتزحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعهما ، فأُنشد قول مطيع : [من الخفيف]

واعلمـا مـا بقيتما أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفترقـانِ

قال : لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، وتركهما .

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه إسماعيل بن داود أنّ المهديّ قال : قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان وهممْت أن آمر بقطعهما . فبلغ قوله المنصور ، فكتب إليه : «بلغني أنّك هممت بقطع نخلتي حلوان . ولا فائدة لك في قطعهما ، ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أعيذك بالله أن تكون النّحْسَ الذي يلقاهما ، فتفرق بينهما» . يريد قول مطيع .

وممّا قالت الشعراء في نخلتَي حلوان قول حمّاد عجرد ، وفيه غناء قد ذكرتُه في أخبار حمّاد : [من الخفيف]

جعلَ اللهُ سِدرتَيْ قصر شِيريـ ـن فـداءً لنخلتـي حلوانِ[2]

جئت مستسعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكـت لـه النخلتانِ

وأنشدني جحظة ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمّه : [من الخفيف]

أيُّها العاذلانِ لا تعـذلاني ودعـاني من المـلام دَعـاني

وابكيـا لي فإنّنـي مستحـق منْكُمـا بالبكـاء أن تسعداني

إنّنـي منكمـا بذلـك أُولى مـن مطيـع بنخلتَـيْ حُلوانِ

فهما تجهلان مـا كان يشكو مـن هَـواه وأنتمـا تعلمانِ

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة : [من الخفيف]

1 ديوانه : 392 .

2 سدرتي، في ل : نخلتي .

وكذاك الزمانُ ليس وإنْ أَلّـ ـف يبقى عليـه مُؤْتلفانِ
سلبت كفُّـه الغَـريَّ أخـاه ثـم ثَـنّـى بنخلتَيْ حُلوانِ[1]
فكأنّ الغريَّ قـد كان فرداً وكأنْ لم تُجـاور النخلتانِ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ عن أبيه قال : جلس مطيع بن إياس في العلّة التي مات فيها في قبّة خضراء وهو على فُرش خضر ، فقال له الطبيب : أي شيء تشتهي اليوم ؟ قال : أشتهي ألاّ أموت . قال : ومات في علّته هذه ، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي .

قال أبو الفرج : ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع ، قال : [من مجزوء الوافر]

صوت

أمَـرّ مدامـةً صِرْفاً كأنّ صبيبهـا وَدَجُ[2]
كأنّ المِسك نفحتُها إذا بزِلـت لهـا أرَجُ
فظـلّ تخالُـهُ ملكـاً يصرفهـا ويمتزجُ[3]

الغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكّي . وفيه لحن آخر لابن جامع . وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

صوت

[من مجزوء الكامل]

جُدِلَت كجدْل الخيزرا ن وثُنِّيـت فتثنّـتِ
وَتيقّنـتْ أن الفـؤا د يحبهـا فأدلّـتِ

الغناء لعبد الله بن عبّاس الربيعيّ خفيف رمل ، وذكر حبش أنّه لمقامة .

صوت

[من الخفيف]

أيّها المبتغـي بِلَـوْيِ رشادِي الـهُ عنّي فمـا عليك فسادي
أنتَ خِلْو من الذي بي وما يعـ ـلم مـا بي إلاّ القريحُ الفؤادِ

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشاميّ .

---

1 الغري : أحد الغريين ، بناءان كانا بالكوفة .
2 الودج : عرق في العنق كناية عن الحمرة .
3 يصرفها ويمتزج : يجعلها صرفاً وممزوجة .

صوت

[من الطويل]

ألاّ إنّ أهلَ الدارِ قد ودَّعوا الدارا وقد كان أهلُ الدار في الدارِ أجْوارا[1]

يبكّي على إثرِ الجَميعِ فلا يـرى سوى نفسه فيهـا من القومِ دَيارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر ابن المكّي أن فيه لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر .

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد .

صوت

[من المنسرح]

فيّ انقبـاضٌ وحشمةٌ فـإذا صادفتُ أهلَ الوَفـاء والكرمِ

أرْسلتُ نفسي على سجيّتهـا وقلتُ مـا قلـتُ غيرَ محتشِمِ

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسديّ ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً .

1 أجوار : من جموع جار .

[251] ـ أخبار محمد بن كناسة ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن كُناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ، واسم صهبان كعب ، بن ذويبة بن أُسامة بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ ويكنى أبا يحيى . شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفيّ المولد والمنشأ ، قد حُمل عنه شيء من الحديث ؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خالَه ، وكان امرءاً صالحاً لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء ؛ وكانت له جارية شاعرة مغنّية يقال لها دنانير ؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ قال : قلت لمحمد بن كناسة الأسديّ ونحن بباب أمير المؤمنين : أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد : [من الطويل]

رأيتُك ما يُغنيك ما دونه الغِنى ... وقد كان يُغني دون ذاك ابن أَدهما

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها ... وكان لِحَقِّ الله فيها معظِّما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتا ... فإن قال بذّ القائلينَ وأحكما

فقال محمد بن كناسة : أنا قلتها وقد تركتَ أجودها . فقلت : وما أجودها ؟ فقال : [من الطويل]

أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدّمَ الطالبَ الدّما

[حديث ابن كناسة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازة قال حدّثني عليّ بن مسرور العَتَكيّ[1] قال حدّثني أبي قال قال ابن كناسة : لقد كنت أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامِعُه إلاّ القُطنَ الذي على وجه أمّه في القبر لتعلّل إليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ ، وأنا اليوم أتحدّث بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهيِّىءَ له عذراً .

[مداعبة جاريته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول : كنتُ في طريق الكوفة ، فإذا أنا بجويْرية تلعب بالكِعاب كأنّها قضيب بانٍ ، فقلت لها : أنتِ أيضاً لو ضِعتِ لقالوا ضاعت الجارية ،

1 العتكي في ل : العسكري .

ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق . فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلّم بهذا الكلام ؟ فكُسفتُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت : [من الطويل]

وإنّـــي لحُلوٌ مخبَري إن خبرتني ولكنْ يُغَطِّيني ولا ريبَ بي شيَخٌ[1]

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت : فما أصنعُ بك أنا إذاً ؟ فقلت : لا شيء . وانصرفت .

[تفسير بيت]

أخبرنا ابن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر : [من الوافر]

إذا الجـــوزاءُ أردفت الثريّا ظننتُ بـآل فاطمـةَ الظنونا

فقال : يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خِفْت تفرّق الحيّ من مجمعهم ؛ والثريا تطلعُ بالغداة في الصيف ، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أوّل القيظ .

[تعريضه بامرأته]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني صالح بن أحمد بن عباد قال : مرّ محمد بن كناسة في طريق بغداد ، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ ، وكانت عنده امرأة يبغضُها ، وقد ثقل عليه مكانُها ، فقال يَعْنيها : [من الطويل]

أيا جِذعَ مَصْلُوبٍ أتى دونَ صَلْبه ثلاثون حـولا كامِلاً هـل تُبادِلُ
فمـا أنت بالحِمْل الذي قد حمَلتَه بأضجرَ منّـي بالذي أنـا حاملُ

[خدمة العيال لا تنقص الكمال]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد . وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال : رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة ، فقال : هاته أحمِله عنك . فقال : لا . ثم قال : [من الرجز]

لا يَنقُصُ الكامِـلَ مـن كمالِهِ مـا جـرَّ مـن نفعٍ إلى عيالِهِ

[ذكاء دنانير]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوماً عند ابن كناسة ، فقال لنا : أعرّفكم شيئاً من فهم دنانير ؟ يعني جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها : «إنّك أَمَةٌ ضعيفةٌ لكعاءُ ، فإذا جاءكِ كتابي هذا فعجِّلي بجوابي . والسلام» . فكتبت إليه : «ساءني تَهْجِينُك إيّاي عند أبي الحسين[2] ، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا

1 الشيخ : الشيخوخة .
2 أبو الحسين : كنية علي بن عثمان راوي الخبر .

جواب له . والسلام» .

[دنانير ترثي صديق علي بن عثمان]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إليّ الزُّبير بن بكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابيُّ قال : جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدتُ جاريته دنانير جالسة ، فقالت لي : ما لك محزوناً يا أبا الحسين ؟ فقلت : رجعتُ من دفنِ أخٍ لي من قريش . فسكتتْ ساعة ثم قالت : [من الوافر]

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ فأبكانا بكاؤك يا عليُّ
فماتَ وما خَبَرْناهُ ولكنْ طهارةُ صَحْبِه الخبرُ الجَليُّ

[يحفظ كرامته مع فقره]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عِمران الضبيّ قال : أمْلقَ محمد بن كناسة فلامه قومُه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك : [من الطويل]

تُؤنِّبني أنْ صُنتُ عِرْضي عِصابةٌ لها بين أطنابِ اللئام بَصِيصُ
يقولون لو غَمّضتَ لازددْتَ رِفعةً فقلتُ لهم إنّي إذنْ لَحرِيصُ[1]
أتكْلِمُ وجْهي لا أبا لأبيكُمُ مطامعُ عنها للكرامِ محيصُ
مَعاشي دُوينَ القوت والعِرْض وافرٌ وبطْنِيَ عن جدوى اللئام خَمِيصُ[2]
سألقى المنايا لم أخالط دَنِيّةً ولم تَسْرِ بي في المخزياتِ قَلُوصُ

[لا حشمة عند الكرام]

حدّثنا الحسن بن علي قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال : [من المنسرح]

فيّ انقباضٌ وحِشْمةٌ فإذا صادفتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرْسلتُ نفسي على سَجِيّتها وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتَشمِ

قال إسحاق فقلت لابن كناسة : ودِدت أنّه نقصَ من عمري سنتان وأنّي كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

1 حريص : جشع .
2 جدوى : عطية . خميص : ضامر .

[رثاء إبراهيم بن أدهم]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبيّ قال حدّثني محمد بن المِقدام العِجليّ قال : كانت أمّ محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل ، وكان إبراهيم بن أدهَم خالَه أو ابن خالِه ، فحدّثني ابن كناسة أنّ إبراهيم بن أدهم قدِم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديّة معه ، فقبلها ووهب له ثوباً ، ثم مات إبراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال : [من الطويل]

رأيتك ما يكفيك مـا دونه الغنى ... وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما
وكان يـرى الدنيا قليلاً كثيرُها ... فكـان لأمرِ الله فيهـا مُعظِّما
أمات الهـوى حتـى تجنَّبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدّم الطالبَ الدّما
وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيع الجهـلُ أن يَتَرَمْرَما[1]
وأكْثَرُ مـا تلقاه في القوم صامتاً ... وإن قـال بَـذَّ القائلين وأحْكما
يُـرى مسْتَكِيناً خاضِعاً متواضِعاً ... ولَيْثاً إذا لاقـى الكَتيبةَ ضيغما
على الجَدث الغربيّ من آل وائلٍ ... سلامٌ وبِـرٌّ مـا أبـرّ وأكـرما

[ضعفه عن وصل إخوانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني زكريّا بن مهران قال : عاتب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ، ويألفه على تأخّره عنه ، فقال ابن كناسة : [من الطويل]

ضعُفتُ عن الإخوانِ حتى جفوْتُهم ... على غير زهـدٍ في الوفاءِ ولا الودِّ
ولكِـنّ أيّامي تخرَّمْـنَ مُنَّتـي ... فما أبلُغُ الحاجاتِ إلاّ على جَهْدِ[2]

[الدنيا في نظره]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ قال أنشدني ابن كناسة . قال الضَّبِّيُّ : وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها : [من الطويل]

ومِنْ عجَبِ الدنيـا تَبَقِّيك للبِـلى ... وأنّـك فيهـا للبقـاء مريـدُ
وأيّ بنـي الأيـامِ إلاّ وعندَه ... مـن الدهرِ ذنبٌ طارِفٌ وتَلِيدُ
ومنْ يأمـن الأيّـامَ أما انبياعُها ... فخطْـر وأمـا فَجْعُهـا فعتيدُ[3]

---

1 رمرم : حرك فاه للكلام ولم يتكلم .

2 المنة : القوة .

3 انبياعها في ل : اتساعها . والانبياع : الوثوب من سكون . والخطر : خطر البعير بذنبه : ضرب به يميناً وشمالاً . والعتيد : الحاضر المهيأ .

إذا اعتادت النفس الرِّضاع من الهوى   فإنّ فِطام النفسِ عنه شديدُ

[صفة الحيرة]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضبيّ قال قال لي عُبيد بن الحسن : قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنّها حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق ، فلم يزل ينظر إلى البرّ وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

الآن حين تزيّن الظَّهْر   مَيْثاؤهُ وبِراقُه العُفْرُ[1]
بسط الربيع بها الرياضَ كما   بُسطتْ قُطُوع اليَمْنةِ الحمرُ[2]
بَرِّيّةٌ في البحرِ نابتة   يُجْبى إليها البرّ والبحرُ
وجرى الفرات على مياسرها   وجرى على أَيْمانِها الزهرُ
وبدا الخورنق في مطالِعها   فرداً يلوح كأنّه الفجرُ
كانت منازلَ للملوك ولم   يُعْلَمْ بها لممَلَّك قبرُ

قال : ثم قال يصف تلك البلاد : [من مجزوء الرمل]

سَفُلتْ عَنْ بَرْد أرضٍ   زادَها البردُ عذابا
وعَلَتْ عن حرٍّ أُخرى   تُلهب النارَ التهابا
مُزِجَت حينا ببرْدٍ   فصفا العيْشُ وطابا

[اختيار الصديق]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد الأسديّ قال حدّثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال : رآني أبي مع أحداثٍ لم يرضَهُم ، فقال لي : [من مجزوء الكامل]

يُنْبِيكَ عن عيب الفتى   تركُ الصلاة أو الخَدينُ
فإذا تهاون بالصّلا   ةِ فما لهُ في الناس دينُ
ويُزَنُّ ذو الحدثِ المريـ   ـبِ بما يُزَنُّ به القرينُ[3]

1 الميثاء : الأرض السهلة . والبراقة : جمع برقة ، وهي أرض غليظة يختلط فيها الحجارة والرمل .
2 قطوع اليمنة : بسط اليمن .
3 يزن : يتهم .

إن العفيــفَ إذا تكنَّـــ ـفه المريبُ هــو الظنِينُ[1]

[مخالفة القول للعمل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ، قال : كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ، قال : كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه ، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونُسكاً ؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهرَه ، فلمّا جاءه قال له : [من الكامل]

مـا مَن روى أدباً فلم يعملْ بـه ويكفّ عـن دفع الهوى بأديبِ[2]
حتى يكـون بمـا تعلّم عامـلا مـن صالح فيكـونَ غيرَ معِيبِ
ولقلّما يُغنـي إصابـةُ قائـل أفعالُـه أفعـالُ غيـرِ مُصيبِ

[طبيب بني أود]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جدّه قال : أتيتُ امرأةً من بني أَوْدٍ تكحلُني من رمدٍ كان أصابني ، فكحلتني ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك . فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر : [من الطويل]

أمُخْتَرِمي ريـبُ المنـونِ ولم أزُرْ طبيبَ بني أَوْدٍ على النَّـأْي زينبا

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله . فقالت : فيّ والله قِيلَ ، وأنا زينبُ التي عناها ، وأنا طبيب أَوْد ، أفتدري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمّك أبو سماك الأسديّ .

[شعر دنانير في أبي الشعثاء]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني عليّ بن عَثَّام الكلابيُّ قال : كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنّية ، يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء ، وكان عفيفاً مزّاحاً . فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنّه يهواها ، فقالت فيه : [من الرمل]

لأبـي الشعثاء حبٌّ باطنٌ ليس فيــه نَهْضَـةٌ للمتّهمْ
يا فؤادي فازدَجِر عنه ويا عبَث الحبّ بـه فاقعُد وقمْ
زارني منــه كـلامٌ صائبٌ وَوسيلاتُ المحبّـين الكَلِمْ

---

1 الظنين : المتهم .

2 دفع في ل : وقع .

صائدٌ تأمنهُ غِزْلانُه مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحَرَمْ
صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى المنى يا ابا الشَّعْثاء لله وصُمْ
ثُمَّ مِيعادُك يوم الحشْرِ في جَنَّةِ الخلدِ إنِ اللهُ رَحِمْ
حيثُ ألقاك غلاماً ناشئاً يافعاً قد كُملت فيه النِّعمْ

[رثاؤه دنانير]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّبُ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثني موسى بن صالح قال : ماتت دنانير جارية ابن كناسة ، وكانت أديبةً شاعرة ، فقال يرثيها : [من المنسرح]

الحمدُ لله لا شَرِيكَ لَه يا ليتَ ما كان منكِ لم يكنِ
إن يكن القولُ قلّ فيكِ فما أفحمني غيرُ شِدّة الحزَنِ

[رواية ابن كناسة للحديث]

قال أبو الفرج : وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً ، وروى عنه الثقاتُ من المحدثين ؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الأعمش ، وإسماعيلُ بن أبي خالد ، وهشام ابن عُروة بن الزُّبير ، ومِسْعَر بن كِدام ، وعبد العزيز أبي داود ، وعُمَر بن ذر الهمْدانيّ ، وجعفر بن بُرْقان ، وسفيان الثَّوريّ ، وفِطْر بن خليفة ونظراؤهم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن سعد العوفيّ قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا الأعمش عن شقيق بن سلَمة عن أبي موسى الأشعريّ قال : قلت : يا رسول الله إنّ الرجل يحبّ القوم ولم يَلحَق بهم . قال : «المرء مع من أحبّ» .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «خير نسائها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نسائنا خديجةُ» . والله أعلم .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا ابن كناسة قال حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زِرّ بن حُبَيْش قال : كانت في أُبيّ بن كعب شراسةٌ ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله ، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هي ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط ، ليعلم صحّة ما حكيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس ممّا يصلُح هاهنا .

[252] ـ أخبار قلم الصَّالحيّة

كانتْ قلمُ الصالحيّة جاريةً مولَّدة صفراءَ حُلوةً حسنةَ الغناء والضرب حاذقةً ، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنهِ إسحاق ، ويحيى المكّي ، وزُبَيْر بن دحْمان . وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد ، وقيل : بل كانت لأبيه . وكانت لها صنْعَةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً ، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

[إعجاب الواثق بها]

فأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذُ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله ، قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام ، قال : كانت قلمُ الصالحية جاريةٌ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسِنات المتقدمات ، فغُنيَ بين يدي الواثق لَحْنٌ لها في شعر محمد بن كناسة ، قال : [من المنسرح]

فيّ انقباضٌ وَحِشْمةٌ فـإذا صادفْتُ أهلَ الوفاء والكرمِ

أرسلْتُ نفسي على سجيَّتِها وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فسأل : لمن الصنعة فيه ؟ فقيل : لقلم الصالحية جاريةِ صالح بن عبد الوهاب . فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره . فقال : ويلك ! من صالحُ بن عبدُ الوهاب هـذا ؟ فأخبره . قال : أين هو ؟ قال : ببغداد ، قال : ابعث فأشخِصْه وأشخِص معه جاريتَه المسمّاة بقلم الصالحية . فَقدِما على الواثِق ، فدخلت عليه قلم ، فأمرها بالجلوس والغناء ، فغنّت ، فاستحسنَ غِناءها وأمرَ بابتياعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضِب الواثـق من ذلك ، وردّ عليه . ثم غنى بعد ذلك زرْزورٌ الكبيرُ في مجلس الواثق صوتاً ، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخي صالح ، والغناء لقَلَم ، وهو : [من الوافر]

صوت

أبـتْ دار الأحبَّـةِ أنْ تبينا أجِدَّك ما رأيتَ لها مُعينا

تَقَطّعُ نفسُه مـن حبِّ ليلى نفوساً مـا أُثِبْنَ ولا جُزِينا

فسأل : لَمن الغناء ؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث إلى ابن الزيّات : أشخِصْ صالحاً ومعه قلم . فلمّا أشخصهما دخلت على الواثق . فأمر أن تغنّيه هذا الصوت ، فغنته . فقال لها : الصنعة فيه لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين . قـال : بـارك الله عليك . وبعـث إلى صالح فأحضِر ، فقـال

لـه : إنّي قد رغبت في هذه الجارية فاستمْ في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه فقال : أما إذ وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملِك شيئاً فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإنّ من حقّها عليّ إذا تناهيتُ في قضائه أن أصَيِّرَها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الواثق : قد قبِلتها . وأمر ابن الزيّات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها احتياطاً . فلم يعطه ابن الزيات المال ومطَلَه به ، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك ، فغنّت الواثق وقد اصطبح صوتاً ، فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيّدي وما نفع مَن ربّاني منّي إلاّ التعبُ والغرم عليّ والخروج منّي صِفْرا ؟ قال : أوَلَم آمرْ له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ؛ ولكنّ ابن الزيّات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقّع إلى ابن الزيّات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه ، وخمسة آلاف دينار أخرى معها . قال صالح : فصِرتُ مع الخادم إليه بالكتاب ، فقرّبني وقال : أمّا الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الأُخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة . فقمت ، ثم تَناساني كأنّه لم يعرفني ، وكتبت أقْتضيه ، فبعث إليّ : اكتُبْ لي قبْضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهْت أن أكتب قبضاً بها فلا يَحصُل لي شيء ، فاستترتُ في منزل صديق لي ؛ فلمّا بلغه استتاري خاف أن أشكوَه إلى الواثق ، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادمُ بعد ذلك فقال لي : أمرني أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك ، هل قبضت المال ؟ قلت : نعم قد قبضته . قال صالح : وابتعت بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها مَعاشي ، وقعدت عن عمل السلطانِ فما تعرضت منه لشيء بعدها .

[علي بن الجهم يمدح الواثق]

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني أحمد بن إسحاق الخراسانيّ . قال : وحدّثني محمد بن مخارق قال : لمّا بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله[1] : [من السريع]

قـد فـازَ ذو الدّنيا وذو الدّين بدولـــةِ الواثِـــقِ هـــارونِ
وعـمّ بالإحسان مـــن فضله فالنـاسُ في خفْـضٍ وفي لِينِ
مـــا أكثرَ الدّاعي لـــه بالبَقا وأكثـــرَ التّـــالي بـــآمينِ

وأنشده أيضاً قوله فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

وَثِقَـــت بالملـكِ الوا ثِـــقِ بـالله النُّفوسُ
مَلِكٌ يشقى بــه المـا لُ ولا يشقـى الجَلِيسُ

---

1 ديوان علي بن الجهم : 231 .
2 ديوانه : 150-151 .

أسد تضْحَك عن شَـ ـدّ اتِـه الحـرْبُ العبوسُ
أنِس السيفُ بـه واسـ ـتوْحَش العِلقُ النفيسُ
يا بَني العبّاس يأبى اللّـ ـه إلاّ أنْ تَسُوسُوا

قال : فوصَله الواثق صلة سنيّة .

وتغنّت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين ، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

[من الطويل]

وكنت أُعيرُ الدمعَ قبلك من بكى فأنت على مَن مات قبلك شاغِلُهْ
سقى جدَثاً أعرافُ غَمْرة دونه ببيشةَ دِيمـاتُ الربيـعِ ووابِلُهْ[1]
وما بِيَ حبُّ الأرضِ إلاّ جوارُها صَداهُ وقـولٌ ظَـنّ أنِّيَ قائلُهْ

الشعر للشمردل بن شَريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد ، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي ، وذكر حبش أنّ خفيف الرمل لخزرج .

1 الأعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة .

[253] ـ أخبار الشمردل ونسبه[1]

[نسبه]

الشَّمَرْدَل بن شَريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان في أيّام جرير والفرزدق .

[هجا وكيع لتفريقه إخوته]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان . فقال له الشمردل : إن رأيت أيّها الأمير أن تنفِذَنا معاً في وجه واحد ، فإنّا إذا اجتمعنا تعاونّا وتناصرنا وتناسبنا . فلم يفعل ما سأله ، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها . فقال الشمردل يهجوه ، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم[2] بن أُدّ بن طابخة : [من الكامل]

إنّي إليك إذا كتبتُ قصيدة   لم يأتني لجوابها مَرجوعُ
أيُضِيعُها الجُشَمِيّ فيما بيننا   أم هل إذا وصلتْ إليكَ تَضيعُ
ولقد علمتُ وأنت عنّي نازحٌ   فيما أتى كِبْدُ الحمار وكيعُ
وبنو غُدانةَ كان معروفاً لهم   أن يُهضَموا ويَضِيمَهم يَربوعُ
وعُمارة العبد المبَيَّن إنّه   واللؤم في بدن القميص جميعُ

[رثاؤه لأخويه]

قال أبو عبيدة : ولم ينشَب[3] أن جاءه نعيُ أخيه قدامة من فارس ؛ قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نَعْيُ أخيه وائل بعده بثلاثة أيّام ، فقال يرثيهما : [من الطويل]

أعاذلُ كم روعةٍ قد شهدتها   وغُصّةِ حزن في فِراق أخٍ جزْلِ[4]

---

1 للشمردل ترجمة في الشعر والشعراء : 593 والمؤتلف : 139 والسمط : 544 وقد نقل صاحب التذكرة الحمدونية بعض أخباره وشعره .

2 ل : حميس .

3 لم ينشب : لم يلبث .

4 الجزل : الكريم والعاقل .

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... عليّ الضحى حتى تنسّيني أهلي[1]

وما أنا إلاّ مثلُ من ضُرِبتْ له ... أُسى الدّهر عن ابْنَيْ أبٍ فارقا مثلي[2]

أقول إذا عزّيتُ نفسي بإخوة ... مضوا لا ضِعافٍ في الحياة ولا عُزْلِ

أبى الموتُ إلاّ أنَّ كلَّ بني أبٍ ... سيُمسون شتّى غيرَ مجتمعي الشَّمْلِ

سبيل حبيبيَّ اللذيْن تبرّضا ... دُموعيَ حتى أسرعَ الحُزْنُ في عقلي[3]

كأن لم نسِرْ يوماً ونحنُ بغبطةٍ ... جميعاً وينزلْ عند رحليْهما رحْلي

فعينَيّ إنْ أفضَلتُما بعد وائلٍ ... وصاحبه دمعاً فعُودَا على الفضلِ

خليليَّ من دون الأخِلاّء أصبحا ... رهينَيْ وفاءٍ من وفاةٍ ومن قتْلِ

فلا يبعدا لِلدَّاعِيَيْن إليهما ... إذا اغبرّ آفاقُ السماء من المَحْلِ

فقد عَدِم الأضيافُ بعدهما القِرى ... وأخمد نارَ الليل كلُّ فتًى وغْلِ[4]

وكانا إذا أيدِي الغضابِ تحطّمت ... لواغِرِ صدر أو ضغائنَ من تبلِ[5]

تَحاجزُ أيدي جُهَّل القومِ عنهما ... إذا أتعب الحلمَ التترّعُ بالجهلِ[6]

كمستأسِدَي عرِّيسةٍ لهما بها ... حِمًى هابه من بالحُزُونةِ والسَّهْلِ

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره .

[رثاؤه أخاه وائلاً]

قال أبو عبيدة : وقال يرثي أخاه وائلاً ، وهي من مختار المراثي وجيد شعره : [من الطويل]

لعمري لئن غالت أخي دارُ فُرقةٍ ... وآب إلينا سيفُه ورواحلُهْ

وحلّت به أثقالَها الأرضُ وانتهى ... بمثواه منها وهْو عفٌّ مآكلُهْ

لقد ضُمِّنت جَلْدَ القُوى كان يُتّقى ... به جانبُ الثغر المخوفِ زلازلُهْ

وَصُولٌ إذا استغنى وإن كان مقْتِراً ... من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائلُهْ

محلٌّ لأضياف الشّتاء كأنّما ... هُمُ عنده أيتامه وأراملُهْ

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت .

2 أسى : جمع أسوة ، ما يتأسى به الحزين .

3 تبرضا دموعي : استنزفا الدموع ببطء .

4 الوغل : النذل الساقط .

5 الواغر : المتقد من الغيظ . والتبل : العداوة .

6 التترع : التسرع .

رخِيصُ نضيــجِ اللحــم مُغْــلٍ بِنِيئِه إذا بــردت عنــد الصِّلاء أناملُهْ
أقولُ وقــد رَجّمتُ عنه فأسرعت إليّ بأخبــارِ اليقــين محاصلُهْ[1]
إلى الله أشكـو لا إلى النــاس فقدَه ولوعةَ حــزن أوجعَ القلبَ داخلُهْ
وتحقيــق رؤيــا في المنــام رأيتُها فكان أخــي رُمْحــاً ترفَّضَ عاملُهْ[2]
سقى جدثــاً أعرافُ غمرة دونه ببيشةَ دِيمــاتُ الربيــع ووابــلُهْ
بمثوى غريــبٍ ليس منّــا مــزارُه بــدانٍ ولا ذُو الودّ مِنّــا مواصلُهْ
إذا مــا أتى يــومٌ من الدهرِ دونه فحيّــاك عنّــا شرقُــه وأصائلُهْ
سَنا صبحِ إشراقٍ أضــاء ومَغربٌ من الشمس وافى جنحَ ليــلٍ أوائلُهْ
تحيــةَ مــن أدّى الرسالــةَ حُبِّبت إليــه ولم ترجِــع بشيءٍ رسائلُهْ
أبى الصبرَ أن العين بعــدَك لم يزَلْ يخالــط جَفْنيها قــذًى لا يزايلُهْ
وكنتُ أعير الدّمع قبلَكَ مَن بكى فأنت على مــن مــات بعدك شاغلُهْ
يذكرني هَيْــفُ الجنــوب ومُنتهى مسيرِ الصَّبا رَمْساً عليــه جنادلُهْ[3]
وهتَّافــةٌ فــوق الغصــونِ تفجّعت لفقــدِ حمــام أفردتهــا حبائلُهْ
من الوُرْق بالأصْياف نواحة الضحى إذا الغرقد التفّــت عليــه غياطلُهْ[4]
وسَوْرةُ أيدِي القوم إذ حُلَّت الحُبا حُبا الشِّيبِ واستعْوى أخا الحلمِ جاهلُهْ[5]
فعينــيّ إذ أبكاكما الدهــرُ فابكيــا لَمن نصرُه قــد بــان منّــا ونائلُهْ
إذا استعبرت عُــوذُ النساء وشمّرت مآزر يــوم مــا تَــوارى خلاخلُهْ[6]
وأصبح بيت الهجرِ قــد حال دونه وغال امرءاً مــا كان يُخْشى غوائلُهْ
وثِقْن بــه عنــد الحفيظةِ فارعوى إلى صوتــه جاراتــه وحــلائلُهْ
إلى ذائــدٍ في الحرب لم يــك خاملاً إذا عــاذ بالسيف المجــرَّد حاملُهْ
كما ذاد عــن عِرِّيسة الغِيل مُخْــدِر يخــافُ الــردى ركبانُــه ورواحِلُهْ

---

1 رجم بالغيب : تكلم بما لم يعلم .
2 ترفض : تكسر . وعامل الرمح : صدره .
3 هيف الجنوب : ريح حارة تأتي من الجنوب .
4 الغرقد : شجر . والغياطل : ما التفّ واجتمع .
5 الحبا : جمع حبوة ، وهو الثوب . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب . واستعوى : صاح إلى الفتنة .
6 عوذ النساء : جمع عائذ ، وهي التي مضى أسبوع على وضعها لأن ولدها يعوذ بها .

فمـا كنت أُلفي لامرىء عِند مَوطنٍ أخاً بأخـي ، لو كان حيّـاً أبادلُهْ
وكنت بِـه أغشى القتـال فعزَّني عليـه مـن المقـدارِ مـن لا أُقاتلُهْ[1]
لعمركَ إنّ المـوتَ منّـا لمولَـعٌ بمَـن كان يُرجـى نفعُـه ونوافلُهْ
فما البعـد إلاّ أننّا بعـد صحبـة كأنْ لم نُبايـت وائـلاً ونقـايلُهْ[2]
سقى الضَّفِراتِ الغيثُ ما دام ثاوياً بهنّ وجادت أهـلَ شُوكٍ مَخايلُهْ[3]
ومـا بـي حبُّ الأرض إلاّ جوارَها صـداه وقـول ظُـنَّ إنّـي قائلُهْ

[رثاؤه أخاه حكم]

قال أبو عبيدة : ثم قُتِل أخوه حكم أيضاً في وجهه ، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله ، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيُه فقال يرثيه : [من الوافر]

يقولون احتسِب حَكماً وراحوا بـأبيضَ لا أراهُ ولا يـراني
وقبْـلَ فراقِـه أيقنتُ أنّي وكلّ ابنـي أبٍ متفارِقانِ
أخٌ لِيَ لوْ دعوتُ أجابَ صوتي وكنتُ مجيبَه أنّـى دعاني
فقد أفنـى البكاءُ عليه دمعي ولوْ أنّـي الفقيدُ إذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعْـطَ ضَيْما ولم تَرهـبْ غَوائلَـه الأداني
قَتلْنـا عنـه قاتلَـه وكنّـا نصُولُ به لدى الحرْبِ العَوانِ
قتيلاً ليس مثل أخـي إذا مـا بدا الخَفِرات مِنْ هول الجَنانِ
وكنتَ سِنانَ رمحي من قناتي وليس الـرّمحُ إلاّ بالسّنانِ
وكنت بَنانَ كَفّي من يميني وكيف صلاحُها بعـد البَنانِ
وكان يهابُـك الأعداءُ فينـا ولا أخشى وراءك من رَماني
فقد أبدَوا ضغائنَهـم وشدُّوا إليّ الطَّـرفَ واغتمزوا لَياني
فِـداكَ أخٌ نبـا عنـه غَناه ومولًـى لا تصولُ لـه يدانِ

[ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا : وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمرّ فيها هذا البيت : [من الطويل]

---

1 عزني : غلبني .
2 نبايت : نبيتُ معه . ونقايله : ننام معه القيلولة .
3 الضفرات : جمع ضفرة ، وهي أرض سهلة مستطيلة . شوك : موضع .

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة   وبـين تميم غير حـز الحلاقم

فقال له الفرزدق : والله يا شمردل لتتركنّ لي هذا البيت ، أو للتركن لي عِرضَك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها : [من الطويل]

تحِـنُّ بزوراء المدينــة ناقتي   حنِينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ[1]

[تأويل رؤيا الشمردل]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا غسان عن أبي عبيدة قال : رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سِنان رمحه سقط ، فعبَره على بعض من يعبُر الرؤيا ، فأتاه نعي أخيه وائلٍ ، فذلك قوله : [من الطويل]

وتَحقيقُ رؤيـا في المنام رأيتُها   فكانَ أخي رُمحاً ترفَّضَ عاملُهْ

[نديمه ينسى فعله من السكر]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل مغرماً بالشراب ، وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه ، والآخر من بني شيبان يقال له قَبيصة . فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونحروه وشرِبُوا حتّى سَكِروا ، وانصرف قبيصةُ حافياً وترك نعلَه عندهم ، وأنْسِيَها من السُّكر ، فقال الشمردل : [من الطويل]

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد   على الكأس نَدمانا لها مثلَ دَيكلِ

أقلّ مِكاساً في جَزور وإن غلت   وأسرعَ إنضاجـاً وإنـزالَ مِرْجَلِ

ترى البازلَ الكَوْماءَ فوق خُوانه   مفصَّلــةً أعضاؤهــا لم تُفصَّـلِ

سَقَيناه بعـد الرَّي حتـى كأنّما   يرى حين أمسى أبرقى ذاتِ مأسَلِ[2]

عشيّــة أنسيْنـا قَبيصةَ نعلَــه   فَراحَ الفتى البكـريُّ غيرَ مُنعَّلِ

[هلال لم يرفده فهجاه]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ واستماحه ، فوعده الرفد ، ثم ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر ، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعها إليه وكيلُه غلّة فردّها ، وقال يهجوه : [من الطويل]

يقــول هــلالٌ كُلَّما جئت زائراً   ولا خيرَ عنـد المـازنيّ أعاودُهْ

ألا ليتنــي أُمسي وبينــي وبينه   بَعيـدُ مناطِ المـاء غُبْرٌ فدافدُهْ[3]

---

1 العجول : الناقة الحزينة لفقد ولدها . البو : جلد ولد الناقة يحشى تبناً ويقرب منها لتدر . رائم : عطوف .

2 الشطر الثاني في ل : يرى حرشاً في أبرقي أم مرسل .

3 الفدفد : الفلاة .

غداً نصفُ حول منه إن قال لي غدا وبعد غد منه كحول أراصدُهْ
ولو أنّني خُيِّرت بين غَداته وبين بِرازي ديْلميّاً أجالدُهْ
تعوّضت من ساقَيّ عشرين درهماً أتاني بها من غَلَّة السُّوق ناقِدُهْ
ولو قِيلَ مِثلا كنزِ قارونَ عنده وقيل التمسْ موعودَه لا أعاودُهْ
ومثلك منقوص اليدين رددتُه إلى مجتدٍ قد كان حينا يُجاحِدُهْ

[هجاؤه رجلاً من ضبة شمت بمقتل إخوته]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أنّ رجلاً من بني ضبّة كان عدوّاً للشمردل ، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك ، ثم خرج في البعث الذي بُعث مع وكيع ، فلمّا قُتِل إخوة الشمردل وماتوا ، بلغه عن الضبيّ سرورٌ بذلك ، وشماتةٌ بمصيبته فقال : [من البسيط]

يا أيُّها المبتغي شَتمي لأشتُمه إن كنت أعمى فأنّي عنك غيرُ عَمِ
ما أرضعَتْ مرضعٌ سخْلا أعقَّ بها في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَرِبَت مُذالة لقُدور الناس والحُرَمِ[1]
عَوى ليَكسِبَها شرّاً فقلت له منْ يُكسِب الشرّ ثديَيْ أمِّه يُلَمِ
ومن تعرّض شتمي يلْقَ معطِسُهُ من النَّشُوق الذي يشفي من اللَّممِ[2]
متى أجبك وتسمعْ ما عُنيتَ به تُطْرِق على قَذَع أو ترضَ بالسَّلَمِ[3]
أَوْلا فحسبُك رهطاً أن يفيدهم لا يغدِرون ولا يوفون بالذممِ
ليسوا كثعلبةَ المغبوطِ جارُهم كأنّه في ذُرى ثهلانَ أو خِيَمِ[4]
يُشَبِّهون قريشاً من تكلّمهم وطولِ أَنْضِيَةِ الأعناقِ والأُممِ[5]
إذا غدا المسْك يجرِي في مفارقهم راحوا كأنّهم مَرضى من الكرمِ
جزّوا النواصيَ من عجْلٍ وقد وطِئوا بالخيل رهط أبي الصهْباء والحُطَمِ
ويوم أفلتهن الحَوْفَزانُ وقد شالت عليه أكفُّ القوم بالجِذَمِ[6]

---

1 الحنكلة : الدميمة السوداء . عربت : توددت إلى زوجها أو حرصت على اللهو . المذالة : المهانة .
2 اللمم : الجنون .
3 القذع : الخنا والفحش . والسلم : الاستسلام .
4 ثهلان وخيم : جبلان .
5 تكلمهم في ل : تكرمهم . الأنضية : عظام العنق . الأمم : القامات .
6 الجذم : السياط .

إنّي وإن كنتُ لا أنسى مُصابَهُم لم أدفعِ الموت عن زِيقٍ ولا حكمِ
لا يَبْعــدا فتيا جــودٍ ومكرمة لدفعِ ضيمٍ وقتل الجوعِ والقَرمِ[1]
والبعــد غالهمـــا عنّــي بمنزلةٍ فيها تفــرّقُ أحيــاءٍ ومُخْترمِ
ومــا بنــاءٌ وإن شُدَّت دعائمُه إلاّ سيصبح يومــاً خاوِيَ الدِّعَمِ
لئن نجوتَ من الأحداث أو سلمت منهنّ نفسك لم تسلمْ مــن الهَرَمِ

[رثاء عمر بن يزيد الأسيدي]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شريك ، ومحسناً إليه كثير البرّ به والرفد له ، فأتاه نعيه وهو بخراسان ، فقال يرثيه : [من الكامل]

لبِس الصّبــاحَ وأسلمتـــه ليلـة طالــت كأنّ نجومهــا لا تبرحُ[2]
من صولـة يجتاح أخـرى مثلها حتى ترى السَّدفَ القيامُ النُّوحُ[3]
عطّلـــن أيديَهـــنّ ثم تفجعت ليـلَ التِّمام بهـنّ عبْرى تَصدَحُ
وحليلـــةٍ رزئت وأُخـــتٌ وابنةٌ كالبـدر تنظـره عيـــونٌ لُمَّحُ
لا يبعَـــدِ ابنُ يزيـــدَ سيِّدُ قومه عنـد الحفاظِ وحاجـــةٍ تُستنجَحُ
حامي الحقيقةِ لا تـــزال جيادُه تغْـدو مسوَّمـــة بـــه وتُروِّحُ
للحربِ محتسب القتـــال مشمِّرٌ بالدرع مضطمرُ الحوامـل سُرَّحُ[4]
ساد العـــراق وكان أوّل وافد تأتي الملوكَ بـــه المهارى الطُّلَّحُ[5]
يُعْطي الغِلاء بكلّ مجـدٍ يُشترى إن المُغـــاليَ بالمكـــارمِ أربـحُ

[وصف الصقر والقنص]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح ، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة ، وأنشدنا له قوله : [من الرجز]

قد أغتدي والصبحُ في حجابه واللّيـــلُ لم يـــاوِ إلى مآبِهِ

---

1 القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .
2 لبس في ل : لبث .
3 السدف : الضوء .
4 مضطمر : ضامر . الحوامل : الأرجل .
5 المهارى : نوع من الإبل . الطلح : المتعبة .

وقد بدا أَبْلَقَ من مُنْجابِهِ بتَوَّجِيٌّ صادَ في شبابِهِ[1]
مُعاوِدٍ قد ذلّ في إصعابه قد خَرَّق الضُّفارَ من جِذابِهِ
وعَرَفَ الصوتَ الذي يُدعى به ولَمعةَ المُلْمِعِ في أثوابِهِ[2]
فقلتُ للقانِص إذ أتى به قبل طُلوعِ الآل أو سَرابِهِ
ويحك ما أبصر إذ رأى به من بَطنِ مَلحوبٍ إلى لُبابِهِ[3]
قَشْعاً ترى التّبت من جنابِهِ فانقضَّ كالجلمودِ إذ علا بهِ
غضبان يوم قِنْيَةٍ رمى به فهنّ يلقين من اغتصابِهِ
تحت جديد الأرض أو ترابه من كلّ شَحَّاج الضُّحى ضَغابِهِ[4]
إذ لا يزال حربه يشقى به منتزع الفؤاد من حجابِهِ
جاد وقد أنشب في إهابه مخالباً ينشبن في إنشابِهِ
مثل مُدى الجزار أو حِرابه كأنّما بالحلق من خضابِهِ
عصفرة الفؤاد أو قضابه حوى ثمانين على حسابِهِ[5]
من خَرَبٍ وخُزَزٍ يعلى به لفتيَةٍ صيدهم يدعى بِهِ[6]
واعَدَهم لمنزل بِتْنا به يطهى به الخِربان أو يشوى بِهِ
فقام للطبخ ولاحتطابه أروع يهتاج إذا هجنا بِهِ

[قتل الذئب الذي فتك بغنمه]

أخبرنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة ، فرصده ليلة حتى جاء لعادته ، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه : [من الوافر]

هل خُبِّر السِّرحان إذ يستخبِرُ عنّي وقد نام الصِّحاب السُّمَّرُ
لّما رأيت الضَّأنَ منه تنفِر نهضت وسْنانَ وطارَ المِئْزرُ

---

1 الأبلق : الذي فيه سواد وبياض . التوجّي : الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس .
2 الململع : الذي يشير بالثوب ونحوه .
3 ملحوب : موضع .
4 الشحاج : الغليظ الصوت . والضغاب : المفزع بصوته .
5 الفؤاد في ل : الفصاد .
6 الخرب : ذكر الحبارى . والخزز : ذكور الأرانب .

وراع منها مرح مستيْهِر كأنّه إعصار ريح أغبرُ[1]
فلم أزل أطرده ويعكر حتى إذا استيقنتُ ألا أعذرُ[2]
وأنّ عَقْرى غنمِي ستكثر طار بكفّي وفؤادي أوجرُ[3]
ثُمَّتَ أهويتُ له لا أُزجَر سهماً فولّى عنه وهْوَ يعثرُ
وبتُّ ليلي آمناً أُكبِّرُ

[الأصمعيّ يستجيد شعر الشمردل]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال الشمردل بن شريك ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ، ويقول : إنّها لمن ظريف الكلام : [من الكامل]

ثم استقلّ منعّماتٌ كالدُّمى شُمُسُ العتاب قليلة الأحقادِ
كُذُب المواعدِ ما يزال أخو الهوى منهنّ بين مودّة وبعادِ
حتى ينال حِبالَهنّ معلقاً عقلَ الشّريد وهنّ غيرُ شَرادِ
والحبّ يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيجُ معتبةً بغير بعادِ

صوت

[من الطويل]

خليليّ لا تستعجلا أن تَزوّدا وأن تَجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تَنظُراني اليوم أقْضِ لُبانةً وتَسْتوجبا منّاً عليّ وتُحمَدا

الشعر للحصين بن الحمام المري ، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر ، من روايتها ومن رواية الهشاميّ .

* * * *

1 وراع في ل : وراح . المستيهر : الذاهب العقل .
2 يعكر : يكر وينصرف .
3 الأوجر : الخائف .

الفهرس